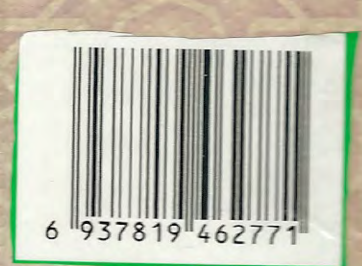
الصَّحِيحُ مِنَ الأَثَرِ فِي

خُطَبِ المِنْبَرِ

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
غفر الله له ولسائر المسلمين





طبعة جديدة منقحة ومزيدة

دار الإيمان
اسكندرية

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
الصحيح من الأثر في خطب المنبر
دار الإيمان

الصَّحِيحُ مِنَ الأَثَرِ فِي

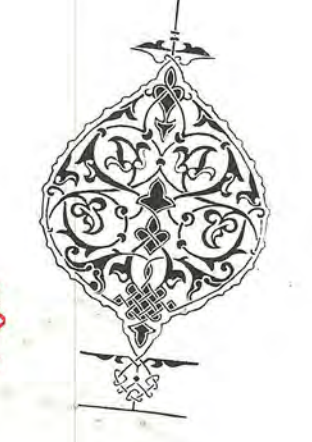
خُطَبِ المِنْبَرِ



رقم الإيداع
٢٠٠٥/٢٠٠٧

الترقيم الدولي
977/331/370/0

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت : ٥٢٢٢٠٠٢-٠٥٤١١٩١٠
E-mail: dar_aleman@hotmail.com



الصَّحِيحُ مِنَ الأَثَرِ فِي

خُطَبِ المِنْبَرِ

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

غفر الله له ولسائر المسلمين







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ[1].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ يقولها بين يدي كلامه، وفي خطبته، وكان ـ ﷺ ـ يُعلمها أصحابهُ ـ رضي الله عنهم ـ في شأنهم كله، وقد زهد فيها كثير من خطباء هذا الزمان، وقد أشرت لتخريجها في كتابي «تحفة الخطيب» حاشية (ص٦)، وللشيخ الألبانيِّ ـ رحمه الله ـ رسالةٌ مفردة ماتعة في تخريجها، اسمها «خطبة الحاجة» قال ـ رحمه الله ـ في خاتمتها ما نصُّه: «قد تبين لنا ـ من مجموع الأحاديث المتقدمة ـ أنَّ هذه الخطبةَ تفتح بها جميعُ الخطب، سواء كانت خطبة نكاحٍ، أو خطبةَ جمعةٍ، أو غيرها، فليست خاصّةً بالنكاح كما يُظنُّ»

وبَعْدُ، فقد يسَّر اللّهُ لي - ولله الحمدُ - كتابة شيءٍ من الخطب، لتُلْقَىٰ من قِبَلِ بَعْضِ الطلاب في القُرىٰ، فكانت تنالُ استحسانَ الناس وارتياحهم، فرأيتُ من المصلحة القيام بتهذيبها وتشذيبها، والزيادة عليها، وإخراجها في كتابٍ، سمّيتُهُ «الصحيح من الأثر في خُطَبِ المِنبرِ»؛ لتعمّ به الفائدةُ.

وقد حرصتُ - بتوفيق الله عزّ وجلّ أن أحشوَ سَمْعَ المستمعِ وقَلْبَهُ بنصوص الوحيَيْن الشريفَيْنِ، فهذا - لَعَمْري - هو الغيثُ المبَارِكُ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ [ق: ٩].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]

وفي «سنن التِّرمذيّ» بسندٍ صحيحٍ، صحّحه الألباني في «صحيح سنن التِّرمذيّ»(١) من حديث المِقْدام بْنِ مَعْدِ يْكَرِبَ - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «ألاَ إني أُوتِيتُ القُرآنَ، ومِثْلَهُ مَعَهُ».

وقدْ يَظُنُّ مَنِ اعتاد الخُطَبَ التي تَزْخَرُ بالسَّجْعِ والترصيعاتِ البيانيَّة - أنَّ البلاغةَ لا توجد في غيرِها، وليس كذلك، ومَن ظَنَّ أنَّ البلاغة في غيرِ كتابِ اللّهِ، وسنةِ رسولِ الله - ﷺ - فما عَرَفَ البلاغة، وإنما عرف صَدَاها.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]

ولقدْ أودع اللّه - عزَّ وجلَّ - معانيَ كتابه في قوالبَ لفظيةٍ عربيَّةٍ، وزيَّنه بروعةِ

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٨٤٨).

الفصاحة، وكساه حُلَّةَ البلاغة وجلالَ الإعجاز، فدُهِشَتْ به العربُ جمعيًا إذ سمعتْهُ، حتىٰ قال قائلهُم[١] : «إنَّ له لَحَلاَوَةً، وإنَّ عليه لَطَلاَوَةً[٢] ، وإنَّه لَمُثْمِرٌ أعْلاهُ، مُغْدِقٌ[٣] أسفَلُهُ، وإنَّه لَيَعْلُو، ولا يُعْلَىٰ عليه، وإنّه لَيَحطمُ ما تحتَهُ»[٤] .

وخَرَّ بعضُهم سجَّدًا تعظيمًا عندما سمعه يُتْلَىٰ، وانجذبتْ إليه صناديدُ الكُفرِ والعناد، فكانوا يستمعون إليه تَلَذُّذًا وإعجابًا، بل انقادتْ إليه قلوبُ العَرَب والعَجَم عندما كشف السِّتار عن جماله، وحاكىٰ العُقول؛ لذلك خالطتْ محبَّتُهُ بشاشةَ القُلوب، حتَّىٰ إنّ نَفَرًا من الجنِّ انقادوا إليه عندما سمعوه يتلىٰ، ورأَوا إعجازَهُ، وأيقنوا بسلطانه.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ لسانهم: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾ [الجن: ١، ٢].[٥]

وبعث الله ـ عزَّ وجلَّ ـ نبيَّه بجوامع الكَلِم، واختصر له الحديث اختصارًا، وفاق العرب في فصاحته وبلاغته، هو القائلَ كما «في صحيح مسلم»[٦] من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ـ: «**أُعْطِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ**».

وأسأل اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعلَ عملَنا خالصًا لوجهه الكريم،

وأن يجعلَنا هُدَاةً مُهتدين

وآخِرُ دَعْوَانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين

---

(١) هو الوليد بن المُغيرة المَخْزوميُّ.
(٢) الطُّلاوة ـ مثلَّثةً ـ: الحُسْنُ والسِّحْر.
(٣) مُغْدق: كثير.
(٤) هذه القصة أخرجها الحاكم في «المستدرك» من حديث عبد الرزَّاق عن مَعْمَرٍ عن أيُّوبَ السَّخْتِيانيِّ عن عِكْرِمةَ عن ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهم ـ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط البُخاريِّ، ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبيُّ (٢/ ٥٠٧)، وأخرجها البيهقيُّ في «دلائل النبوة» عن عبد الرزاق ـ أيضًا ـ كما أخرجها من طريق آخر (٢/ ١٩٨ ـ ٢٠٥).
(٥) انظر كتابي «فن الحوار» (ص٢٢، ٢٣).
(٦) رواه مسلم (٥٢٣).

أركان الإسلام



الخطبة الأولى

١. الشهادتان

أ. شهادة أن لا إله إلا الله



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن الرّكن الأول من أركان الإسلام، وهو شهادةُ «أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ»، وشهادةُ «أن محمّدًا رسولُ الله».

فشهادة «أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ» معناها: توحيدُ المَعْبُودِ، وشهادةُ «أنّ محمدًا رسولُ الله» معناها: توحيدُ المتبوع.

وسوف أتحدَّث في هذه الخطبة عن شهادة «أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ» .

أيُّها الناس، إنّ كلمة التوحيد «لا إله إلاّ اللهُ» هي أصل الإسلام وأساسُهُ، فهي الكلمة الفاصلةُ بَيْنَ الشِّركِ والتوحيد، بَيْنَ الحقِّ والباطلِ، ومعنىٰ كلمة «لا إله إلا الله» أي: لا مَعْبودَ بحقٍّ إلاّ اللّهُ.

وتشتملُ هذه الكلمةُ العظيمةُ علىٰ رُكْنين:

الرُّكْنُ الأوَّل ـ النفْيُ.

الرُّكْنُ الثاني ـ الإثبات.

فالنفي هو قولنا: «لا إلهَ».

والإثبات هو قولنا: «إلاَّ اللّهُ».

فـ«لا إله»: نفْي جميع ما يُعبدُ من دون اللّه.

و«إلاّ اللـه»: إثبات جميع أنواع العبادةِ للهِ ربِّ العالمين وَحْدَهُ لا شريكَ له في عبادته، كما لا شريكَ له في مُلكه ورُبوبيَّتهِ.

وقد جاء معنىٰ هذه الكلمة في آياتٍ كثيرةٍ من كتابِ اللهِ، فمنها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فقولُهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هو معنىٰ: «إلاَّ اللهُ».

وقوله تعالىٰ ـ: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ هو معنىٰ «لا إلهَ».

والطاغوتُ ـ أيُّها الناسُ ـ: هو كُلُّ مَعْبودٍ ـ أو مَتْبوعٍ ـ من دونِ اللهِ.

ومن فوائد هذه الآية أنّ اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر أنه ما من أُمَّةٍ متقدِّمةٍ ـ أو متأخِّرةٍ ـ إلاّ بَعَثَ اللهُ فيهم رسولاً، وكلّهم متَّفقون على كلمة التوحيد «لا إله إلا اللهُ».

وكذلك قولُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وممّا يدلُّ على أنَّ شهادة «أن لا إله إلا الله، وأن محمَّدًا رسولُ الله» ركن من أركان الإسلام ـ ما جاء في «الصحيحين»[١] من حديث ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شَهَادَة أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنّ محمّدًا رسولُ الله، وإقَامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، والحَجِّ، وصَومِ رَمَضَانَ».

ونظرًا لأهمية هذا الركن العظيم؛ فقد أمر اللهُ نبيَّه ـ ﷺ ـ بقتال مَنْ لم يشهد أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ، وأنّ محمّداً رسولُ الله.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ، حتَّى يشهدوا أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنّ محمّدًا رسولُ الله، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤْتُوا الزّكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلاّ بحقِّ الإسلام، وحسابُهُم على الله».

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسولُ اللّه ـ ﷺ ـ يُغيرُ إذا طلع الفجرُ، وكان يَسْتَمعُ الأَذانَ، فإن سمع أذانًا أمسك، وإلاّ أَغَارَ، فسمعَ رجلاً يقول: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «على الفِطْرةِ» ثمَّ قال: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ، أشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ. فقال

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).
(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٣) رواه مسلم (٣٨٢).

رسول الله - ﷺ - : «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ» . فنظروا، فإذا هو راعي مِعْزًى» .

وفضائل كلمة التوحيد «لا إلهَ إلا اللهُ» أكثرُ من أنْ تُحْصَرَ .

فمنها أنّ مَنْ شهدَ أنْ لا إله إلاّ الـلهُ، وأنّ محمّدًا رسولُ الله - ﷺ - فهو معصومُ الدّمِ، والمالَ، و العرْضِ إلاّ بحقِّه.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «لا يحلُّ دمُ امرئ مسلم، يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأنّي رسولُ الله - إلا بإحدى ثلاث: النفسُ بالنّفسِ، والثّيِّبُ الزاني، والمُفارقُ لدينه التاركُ للجماعة» .

ومنها أنّها سببٌ للفوز والفلاح.

أخرج ابن خُزيمةَ في «صحيحه» بسندٍ صحيحٍ ، صحّحه الوادعيُّ في «الصحيح المسند»[2] من حديث طارق المُحاربيِّ - رضي الله عنه - قال : رأيت رسول الله - ﷺ - مرَّ في سوق ذي المجاز ، وعليه حُلَّةٌ حَمْرَاءُ ، وهو يقول : «يأيُّها الناسُ، قولوا: لا إلهَ إلاَّ اللهُ تُفْلحُوا» .

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلاّ اللهُ» أنها أثقلُ شيءٍ في الميزان.

فقد أخرج التِّرمذي في «سننه» ، وابن ماجَهْ بسندٍ صحيح ، صحّحه الوادعيُّ في «الصحيح المسند» [3] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : «إنّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رجلاً من أُمَّتي على رءُوس الخلائق يومَ القيامة، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سجلاًّ، كُلُّ سجلٍّ مثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثمَّ يقولُ: أتُنكرُ منْ هذا شيئًا؟ ،أظَلَمَكَ كَتَبَتي الحافظون؟ فيقول: لا، ياربِّ. فيقول: ألك عذرٌ، أو

---

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) .

(٢) «صحيح ابن خزيمة» (١٥٩)، وصححه الوادعيُّ في «الصحيح المسند» (١/ ٣٨١) .

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٣٩)، وابن ماجَهْ (٤٣٠٠)، وصححه الوادعيُّ في «الصحيح المسند» (١/ ٥٣٥).

حسنةٌ؟ فيبهتُ الرجلُ، فيقولُ: لا ياربِّ. فيقولُ: بلى، إنّ لك عندنا حَسَنَةً، وإنَّه لا ظُلْمَ عليك اليومَ. فتُخرجُ بطاقةٌ فيها: أشهد أنْ لا إله إلا اللّهُ، وأنَّ محمّداً عَبْدُهُ ورسولُهُ، فيقول: أحضرْ وَزْنَكَ. فيقول: ياربِّ، ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلاَّت؟!. فيُقال: فإنك لا تُظلمُ، فتُوضعُ السِّجلاتُ في كفَّة، والبطاقة في كفَّة، فطاشت السِّجلاَّتُ، وثَقُلَت البطاقةُ، فلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شيءٌ».

ومن فضائلها أنه تُفتحُ لها أبواب السماء.

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ حسن، حسَّنه الوادعيُّ في «الصحيح المسند»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما قال عَبْدٌ: لا إلهَ إلاّ اللهُ ـ قَطُّ ـ مُخْلصًا إلاّ فُتحَتْ له أبواب السماء، حتَّى تُفْضي إلى عَرْشِ الرَّحْمنِ، ما اجْتَنَبَ الكبائرَ».

ومن فضائلها أنها سبب في الخروج من النار بعْدَ دخوله فيها.

ففي «الصحيحين»(٢) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنّ النبي ـ ﷺ ـ قال: «يَخْرُجُ من النار مَنْ قال: لا إله إلاّ اللهُ، وفي قَلْبه وزنُ شَعيرة من خير، ويَخْرُجُ من النار مَنْ قال: لا إله إلاّ اللهُ، وفي قَلْبه وَزْنُ بُرَّةٍ من خَيرٍ، ويَخْرُجُ من النارِ مَنْ قال: لا إلهَ إلاّ اللهُ،وفي قَلْبِه وَزْنُ ذَرَّة من خيرٍ».

ومن فضائلها أنها سَبَبٌ للنجاة من النار.

ففي «الصحيحين»(٣) من حديث أبي قَتادةَ قال: حدَّثنا أنسُ بْن مالكٍ: أنّ النبيَّ ـ ﷺ ـ (ومُعاذٌ رَديفُهُ على الرَّحْلِ) قال: «يا معُاذُ بنَ جَبَلٍ» قال: لَبَّيْكَ ـ يا رسولَ الله ـ وسَعْدَيْكَ. قال: «يا مُعاذُ» قال: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ ـ ثلاثًا ـ قال: «ما من أحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ

---

(١) أخرجه الترمذي بسندٍ حسن (٣٥٩٠)، وأخرجه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند» (٢/ ٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

لا إلهَ إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسولُ الله صدْقًا من قلْبه - إلاّ حَرَّمَهُ اللهُ على النار». قال: يا رسولَ الله، أفَلا أُخبِرَ به النَّاس فَيَسْتبشروا؟! قال: «إذًا يتَّكلُوا» وأَخْبَرَ بها مُعاذٌ عندَ موْتِهِ تأثُّمًا (أي تحرُّجًا وخوفًا من الإثم في كَتْمِ العلمِ).

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عُبادة بن الصَّامت - رضي الله عنه - أنه قال - وهو في الموت -: ما مِنْ حديثٍ سمعتُهُ من رسول الله - ﷺ - لكم فيه خيرٌ إلاّ حدَّثْتُكُموهُ، إلا حديثًا واحدًا، وسوف أُحدِّثُكُمُ اليومَ، وقَدْ أُحِيطَ بنفسي، سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ، وأنّ محمّداً رسولُ الله - حرَّمَ اللهُ عليه النارَ».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها سببٌ في دخول الجنة.

ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث عُبادة بن الصَّامت - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، وأنّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ وأنَّ عيسى عَبْدُ الله ورسولُهُ، وكلمتُهُ ألقاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، وأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، والنَّارَ حقٌّ - أَدْخَلَهُ اللهُ الجنَّة على ما كان منَ العَمَلِ».

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث عُثمان بْنِ عفَّانَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ مات - وَهو يَعْلَمُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ - دخل الجنَّةَ».

وفي «الصحيحين»[(٤)] من حديث أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - قال: أتيت النبيَّ - ﷺ - وعليه ثوبٌ أبيضُ، وهو نائمٌ، ثمَّ أتيتُهُ وقد استيقظَ، فقال: «ما مِنْ عبدٍ قال: لا إلهَ إلاّ اللهُ، ثمَّ مات على ذلك - إلاّ دخل الجنَّةَ». قلتُ: وإنْ زَنَى، وإنْ سَرَقَ؟. قال: «وإن زنى، وإن سَرَقَ». قلتُ: وإن زنى، وإن سَرَقَ؟. قال: «وإن زنى، وإن سَرَقَ». قلتُ: وإن زنى، وإن سَرَقَ؟. قال: «وإن زنى، وإن سَرَقَ، على رَغْمِ أنْفِ أبي ذَرٍّ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٣) رواه مسلم (٢٦).
(٤) رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها سبب لنيل شفاعة المصطفى - ﷺ -.

ففي «صحيح البخاري»[١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل: يا رسول الله، منْ أسعدُ الناس بشفاعتك يومَ القيامة؟. قال رسول الله - ﷺ -: «لقد ظننتُ - يا أبا هُريرةَ - ألاَّ يَسْأَلَني عَنْ هذا الحديث أحدٌ أوَّلُ منك؛ لما رأيتُ منْ حرْصك على الحديث، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامة مَنْ قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، خالصًا من قلْبِه أو نفسِه».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلاَّ اللهُ» أنها أعظم سببٍ لمغفرة الذنوب، وتكثير الأُجور.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «مَنْ قال: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وهو على كُل شيءٍ قديرٌ، في يوم مائةَ مرَّةٍ - كانتْ له عَدْلَ عشْرِ رقابٍ، وكُتبتْ له مائةُ حسنة، ومُحيَتْ عَنهُ مائةُ سيئَة، وكانتْ له حرْزًا من الشيطانِ يَوْمَهُ ذلك حتى يُمسيَ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ ممَّا جاء به إلاَّ رجلٌ عَمِلَ أكثرَ منه».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنَّ ذكر «لا إله إلاَّ اللهُ»، خيرٌ من الدنيا وما فيها.

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لأَنْ أَقولَ: سُبحانَ الله، والحمدُ للَّهِ، ولا إله إلاَّ اللهُ، واللهُ أكبرُ - أحبُّ إليَّ ممَّا طلعتْ عليه الشمسُ».

وأستغفرُ اللَّهَ.

---

(١) رواه البخاري (٩٩).
(٢) رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).
(٣) رواه مسلم (٢٦٩٥).



الخطبة الثانية

شروط «لا إله إلا الله»



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلينَ:

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناس، تقدم الحديث معكم عن معنى كلمة التوحيد، وشيءٍ من فضائلها، والآن حديثي معكم عن شروطها.

أيّها الناسُ، لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ثمانيةُ شروط، ذكرها أهل العلم، وهي كلُّها مأخوذة من كتاب الله، وسنةِ رسول الله ـ ﷺ ـ، وسوف أذكرها بأدلتها، فأعيروني أسماعكم.

الشرطُ الأوَّلُ ـ العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا:

والمراد بالعلم هنا العلمُ المنافي للجهل بالمعنى الذي دلَّت عليه، ولذلك قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

إذْ لابُدَّ من علمٍ، أمّا أنْ يقولهَا الشخصُ، وهو لا يدري، فإنه لا يكون بذلك ناجيًا، ولا يكون بذلك مُسلمًا، ولو أن شخصًا أعجميًّا كافرًا ـ نصرانيًّا أو يهوديًّا أو مجوسيًّا ـ سمع رجلاً يقول: «لا إله إلاَّ اللهُ» بالعربية، فقالها ـ لم يكن بذلك مسلمًا، حتى يعلم معناها، ويعتقد ويعمل بمقتضاها.

وقوله تعالى ـ: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فسَّرها ابنُ عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: إلا من شهد بالحقِّ: يعني بـ«لا إلهَ إلاَّ اللهُ». وهم يعلمون أي: يعلمون ما دلَّت عليه[1].

---

(١) انظر رسالة بعنوان «فاعلم أنه لا إله إلا الله» لبشر البشر (ص٣٤، ٣٥).

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عُثمانَ رَضي الله عنه ـ قال: رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ ماتَ ـ وهو يعلم أن لا إله إلاَّ اللهُ ـ دخلَ الجنَّة».

والجهل بمعناها ـ أيُّها الناسُ ـ هو الذي أوقع كثيراً من الناس في الشرك، حيث جهلوا معنىٰ «لا إله إلا الله»، فجهلوا معنىٰ الإله، وأنّ الإله هو المعبود، وجهلوا مدلولَ النفي، ومدلولَ الإثبات، بعكس المشركين السابقين حيث كانوا يعرفون معناها؛ لأنهم أهل الفصاحة والبلاغة، فرفضوها لَمَّا قالها لهمُ النبيُّ ـ ﷺ ـ، قالوا له: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

أيُّها الناسُ، هؤلاء المشركون عرفوا معناها، فيا لله! كم من أناسٍ في زماننا جهلوا معناها، فعبدوا القبور، وعكَفَوا عليها، ونذروا لأهلها، وذبحوا لهم، ودعوهم من دون الله، فإنا لله، وإنا إليه راجعون!.

الشرط الثاني ـ اليقين:

أي أن يقولها الشخصُ بيقينٍ، فيتيقَّنُ قلبُهُ بها، ويعتقد صحّة ما يقوله. وضدُّ اليقين الشَّك والرَّيبُ، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأني رسولُ الله لا يَلْقى اللَّهَ بهما عبْدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلاَّ دَخَلَ الجنَّةَ». فمن قالها وهو شاكٌّ في صحّتها ـ كان بذلك كافراً.

الشرط الثالث ـ القَبُول:

والقَبُولُ ينافي الرَّدَّ، فلا يَرُدُّ شيئًا من معانيها، وقد كان زُعماءُ المُشركين يعرفون معنىٰ «لا إله إلا الله»، ويعرفون صِدْقَ النبي ـ ﷺ ـ، ومع ذلك استكبروا عن قَبُول الحقِّ والهُدَىٰ.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه مسلم (٢٧).

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ، حتَّى يشهدوا أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني مالَهُ ونَفْسَهُ إلاَّ بحقِّ الإسلام، وحسابُهُ على الله - عزَّ وجلَّ -».

الشرط الرابع - الانقياد والاستسلام:

أي ينقاد لها، ويستسلمُ ويُذْعِنُ.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

الشرط الخامس - الصِّدقُ المُنافي للكذب:

فأمَّا مَنْ قالها كاذبًا، فإنها لا تنفعُهُ.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - أن المنافقين كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ولكنهم في باطن الأمر يكذبون. فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

الشرط السادس - الإخلاص:

أن يقولها بإخلاص، وضدُّ الإخلاص الشِّرك، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

وفي «صحيح البخاري»(٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وقد سُئِلَ

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٢) تقدم تخريجه.

رسولُ الله - ﷺ - : مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتِك؟ فقال: «أسعدُ الناسِ بشفاعتي مَنْ قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، خالصًا مُنْ قَلْبِه».

الشرط السابع - المحبة:

فيقولها المسلمُ مُحبًّا لها.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيحين»[1] من حديث أنسٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأنْ يُحبَّ المَرْءَ لا يُحبُّهُ إلاَّ لله، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرَ - بَعْدَ أنْ أَنْقَذَهُ اللهُ منه - كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ».

الشرط الثامن - الكفر بالطواغيت:

وهي المَعْبُوداتُ من دونِ الله، فمن قال: لا إله إلا الله، ثمَّ عَبَدَ غيرَ الله - بدعاءٍ، أو ذَبْحٍ، أو نَذْرٍ - فهو مشركٌ بالله - سبحانه وتعالىٰ - الشِّرْكَ الأكبرَ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وفي «صحيحِ مسلم»[2] من حديث طارق بن أُشَيْمٍ قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من قال: لا إلَه إلاَّ اللهُ، وكَفَرَ بما يُعبدُ مِنْ دونِ الله - حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ، وحسابُهُ على الله».

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

---

(١) رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).
(٢) رواه مسلم (٢٣).



إن الحمدَ لله، نَحمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن شهادةِ «أنَّ محمَّداً رسول الله»، والحديث عن هذه الكلمة العظيمة ذو شُجُونٍ.

أيُّها الناسُ، إنَّ معنى هذه الكلمة العظيمة هو: الاعتقاد الجازم بأنَّ محمَّداً رسولُ الله ـ ﷺ ـ مُرسلٌ من ربِّه، فنصدِّقه فيما أَخْبَرَ، ونطيعُهُ فيما أَمَرَ، ونتركُ ما نهىٰ عنه وزَجَرَ، ونَعْبُدُ اللهَ بما شَرَعَ.

وقُرِنَتْ شهادة «أنَّ محـمَّدًا رسول الله» بشهادة «أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ» لحِكَمٍ عظيمة، ومعانٍ جليلة تدلُّ عليها، ومنها:

الأمرُ الأوَّلُ ـ وُجوبُ محبَّته صلى الله عليه وسلم :

ومحبَّتُهُ ـ ﷺ ـ أصل عظيمٌ من أصول الإيمان، فلا يكونُ المَرْءُ مُؤمنًا إلاَّ بها، ولا إيمانَ لمَنْ لم يكنِ الرسولُ ـ ﷺ ـ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناسِ أجمعين.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة: ٢٤].

ومن أعظم مَنْ فسَّر هذه الآية القاضي عِياضٌ في كتابه الماتع «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ـ ﷺ ـ»[١].

قال ـ رحمه الله ـ: «فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالةً وحُجَّةً على إلزام محبَّته، ووجوبِ فَرْضِها، وعِظَمِ خَطَرِها، واستحقاقِهِ لها ـ ﷺ ـ؛ إذْ قرَّع اللهُ مَنْ كان مالُهُ، وأهلُهُ، وولدُهُ أحبَّ إليه من اللهِ ورسولِهِ، وتوعَّدهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿**فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾، ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنَّهم ممَّن أضلَّ، ولم يَهْدِهِ اللهُ».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أَنَسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: **«لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من والدِهِ، وولدِهِ، والنَّاسِ أجْمعينَ».**

وفي «صحيح البخاريِّ»[٣] من حديث عبد الله بن هِشامٍ قال: كُنَّا مع النبيِّ ـ ﷺ ـ،

---

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (ص١٨).
(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).
(٣) رواه البخاري (٦٦٣٢).

وهو آخذٌ بيدِ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ، فقال له عُمَرُ: يا رسولَ اللهِ، لأَنْتَ أحبُّ إليَّ من كُلِّ شيءٍ إلاَّ من نفسي. فقال النبيُّ - ﷺ -: «لا- والذي نفسي بيده - حتَّى أكونَ أحبَّ إليك منْ نَفْسكَ». فقال لهُ عُمَرُ: فإنه الآنَ - والله - لأَنْتَ أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال النبيُّ - ﷺ -: «الآنَ يا عُمَرُ».

قال الحافظ ابن حَجَرٍ - رحمه الله -: «أي: الآن عرفت، فنطقت بما يجبُ»[1].

ومحبَّةُ النبيِّ - ﷺ - (أيُّها الناس) هي موافقة لُمراد اللهِ في محبَّته لنبيِّه - ﷺ - وتعظيمه له، فقد أقسم بحياتِهِ، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

كما أثنى عليه، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

واتخذه - سبحانه وتعالى - خليلاً.

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لوكنتُ مُتَّخذًا خليلاً، لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنَّه أخي وصاحبي، وقد اتَّخذ اللهُ - سبحانه وتعالى - صاحبَكُمْ خليلاً».

ألاَ يا مُحبَّ المُصْطفى زِدْ صَبَابةً ... وضَمِّخْ لسانَ الذِّكْرِ منْكَ بطِيْبِهِ
ولا تعْبَأَنَّ بالمُبْطلينَ؛ فإنَّما ... علامةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ حَبيبِهِ

الأمر الثاني - طاعته - ﷺ -:

وهذا الأمر - أيها الناس - من أعظم لوازم محبّته والإيمان به.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

---

(١) «الفتح» (١١/ ٥٣٦).
(٢) رواه مسلم (٢٣٨٣).

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

وجاء أمر الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في وجوب طاعة الرسول ـ ﷺ ـ، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وأمر ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالرَّدِّ عند التنازع إلىٰ الله والرسول، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

ومن اعتقد ـ أيُّها الناسُ ـ أنَّ أحداً يَسَعُهُ الخروجُ عن طاعةِ الرسول ـ ﷺ ـ، أو الوصولُ إلىٰ الله من غيرِ سلوكِ طريقته ـ فقدْ كَفَرَ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

فتبيَّن من ذلك ـ أيها الناس ـ أنَّ طاعةَ الرسول ـ ﷺ ـ هي دليلُ محبَّته، وكلَّما ازداد الحُبُّ زادت الطاعات؛ ولهذا قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

فالطاعةُ ثَمَرةُ المحبَّة، وفي هذا يقول أحدُ الشُّعراء:

تَعْصي الإلهَ، وأنت تَزعُمُ حبَّهُ ... ذاك ـ لَعَمْري ـ في القياسِ بديعُ
لوكان حُبُّكَ صادقًا لأطَعْتَهُ ... إنَّ المُحبَّ لَمَنْ أحبَّ مُطيعُ

الأمر الثالث ـ تصديقه في كلِّ ما أخبرَ:

وهذا الأمر ـ أيُّها الناسُ ـ أصل من أصول الإيمان بعصمة النبيِّ ـ ﷺ ـ من الكذب والبُهتان، وتصديقه في كُلِّ ما أخبر من أمر الماضي، أو الحاضرِ، أو المُستقبلِ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

وبهذا يُعْلَمُ - أيُّها الناسُ - أنَّه مَنْ ردَّ شيئًا ممَّا جاء به الرسول - ﷺ -، وكذَّبه فيه - فهو كافر، سواء كان ردُّه اتباعًا للهوىٰ، أو لشريعةٍ منسوخةٍ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«والذي نفسي بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأُمَّة - يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ - ثمَّ يموتُ، ولم يُؤْمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به - إلاَّ كان من أصحابِ النَّار»**.

وأخرج الحاكمُ في «مُستدركِه» بسندٍ صحيحٍ، صحّحه الألبانيُّ لشواهده(٢) من حديث عائشةَ - رضي الله عنها - قالتْ: «لما أُسْريَ بالنبيِّ - ﷺ - إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ، أَصْبَحَ يتحدَّثُ الناسُ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممَّن كانوا آمنوا به وصدَّقوه، وسَعَوا بذلك إلىٰ أبي بكر - رضي الله عنه -، قالوا: هَلْ لك إلىٰ صاحبك، يَزْعُمُ أنَّه أُسْرِيَ به اللَّيلةَ إلىٰ بيت المقدس؟!

قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نَعَمْ. قال: لَئِنْ كان قال ذلك لَقَدْ صَدَقَ، قالوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أنَّه ذهب اللَّيلةَ إلىٰ بيتِ المقدسِ، وجاء قَبْلَ أنْ يُصبحَ؟! قال: نَعَمْ، إنِّي لأُصدِّقُهُ فيما هو أَبْعَدُ منْ ذلك، أُصدِّقُهُ بخَبَرِ السَّماءِ في غَدْوَةٍ أو رَوْحَةٍ. فلذلك سُمِّيَ الصِّدِّيقَ».

وفي «صحيح البخاري»(٣) من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: سمعتُ

---

(١) رواه مسلم (١٥٣).
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢)، وقال: صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني لشواهده في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٦).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٣).

رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «بَيْنَما راعٍ في غَنَمه، عدا عليه الذِّئبُ، فأَخَذَ منها شاةً، فطَلَبَهُ الرَّاعي، فالتفت إليه الذِّئبُ، فقال: مَنْ لها يومَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لها راعٍ غيري؟

بَيْنَما رجلٌ يسوقُ بَقَرَةً، قد حَمَلَ عليها، فالتفتَتْ إليْه فكلَّمَتْهُ، فقالتْ: إني لم أُخْلَقْ لهذا، لكنِّي خُلقْتُ للحَرْث» قال الناس: سُبحان الله! فقال النبيُّ ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ: «فإنِّي أُومِنُ بذلك، وأبو بكرٍ، وعُمَرُ».

الأمر الرابع ـ التحاكم إلى سُنَّة النَّبيِّ ـ ﷺ ـ:

وهذا الأمر ـ أيُّها الناسُ ـ أصل من أصول الإيمان، فلا إيمانَ لَمَنْ لم يحتكمْ إلى شريعته، ويُسلِّم تسليمًا، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث عبد الله بن الزُّبَيْرِ ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رجلاً من الأنصار خاصم الزُّبيرَ عندَ رسول الله ـ ﷺ ـ، في شِراجِ الحَرَّةِ التي يَسْقُونَ بها النَّخْلَ، فقال الأنصاريُّ: سَرِّحِ الماءَ يَمُرُّ. فأبى عليهم.

فاختصموا عندَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ للزُّبَيْر: «اسْقِ ـ يا زُبَيْرُ ـ ثمَّ أَرْسِلِ الماءَ إلى جارِكَ».

فَغَضِبَ الأنصاريُّ، فقال: يا رسولَ الله، أَنْ كان ابْنَ عمَّتِكَ؟!. فتلوَّنَ وجهُ نبيِّ الله ـ ﷺ ـ، ثمَّ قال: «يا زُبَيْرُ، اسْقِ، ثمَّ احْبِسِ الماءَ، حتَّى يَرْجِعَ إلى الجَدْرِ» فقال الزُّبَيْرُ: واللهِ، إني لأَحْسِبُ هذه الآية نَزلتْ في ذلك: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧)، واللَّفظ له.



الخطبة الثانية

الاتبـــاع



الحمـدُ لله ربِّ العـالمين، والصـلاةُ والسـلامُ علىٰ أشـرف المرسلين، وعلىٰ آله وصحْبِه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، تقـدَّم الحديثُ معكـمْ عن معنىٰ شهـادة «أنَّ محمَّدًا رسولُ الله» فذكرت أربعة أُمورٍ، وهي:

وجوبُ محبَّته، وطاعتُهُ، وتصديقُهُ في كُلِّ ما أخبر، والتحاكمُ إلىٰ سُنَّتِه.

وفيما يأتي الحديث عن الأمر الخامس، وهو: وجوب اتِّباعه.

واتِّبـاع النبيِّ - ﷺ - أحـدُ ركـائز دين الإسـلام، بل إنَّ الإسـلامَ يقـوم علىٰ أصلين أساسيَّين، هما:

الإخلاص، والمتابعةُ.

فالإخلاصُ وإفـرادُ الله بالعبـادة هـو حقيقـةُ إيمـان العبد وشهادته بأن لا إله إلا الله، والاتِّباعُ والتأسِّي برسول الله - ﷺ - هو حقيقة إيمان العبد وشهادته بأنَّ محمَّدًا رسولُ الله.

فتبيَّن - أيها الناسُ - أنَّه لا يتحقَّقُ إسلامُ عَبْدٍ، ولا يُقْبَلُ منه قولٌ، ولا عملٌ، ولا اعتقادٌ - إلاَّ إذا حقَّق هذين الأصلين (الإخلاص، والاتِّباع)، وأتىٰ بمقتضاهما.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: ١١٠].

قال شارح الطحاويَّة: «فهما توحيدان، لا نَجاةَ للعبد من عذابِ الله إلاَّ بهما:

توحيدُ المُرْسِلِ، وتوحيدُ متابعةِ الرَّسولِ»(١) .

ويُعـرَّفُ الاتِّبـاعُ ـ أيهـا الناسُ ـ بأنه: الاقتـداء والتـأسِّي بالنبيِّ ـ ﷺ ـ في الاعتقاداتِ، والأقوالِ، والأفعال، والتُّروكِ ـ بعمل مثل عمله، على الوجه الذي عمله ـ ﷺ ـ من أجل أنه عَمِلَهُ.

والاتِّبـاع ـ أيها الناس ـ هو دليل محبة اللَّه، ويدلُّ على ذلك قـولُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيـميَّةَ ـ رحمه الله ـ: «مِمَّا ينبغي التَّفَطُّنُ له أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال في كتابه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، قال طائفةٌ من السَّلف: ادَّعى قومٌ على عَهْدِ رسول الله ـ ﷺ ـ أنهم يُحبُّون الله، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فبيَّن ـ سبحانه ـ أنَّ محبَّتَهُ توجبُ اتباعَ الرسول ـ ﷺ ـ، وأنَّ اتِّباعَ الرسول ـ ﷺ ـ يُوجِبُ محبَّةَ الله للعبد، وهذه محبَّةٌ امتحن اللهُ بها أهلَ دعوى محبَّة الله؛ فإنَّ هذا البابَ تكثرُ فيه الدعاوى والاشتباه»(٢) .

ويقـول ابن كثير: «هذه الآية حاكمة على كُلِّ مَنِ ادَّعى محبَّةَ الله، وليس هو على الطريقة المحمَّديَّة، فإنَّه كاذبٌ في دَعْوَاهُ في نفسِ الأمرِ، حتى يتَّبعَ الشَّرْعَ المحمَّديَّ، والدِّينَ المحمَّديَّ في جميع أقوالِهِ وأفعالِه»(٣) .

وقال العلامة ابن القيِّم: «قال: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ إشارةً إلى دليلِ المحبَّة، وثَمَرتُها وفائدتُها، فدليلُها وعلامتُها: اتِّباعُ الرسولِ، وفائدتُها وثمرتُها: محبَّةُ المُرْسِلِ لكم، فما لم تحصلِ المتابعةُ فليستْ محبَّتُكُم له حاصلةً، محبَّتُهُ لكم مُنتفية»(٤) .

---

(١) «شرح الطحاوية» (١/ ٢٢٨).
(٢) «الفتاوى لابن تيمية» (١٠/ ٨١).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٥٨).
(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٢).

ويقول: «وثباتُها - أي محبَّة الله - في القلب إنَّما يكونُ بمتابعة الرسول في أعمالِه، وأقوالِه، وأخلاقِه، فبحَسْبِ هذا الاتِّباعِ يكونُ منشأُ هذه المحبَّةِ وثباتُها وقوَّتُها، وبحَسْبِ نُقْصانِه يكونُ نُقْصَانُها»(١).

أيها الناسُ، إنَّ حُبَّ اللهِ ليس كلماتٍ تُقال، ولا قَصَصًا تُرْوَىٰ، فكذلك محبَّة رسول الله - ﷺ - ليستْ دعوةً باللِّسان، ولا هيامًا بالوِجْدانِ وكفىٰ، بل لابُدَّ أنْ يُصاحبَ ذلك الاتِّباعُ لرسول الله - ﷺ -، والسَّيرُ علىٰ هُداه، فالمحبَّة ليستْ ترانيمَ تُغَنَّىٰ، ولا قصائدَ تُنْشَدُ، ولا كلماتٍ تُقالُ، ولكنها الاقتداءُ والتأسِّي به - ﷺ - ظاهراً وباطنًا، فإنَّ الطُّرُقَ إلىٰ الله كُلُّها مسدودةٌ إلاَّ طريقةَ - رسولِ الله - ﷺ -(٢).

قال الجُنَيْدُ بْنُ محمَّد: «الطُّرقُ إلىٰ الله - سبحانه وتعالىٰ - كُلُّها مسدودةٌ علىٰ الخلق إلا مَنِ اقتفىٰ أثرَ الرسولِ - ﷺ -، واتَّبع سنَّتَهُ، ولَزِمَ طريقَتَهُ؛ فإنَّ طُرقَ الخَيْراتِ كُلُّها مفتوحةٌ عليه، كما قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٢١](٣).

اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك عِلْمًا نافعًا، ورزقًا طيِّبًا، وعملاً مُتَقَبَّلاً.

اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنا علىٰ طاعتِكَ.

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٣٧).

(٢) انظر «دراسات تربويَّة في الأحاديث النبويَّة» لمحمد لقمان الأعظميّ (ص٢٨، ٢٩) بتصرُّفٍ.

(٣) «الحلية» لأبي نُعَيْم (١٠/ ٢٥٧)، «وتلبيس إبليس» لابن الجَوزيّ (ص١٩).



الخطبة الأولى

من مُعجزات النبي - صلى الله عليه وسلم -

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيِّئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - صلى الله عليه وسلم -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنّ الله - سبحانه وتعالى - أيَّدَ أنبياءَهُ ورُسُلَهُ بالمُعجزاتِ الباهراتِ، والدَّلائلِ القاطعاتِ، والحُجَجِ الواضحاتِ؛ ما يدُلُّ على صِدْقِ دعواهُمْ أنَّهم رُسُلُ اللهِ، فأعطى اللهُ - سبحانه وتعالى - كُلَّ نبيٍّ من الأنبياء - عليهم السلامُ - مُعْجزةً خاصَّةً به، لم يُعْطِهَا غَيْرَهُ، تحدَّى بها قَوْمَهُ، وكانت مُعْجزةُ كلِّ نبيٍّ تقعُ مُناسبةً لِحالِ قومِهِ، وأهلِ زمانِهِ.

فالغالب على زمان موسى - عليه السلام - السِّحْرُ، فبعثه الله بمعجزةٍ بَهَرَتِ

الأبصارَ، وحيَّرتْ كُلَّ سَحَّارٍ.

والغالبُ على زمانِ عيسى ـ عليه السلام ـ الطبُّ، فجاءهم من الآيات البيِّنات بما لا قِبَلَ لهم به، ولا سبيل لأحدٍ عليه، وهو شفاءُ الأمراضِ المُسْتعصية: كالأَكْمَه، والأَبْرَصِ، بل وإحياء الموتى بإذْنِ ـ الله ـ.

وأمَّا نبيُّنا محمَّدٌ ـ ﷺ ـ فقد بُعثَ في زمانِ الفصَحَاء والبُلَغاء، وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتابٍ من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فتحدَّاهم ودعاهم أن يُعَارِضُوهُ، ويأتوا بمثلِه، وليستعينوا بمن شاءوا، وهَيْهاتَ!.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

أيها الناس، لقد كان ادِّعاءُ هؤلاءِ الفُصَحاءِ أنَّ القُرآنَ مَحْضُ افتراءٍ، فتحدَّاهم اللهُ أنْ يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، فتقاصر معهم إلى عَشْرِ سُورٍ منه، ثمَّ أعاد التحدِّي إلى سورةٍ واحدةٍ، فعجزوا أن يأتوا بآيةٍ واحدةٍ!.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [هود: ١٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [يونس: ٣٨].

وكما أعاد الله ـ سبحانه وتعالى ـ التحدِّي في سورةِ يُونُسَ ـ وهي مكيّة ـ أعاد التحدِّي في سورة البقرة ـ وهي مدنيَّة ـ، وأخبر ـ سبحانه وتعالى أنَّ عَجْزَهُمْ عن الإتيان بسورةٍ مثله مستمرٌّ إلى يوم القيامة، فقال: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ**

صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٢٣، ٢٤].

وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «بيَّن ـ تعالىٰ ـ أنَّ الخلق عاجِزُونَ عن معارضَةِ هذا القرآن، بل عن عَشْرِ سُورٍ مثلِه، بل عن سورةٍ مِنْه، وأنَّهم لا يستطيعون ذلك أبداً كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ أي فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحدٍّ ثانٍ، وهو أنَّه لا يُمْكِنُ معارضَتُهُمْ لهُ لا في الحالِ، ولا في المآلِ، ومِثْلُ هذا التَّحدِّي إنَّما يَصْدُرُ عن واثقٍ بأنَّ ما جاء به لا يمكنُ للبشر مُعارضَتُهُ، ولا الإتيانُ بمثلِه، ولو كان من متقوِّلٍ من عند نفسِه، لخاف أن يُعارَضَ فيفتضحَ، ويعودَ عليه نقيضُ ما قَصَدَ من متابعةِ النَّاسِ لَهُ.

ومعلومٌ لكل ذي لُبٍّ أنَّ محمَّداً ـ ﷺ ـ من أعْقَلِ خَلْقِ الله، بل أعْقَلُهُمْ وأكْمَلُهُمْ علىٰ الإطلاق في نفسِ الأمرِ، فما كان لِيُقْدِمَ علىٰ هذا الأمرِ إلاَّ وهو عالمٌ بأنَّه لا يمكن معارضَتُهُ، وهكذا وقَعَ؛ فإنَّهُ من لَدُنْ رسُولِ الله ـ ﷺ ـ، وإلىٰ زماننا هذا لم يستطعْ أحدٌ أن يأتيَ بنظيرِه، ولا نظيرِ سُورةٍ منه، وهذا لا سبيلَ إليه أبداً؛ فإنه كلامُ ربِّ العالمين الذي لا يُشْبِهُهُ شيءٌ من خلقه: لا في ذاتِه، ولا في صفاتِه، ولا في أفعالِه، فأنَّىٰ يُشْبِهُ كلامُ المخلوقين كلامَ الخالقِ؟!»[1].

أيها الناسُ، إنَّ المُعجِزَات لنبيِّنا ـ ﷺ ـ كثيرة، لكنَّ أجلَّها وأعظمها القرآن الكريم، وفيه الكفاية لمن أراد الله له الهداية إلىٰ الصراط المستقيم، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبيُّ ـ

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٦٥، ٦٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

ﷺ ـ: «ما منَ الأنبياء نبيٌّ إلاَّ أُعْطِيَ من الآيات ما مثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كان الذي أُوْتيتُهُ وَحْيًا أَوْحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهُمْ تابعًا يومَ القيامة».

والمعنىٰ: أنَّ المُعجزاتِ التي أُوتِيَهَا الأنبياءُ قدِ انتهتْ بانتهاءِ وقْتِها، أمَّا مُعجزةُ القرآنِ فباقيةٌ مستمرَّةٌ إلىٰ يومِ القيامةِ.

قال الحافظ ابن حَجَرٍ ـ رحمه الله ـ: «وقد جَمعَ بَعْضُهم إعجازَ القرآنِ في أربعةِ أشياءَ:

أحدها ـ حُسْنُ سياقِهِ والتئام كَلمِهِ مع الإيجازِ والبلاَغَةِ.

ثانيها ـ صُورةُ سياقِهِ وأُسلُوبِهِ المخَالِفِ لأساليب أهل البلاغةِ من العرب نَظْمًا ونَثْرًا، حتّىٰ حارتْ فيه عُقُولُهم، ولَم يهتدوا إلىٰ الإتيان بشيءٍ مِثْلِهِ مع توفُّرِ دواعيهم علىٰ تحصيلِ ذلك، وتَقْريعِهِ لهم علىٰ العَجزِ عنه.

ثالثها ـ ما اشْتَمَلَ عليه من الإخْبار عمّا مضىٰ من أحوالِ الأُمم السَّالِفَةِ والشرائعِ الداثِرةِ، مِمّا كان لا يَعْلَمُ منهُ بَعْضَهُ إلاَّ النَّادِرُ من أهلِ الكتابِ.

رابعها ـ الإخبارُ عمّا سيأتي من الكوائنِ التي وقع بعضُها في العصر النبويِّ، وبعضُهَا بَعْدَهُ.

ومن غير هذه الأربعة آياتٌ وردت بتعجيز قومٍ في قضايا أنَّهم لا يفعلونها، وعجزوا عنها مع توفُّر دواعيهم علىٰ تكذيبه: كتمنِّي اليهودِ الموتَ، ومنها الرَّوعَةُ التي تَحْصُلُ لسامعيه، وفيها أنَّ قارِئَهُ لا يَمَلُّ من تَرْداده، وسامعَهُ لا يَمُجُّهُ، ولا يزداد بكَثْرَةِ التَّكْرارِ إلاَّ طَراوةً ولَذَاذةً. ومنها أنَّه آيةٌ باقيةٌ ما بَقِيَتِ الدُّنيا، ومنها جمْعُهُ لعُلُوْمٍ ومعارِفَ لا تنقضي عجائبُها، ولا تَنْتَهي فوائِدُها»[1].

(١) انظر «فتح الباري» (٨/ ٦٢٣، ٦٢٤)، وقد لَخَّص الحافظ ذلك من كلام عِياضٍ وغيرِهِ.

أيها الناس، ومن مُعجزات النبي ـ ﷺ ـ مُعجزة الإسراء والمعراج،
والحديث عن معجزة الإسراء والمعراج ذو شُجُونٍ، بل يحتاج إلى خطبةٍ كاملةٍ، ولكن شُهْرتها تُغني عن سَرْدِها، فهي صحيحة، رواها الإمام مسلم[١] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «**أُتيْتُ بالبُراق (وهو دابَّةٌ أبيضُ طويلٌ، فوقَ الحمار ودُونَ البَغْلِ، يَضَعُ حافرَهُ عنْدَ مُنتهى طَرْفه)، فَرَكبْتُهُ حتَّى أتيتُ بيتَ المَقْدسِ فربطْتُهُ بالحَلْقَة التي يَرْبطُ بها الأنبياءُ، ثمَّ دخلتُ المَسجدَ، فصلَّيتُ فيه ركعتين، ثمَّ خرجتُ فجاءني جِبْريلُ بإناء من خَمْر، وإناء من لَبَن، فاخترتُ اللَّبَنَ، فقال جبْريل ـ عليه السلامُ ـ: اخترتَ الفطْرةَ. ثمَّ عُرِجَ بنا إلى السماء ـ وفيه ـ ثمَّ ذَهَبَ بي إلى السِّدْرة المُنْتهى، وإذا ورَقُها كآذَان الفيلَة، وإذا ثَمَرُها كالقلال ـ قال: ـ فلمَّا غَشيَها من أمر الله ما غَشيَ تغيَّرتْ، فما أحدٌ من خَلْقِ الله يستطيعُ أن يَنْعَتَهَا من حُسْنها، فَأَوْحَى اللهُ إليَّ ما أَوْحَى**».

أيها الناس، هذه مُعجزة الإسراء والمعراج التي أيَّدَ اللهُ بها نبيَّنا ـ محمَّداً ـ ﷺ ـ، اضطررتُ لاختصارِها لشُهْرَتِها؛ ولأنَّ في سَرْدِها ما تَحْتَاجُ إلى خُطبةٍ كاملةٍ.

ومن معجزات النبي ـ ﷺ ـ رَفْعُ بيت المقدسِ؛ حتى يَرَاهُ ـ وهو بمكَّةَ ـ:

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول اللـه ـ ﷺ ـ: «**لقد رأَيْتُني في الحِجْر، وقريشٌ تسألُني عَنْ مَسْرَايَ (أي عن الإسراء والمعراج) فسألَتْني عن أشياءَ من بيت المَقْدسِ لم أُثْبتْها؛ فكَرِبْتُ كُرْبةً ما كَرِبْتُ مثْلَها قَطُّ ـ قال: ـ فرفعَهُ الله لي أنظرُ إليه، ما يسألُوني عَنْ شيءٍ إلاَّ أنبأتُهم به**».

ومن معجزات النبيِّ ـ ﷺ ـ انشقاقُ القَمر:

ففي «الصحيحين»[٣] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ أهلَ مكَّةَ

---

(١) رواه مسلم (١٦٢).
(٢) رواه مسلم (١٧٢).
(٣) رواه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

سألوا رسولَ الله - ﷺ - أن يُرِيَهُم آيةً، فأراهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حتى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا». وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - هذه المُعجزة في كتابه العزيز، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ١-٥].

أيها الناس، إنَّه مع عِظَم هذه المعجزة، فإنَّ أهل مكَّة استمرُّوا على كُفرهم وإعراضهم، وقالوا: سَحَرَنَا محمّدٌ، لكن العقلاء منهم قالوا: لئن كان سَحَرَنا ما يستطيع أنْ يَسْحَرَ النّاسَ كُلَّهم، فسألوا مَنْ قَدِمَ عليهم من المسافرين، فأخبروهم بنظيرِ ما شاهدوه، فعلموا صحَّة ذلك.

ومن معجزات النبيِّ - ﷺ - تكثيرُهُ الماءَ، ونبعُهُ مِنْ بَيْنِ أصابعِهِ الشريفة - ﷺ -:

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: «عَطِشَ الناسُ يومَ الحُدَيْبِيَة، والنبيُّ - ﷺ - بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ (أي: إناءٌ صغيرٌ من جِلْدٍ يشربُ منه الماءَ) فتوضَّأَ، فَجَهِشَ الناسُ نَحْوَهُ (أي: فَزِعُوا إليه من شدَّة العَطَشِ) فقال: «مالكم؟!». قالوا: ليس عندنا ماءٌ نتوضَّأُ، ولا نشربُ إلاَّ ما بَيْنَ يَدَيْكَ، فوضَعَ يَدَهُ في الرَّكْوَة، فجعل الماءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصابِعِه كأمثالِ العُيُون، فشربْنا وتوضَّأْنا. قُلْتُ: كم كُنتم؟. قال: لو كُنَّا مائةَ ألفٍ لكفَانَا، كنَّا خَمْسَ عَشْرةَ مائةً».

ومن معجزات النبيِّ - ﷺ - تكثيرُهُ الطَّعامَ والشَّرابَ:

ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: «لمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رأيتُ برسولِ الله - ﷺ - خَمَصًا (أي: جُوعًا)، فانكفأْتُ (أي: رَجَعْتُ)

---

(١) رواه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).
(٢) رواه البخاري (٤١٠٣)، ومسلم (٢٠٣٩)، واللفظ له.

إلىٰ امرأتي، فقلتُ لها: هل عندك شيءٌ؟ فإنّي رأيتُ برسول الله - ﷺ - خَمَصًا شديدًا. فأخرجتْ لي جِرابًا فيه صاعٌ من شعيرٍ، ولنا بُهَيمةٌ داجِنٌ (أي: آلفةُ البيت) فَذَبَحْتُهَا وطَحَنَتْ (أي: الشَّعير) ففَرَغَتْ إلىٰ فَرَاغي، فقطَّعْتُها في بُرْمَتِها، ثمَّ ولَّيتُ إلىٰ رسولِ الله، فقالت: لا تَفْضَحْني برسول الله - ﷺ - ومَنْ مَعَهُ. قال: فَجِئْتُهُ فسارَرْتُهُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنّا قدْ ذَبَحْنا بُهيمةً لنا، وطَحَنَتْ صاعًا من شعيرٍ كان عندنا، فَتَعالَ أنت في نَفَرٍ معك. فَصَاحَ رسُولُ الله - ﷺ - وقال: «يـا أهْـلَ الخَنْدَقِ، إنَّ جابرًا قد صَنَعَ لكم سُوْرًا (أي: ضيافةً) فَحَيَّهَلاً بكم».

وقال رسول الله - ﷺ - : «لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، ولا تُخْبَزُنَّ عَجِينَتَكُم حتى أَجِيءَ» فجئتُ وجاء رسولُ الله - ﷺ - يَقْدُمُ النَّاسَ (أي: يتقدَّمهم)، حتَّىٰ جئْتُ امرأتي فقالتْ: بِكَ وبِكَ (قال أهل العلم: أي: ذَمَّتْهُ ودَعَتْ عليه، ومعناه: بك تَلْحَقُ الفضيحةُ، ويتعلق الذَّمُّ. وقيل: معناه: جرىٰ هذا برأيكَ، وسُوءِ نَظَرِك؛ إذ كيف تدعو أهلَ الخَنْدقِ كُلَّهم إلىٰ صاعٍ من شعيرٍ وبُهَيمةٍ - وهي الصَّغيرة من أولادِ الضَّأْنِ - ؟!).

فقلتُ: قدْ فعلْتُ الذي قُلْتِ لي (أي: أنه أخبر النبيَّ - ﷺ - بما عنده من طعامٍ، وهو أعلمُ بالمصلحة). فأَخْرَجَتْ له عَجِينَتَنَا، فَبَصَقَ فيها وبَارَكَ، ثمَّ عَمَدَ إلىٰ بُرْمتنا، فَبَصَقَ فيها وباركَ، ثمَّ قال: «ادْعِي خابِزَةً فَلْتخْبِزْ مَعَك، واقْدَحي منْ بُرْمَتِكمْ ولا تُنْزِلُوها» (أي: اغرفي من الطعام وهو في مكانه) وهُمْ أَلْفٌ، فأُقْسِمُ بالله، لأَكَلُوا حتَّىٰ تَرَكُوهُ وانْحَرَفُوا (أي شَبِعُوا وانصرفوا)، وإنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغطُّ كما هيَ (أي: تَغْلي ويُسمعُ غَلَيانُها) وإنَّ عجينتنا - أو كما قال الضَّحَّاكُ - لَتُخْبَزُ كما هُوَ!» (يعني: العَجِينَ).

وأستغفرُ اللهَ.




الخطبة الثانية

من معجزات النبي - ﷺ -

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على رسول الله - ﷺ - وعلى آله وصَحْبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، سبق بيانُ شيءٍ من معجزات نبيّنا - ﷺ -، وفيما يأتي ذِكْرُ بعضِها.

فمن ذلك تسليمُ الحَجَرِ عليه - ﷺ -:

ففي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن سَمُرَةَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إنّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بمكَّة، كَانَ يُسَلِّمُ عليَّ قَبْلَ أن أُبْعَثَ، إنِّي لأَعْرِفُهُ الآن**»[1].

قال الإمام النَّووي[2] **- رحمه الله -** مُعلِّقًا على هذا الحديث: «فيه معجزةٌ له - ﷺ - وفي هذا إثباتُ التمييز في بعض الجمادات، وَهُوَ مُوافِقٌ لقوله - تعالى - في الحجارة: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٧٤]. وقوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء: ٤٤]».

ومن معجزاته - ﷺ - تسْبِيحُ الطَّعامِ بَحضْرتِه - ﷺ -:

ففي «صحيح البخاري»[3] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: «كنَّا نَعُدُّ الآياتِ بَرَكَةً، وأنتم تَعُدُّونها تخويفًا، كنَّا مع رسول الله - ﷺ - في سَفَرٍ،

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٧).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣٦، ٣٧).
(٣) «صحيح البخاري» (٣٥٧٩).

فقلَّ الماءُ، فقال: «اطْلُبوا فَضْلَةً من ماء» فجاءُوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ، فأدخل يَدَهُ في الإناء، ثمَّ قال: «حيَّ على الطَّهور المُبارك، والبركةُ منَ الله». فَلَقَدْ رأيتُ الماءَ ينْبُعُ من بَيْنِ أصابع رسولِ الله -ﷺ-، ولَقَدْ كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعَامِ وهو يؤْكَلُ».

ومن معجزاته -ﷺ- إخبارُهُ بأمور وقعت بَعيداً عنه وقتَ وقوعها:

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هُريرةَ-رضي الله عنه-: «أنَّ رسول الله -ﷺ- نَعَىٰ النجاشي في اليومِ الذي مات فيه، خَرَجَ إلىٰ المُصَلَّىٰ، فصفَّ بهم، وكبَّر أربعًا».

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أنس بن مالكٍ-رضي الله عنه-: أنَّ النبيَّ -ﷺ- نَعَىٰ زيداً، وجَعْفَراً، وابْنَ رَواحةَ للناس قَبْلَ أنْ يأتِيَهُم خَبَرُهُمْ، فقال: «أخذ الرايةَ زيدٌ فأُصيبَ (أي قُتِلَ وذلك يَوْمَ مُؤْتَه)، ثمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فأُصيبَ، ثمَّ أخذ ابنُ رَواحةَ فأُصيبَ-وعَيْنَاهُ تَذْرِفانِ-حتَّى أَخَذَ الرَّاية سَيْفٌ من سُيُوفِ الله، حتَّى فتَحَ اللهُ عليهم».

ومن معجزاته -ﷺ- إخبارُهُ عن أُمور لم تكن حدثتْ، فحدثت بعد ذلك: فأخبر -ﷺ- أنَّ كِسْرىٰ سَيَهْلِكُ، ولن يكون هناك كِسرىٰ بَعْدَهُ، وكذلك قَيْصَرُ، فوقع الأمرُ كما أخبر -ﷺ-.

ففي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إذا هَلَكَ كِسْرى فلا كِسْرى بَعْدَهُ، وإذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، والذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيدِه، لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُما في سبيلِ الله».

---

(١) رواه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).
(٢) رواه البخاري (٤٢٦٢).
(٣) رواه البخاري (٣٦١٨)، ومسلم (٢٩١٩).

ومن معجزاته - ﷺ - حَنِينُ الجِذْعِ إليه:

ففي «صحيح البخاري»[١] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: أنَّ النبيَّ - ﷺ - كان يقُومُ يومَ الجُمُعة إلىٰ شجرةٍ - أو نَخلةٍ -، فقالتِ امرأةٌ منَ الأنصارِ - أو رَجُلٌ -: يا رسولَ الله، ألاَ نَجْعَلُ لك مِنبراً؟. قال: «**إن شئْتُم**». فجعلوا له مِنْبراً، فلمَّا كان يومُ الجُمُعةِ دُفِعَ إلىٰ المِنْبرِ، فصاحتِ النَّخْلةُ صِياحَ الصَّبيِّ، ثمَّ نَزَلَ النبيُّ - ﷺ - فَضَمَّها إليه، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبيِّ الذي يُسَكَّنُ. قال: «**كانتْ تَبْكي على ما كانتْ تَسْمَعُ مِنَ الذكْرِ عندها**».

أيُّها الناسُ، لا شكَّ أنَّ مُعجزاتِ النَّبيِّ - ﷺ - أكثرُ من أنْ تتضمَّنها خُطَبَةٌ، بل أكبرُ من أن يَتَضمَّنَها كتابٌ، ومَنْ أراد التوسُّعَ في ذلك فعليه بكتب دلائل النُّبوَّةِ، وخاصَّةً كتاب «دلائل النُّبوَّةِ» لمحدِّثِ اليَمَنِ الشيخ مُقْبِلِ بن هادي الوادعيِّ - رحمه الله -، فهو كتابٌ مفيدٌ في بابه.

أيُّها الناسُ، إنَّ شَأنَ المُؤمنِ أمامَ هذه المُعجزاتِ أنَّه يَزْدَادُ إيمانًا مع إيمانه، ولا يَسَعُهُ إلاَّ التَّصديقُ، وإذا ازداد المؤمنُ مَعْرفةً بالمعجزات، فإنّما يكون ذلك طَلَبًا لزيادة الطُّمأنينة لقلبه، كما قال الخليل إبراهيمُ - ﷺ -: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ [البقرة: ٢٦٠].

أيُّها الناسُ، إنَّه متى عرف المؤمن شيئًا من الآيات البيِّنات، والمعجزات الباهرات، ازداد إيمانًا إلى إيمانه، كما قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٨٤).

وذكر الله حالَ الكُفَّارِ حِيالَ المُعجزاتِ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤-١٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

اللَّهُمَّ زِدْنا معرفةً بمعجزات نبيِّك ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وزِدْنا بها طُمَأْنينةً لقلوبنا، وإيمانًا إلى إيماننا، يارَبَّ العالمين.



الخطبة الأولى



خصائص النبي - ﷺ -

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعدُ، أيُّها النَّاس، حديثي معكمُ اليومَ عنْ خصائصِ النبيِّ - ﷺ -، والخصائص - أيُّها الناسُ - هي ما اختصَّ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - نبيَّه به، وفضَّله به علىٰ سائر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وكذلك سائر البشر.

ومعرفتها تجعلنا نزداد إيمانًا ومحبَّةً وتبجيلاً لنبيِّنا - ﷺ -.

ومَّا اخْتُصَّ به نبيُّنا ـ ﷺ ـ من خصائصَ في الدنيا:

أنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أخذ العهد والميثاق علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين لَيُؤْمِنُنَّ به، كما أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق علىٰ أُمَمِهم.

فقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وفي «مسند أحمد» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة»[1] من حديث جابر ابن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ عُمَرَ بْنَ الخطَّابِ أتىٰ النبيَّ ـ ﷺ ـ بكتابٍ، أصابه من بعض أهل الكُتُبِ، فقرأهُ للنبيِّ ـ ﷺ ـ فَغَضِبَ، فقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا ابْنَ الخطَّابِ؟!، والذي نفسي بيده، لقد جئتُكُم بها بيضاءَ نقيةً، لا تسألُوهُمْ عن شيء، فيخبروكم بحقٍّ فتكذِّبوا به، أو بباطل فتصدِّقوا به، والذي نفسي بيده، لو أنَّ موسى ـ ﷺ ـ كان حيًّا ما وَسِعَهُ إلا أنْ يتَّبعني» ومعنىٰ مُتَهَوِّكون: أي مُتَحيِّرون.

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ رسالته رسالةٌ عامَّةٌ:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «أُعطيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياء قَبلي: نُصرْتُ بالرُّعْبِ مسيرةَ شَهْرٍ، وجُعلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهُوراً، فأيُّما رجُلٍ من أُمَّتي أدركتْهُ الصلاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحلَّتْ ليَ المغانمُ، ولم تُحَلَّ لأحد قبلي، وأُعْطِيتُ الشفاعةَ، وكان النَّبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصَّةً، وبُعثْتُ إلى الناس عامَّةً».

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٨٧)، وحسنه الألباني لشواهده في «الإرواء» (١٥٨٩)، وانظر «المشكاة» (١/ ٦٣).

(٢) رواه البخاري ـ واللفظ له ـ انظر «الفتح» (١/ ٥٥٣)، ومسلم (٥٢١).

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ ختم به النُّبوَّةَ:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هُريرَةَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعْطيتُ جوامعَ الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرُّعْب، وأُحلَّتْ ليَ الغنائمُ، وجُعِلَتْ ليَ الأرضُ طَهُوراً ومَسْجداً، وأُرسلتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ النبيُّون**».

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسله رحمةً للعالمين.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال بعضُ العلماء في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾: «لجميع الخلق: للمؤمن رحمةً بالهداية، ورحمةً للمنافق بالأمان من القتل، وللكافر بتأخير العذاب»[٢].

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل: يا رسول الله، ادْعُ على المشركين. قال: «**إني لم أبْعَثْ لعَّانًا، وإنَّما بُعثتُ رحمةً**».

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أقسم بحياته،

ولم يقسم بحياة أحدٍ من البشر غيره، وهذا يدلُّ على شرف حياته عند المُقْسِمِ بها، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر: ٧٢].

---

(١) رواه مسلم (٥٢٣).
(٢) انظر «الشفاء» للقاضي عياض (١/ ٥٧).
(٣) رواه مسلم (٢٥٩٩).

ومن خصائصه - ﷺ - أن الله - سبحانه وتعالى - خاطبه بالنُّبوَّة والرسالة زيادةً في التشريف دونَ سائرِ الأنبياء والمرسلين.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

ومن خصائصه - ﷺ - أنَّ الله - سبحانه وتعالى - نهى المؤمنين عن مُناداته باسمه: بل يخاطبونه: يا رسولَ الله، يا نبيَّ الله.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

ومن خصائصه - ﷺ - أنَّه أُوتي جَوامعَ الكَلِم، واخْتُصِرَ له الحديثُ اختصاراً، ونُصِرَ بالرُّعبِ مسيرةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ له الأرضُ مسجدًا وطَهُورًا.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعْطِيْتُ جوامعَ الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرُّعْب، وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ طَهُوراً ومسجداً، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ النَّبِيُّونَ».

ومن خصائصه - ﷺ - أنَّ مفاتيحَ خزائنِ الأرض بيدِه، وهي ما سهَّلَ الله - سبحانه وتعالىٰ - له ولأمَّته من بَعْدِه.

ففي «الصحيحين»[2] من حديث عُقْبَةَ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - خرج يوماً،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

فصلَّى على أهل أُحُدٍ صلاتَهُ على الميِّت، ثمَّ انصرف على المِنْبَر، فقال: «إنِّي فَرَطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإنِّي - والله - لأنظرُ إلى حَوْضيَ الآنَ، وإني أُعْطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرض، وإنِّي - والله - ما أخاف عليكم أنْ تُشركوا بَعْدي، ولكنْ أخاف عليكُمْ أنْ تَنَافَسُوا فيها».

ومن خصائصه - ﷺ - أنَّ الله - سبحانه وتعالى - غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّرَ:

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «هذا من خصائصه - ﷺ - التي لا يشاركه فيها غَيْرُهُ، وليس في حديثٍ صحيحٍ في ثوابِ الأعمال لغيرِهِ: غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، وما تأخَّرَ، وهذا فيه تشريف لرسول الله - ﷺ -»[1].

ومن خصائصه - ﷺ - أنَّ مُعجزة كُلِّ نبيٍّ تصرَّمَتْ وانقرضت، ومعجزاتُهُ محفوظةٌ بحفظ الله:

قال الله - سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ومن خصائصه - ﷺ - مُعجزة الإسراء والمعراج:

فقد أُسْرِيَ به - ﷺ - ببدنه وروحه يَقَظَةً من المسجدِ الحرامِ بمكَّةَ إلى المسجدِ الأقصى - وهو ببيت المَقْدِسِ - في جُنْحِ الليلِ، ثمَّ عُرِجَ بِهِ إلى سِدْرَةِ المُنْتهى، ثمَّ إلى حيثُ شاء الله - سبحانه وتعالى -، ورَجَعَ مكَّةَ مِنْ لَيْلتِهِ.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٩٨).

أيها الناسُ، تلك بعض خصائص نبيِّنا محمَّدٍ ـ ﷺ ـ في ا لدنيا.

وقـد اخْتُصَّ رسـولُ الله ـ ﷺ ـ بخصـائصَ في الآخـرة، ولم يُعْطَهَا غَيْـرُهُ من الأنبياء ـ عليـهم السلام ـ، ممَّا يدلُّ على منزلتـه وعظيم قـدره عند ربِّه ـ سبحـانه وتعالى ـ، ومن ذلك الوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود، والحوض، والكوثر، واللِّواء، وغيرُ ذلك.

فمن خصائصه ـ ﷺ ـ في الآخرة:

أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُعطيه الوسيلة والفضيلة، وهي أعـلى دَرَجةٍ في الجنَّة، لا ينالُها إلا عبـدٌ واحدٌ من عبـاد الله، وهـو رسولنا ـ ﷺ ـ.

ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسـول الله ـ ﷺ ـ قـال: «**مَنْ قال حين يسـمعُ النِّدَاءَ: اللّهُمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التـامَّة، والصلاة القائمة، آت محـمّدًا الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثْهُ مقامًـا محمودًا الذي وعَدْتَهُ ـ حلَّت له شفاعتي يوم القيامة**».

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ في الآخرة المقامُ المحمودُ:

ومن ذلك المقام المحمود ـ أيها الناسُ ـ الذي يَقُومُهُ ـ ﷺ ـ فَيَحْمَدُهُ الخالقُ ـ سبحانه وتعالى ـ، والخلائقُ من بعده.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩].

والمراد بالمقام المحـمود ـ أيها الناسُ ـ: هو الشفـاعة، قال ابن عبـاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: «المقام المحمودُ: مقامُ الشفاعة»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦١٤).

(٢) رواه ابن جرير انظر «التفسير» (١٥/ ٩٧)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٨).

قال ابن بطَّال ـ رحمه الله ـ: «والجمهور على أنَّ المُراد بالمقام المحمود الشفاعة، وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع»[١] .

ومن خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الآخرة أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أعطاه دعوةً مستجابةً، فجعلها للمُذْنبين من أُمَّته لكونهم أحوجَ إليها من الطائعين، وهذا من كمال شفقته على أُمَّته، ورَأْفَتِه بهم.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لكُلِّ نبيٍّ دعوةٌ مُستجابةٌ، فتعجَّلَ كُلُّ نبيٍّ دَعْوَتَه، وإني اختبأتُ دَعْوتي شفاعةً لأُمَّتي يومَ القيامةِ، فهي نائلةٌ ـ إن شاء الله ـ مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتي لا يُشْرِكُ بالله شيئًا**».

وأستغفر الله.

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٣٤).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ له.





الخطبة الثانية

خصائصُ النبي ـ ﷺ ـ دُونَ أمَّتِهِ

الحـمـدُ لله ربِّ العـالمين، والصـلاة والسـلام علىٰ أشـرف المرسلين، وعلىٰ آله وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّـا بَعْـدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حَوْلَ ما اختصَّ به نبيُّنا محمَّدٌ ـ ﷺ ـ عن إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

والآن حديثي معكمْ حولَ ما اخْتُصَّ به ـ ﷺ ـ دُوْنَ أُمَّتِهِ، وقد شاركه في بعضها إخوانُهُ الأنبياءُ.

فمن خصائصه ـ ﷺ ـ دُونَ أمَّتِهِ الوِصَالُ في الصِّيام:

ففي «الصحيحين»(١) من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «**لاتُواصِلُوا**».

قالوا: إنك توَاصِلُ! قال: «**لَسْتُ كأحدٍ منكم؛ إنِّي أُطْعَمُ وأُسْقى**».

قـال النوويُّ: «قال الخطَّابيُّ وغيرُهُ من أصحابنا: الوِصَالُ من الخصائص التي أُبيحتْ لرسول الله ـ ﷺ ـ، وَحُرِّمَتْ علىٰ الأُمَّة»(٢).

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ دون أمَّته الزواجُ من غير وليٍّ ولا شُهُود، لقد انفرد رسول الله ـ ﷺ ـ عن أمَّته في هذين الحُكمين، فأباح الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ له الزواج

---

(١) رواه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (١١٠٢).

(٢) انظر «شرح صحيح مسلم» للنووي (٧/ ٢١٢).

بغير وليٍّ ولا شُهودٍ تشريفًا وتكريمًا لعدم الحاجة إلىٰ ذلك في حقِّه - ﷺ - .

قال العلماء: «إنما اعْتُبِرَ الوليُّ في نكاحِ الأَمَةِ للمحافظة علىٰ الكفاءة، وهو - ﷺ - فوقَ الأَكْفَاءِ، وإنما اعْتُبِرَ الشُّهود لأمْنِ الجُحُودِ، وهو - ﷺ - لا يَجْحَدُ»[١] .

وبُرهان هذا الحكم في حقِّه ما جاء في «صحيح البخاري»[٢] من حديث زَيْنبَ بِنْتِ جَحْشٍ - رضي الله عنها - أنها كانت تَفْخَرُ علىٰ أزواج النبيِّ - ﷺ - تقول: «زوَّجكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوَّجني اللهُ - تعالىٰ - من فوقِ سَبْعِ سمواتٍ» .

ومن خصائصه - ﷺ - دُونَ أمَّته الجمع بَيْنَ أكثرَ مِنْ أربعِ نِسْوة:

قال الشافعيُّ - رحمه الله -: «دلَّتْ سُنَّةُ رسول الله - ﷺ - المُبَيِّنَةُ عن الله أنَّه لا يجوزُ لأحدٍ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - أنْ يجمعَ بَيْنَ أكْثَرَ من أربعِ نِسْوَةٍ» .

قال الحافظ ابن كثيرٍ - رحمه الله -: «وهذا الذي قاله الشافعيُّ مُجْمَعٌ عليه بَيْنَ العلماء»[٣] .

ومن خصائصه - ﷺ - أنَّ أزواجه أمَّهاتُ المؤمنين إكرامًا وإجلالاً لعبده ورسوله - ﷺ -.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] .

ومن خصائصه - ﷺ - دُونَ أمَّته أنَّ رُؤيتهُ في المنام حقٌّ، فمن رآه في المنام كانَ كَمَنْ رآه في اليَقَظَةِ .

---

(١) انظر «موسوعة نضرة النعيم» (١/ ٥٠٨) .
(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠) .
(٣) انظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٠) .

ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من رآني في المنام فقد رآني؛ فإنَّ الشيطانَ لا يتمثَّلُ بي**».

قال العلماء: إنَّ هذه الرُّؤيا مشروطة بأن يراهُ الرَّائي علىٰ صُورته التي كان عليها في الحياة الدنيا، والتي جاءت مفصَّلةً في الأحاديث.

قال الحافظ ابن كثير: «واتُّفِقَ علىٰ أنَّ من نقل عنه حديثًا في المنام أنَّه لا يُعملُ به لعدم الضَّبْط في روايةِ الرَّائي؛ فإنَّ المنامَ محلٌّ تضعفُ فيه الرُّوحُ وضبْطُهَا»[٢].

ومن خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون أمَّته أنه مَن استهان به، أو سَبَّه فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقِه، وقد أجمعتِ الأُمَّةُ على قَتْلِ مُنْتَقِصِه وسابِّه:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ٦١].

فكلُّ مَن استهان برسول الله ـ ﷺ ـ، أو سبَّهُ، أو عابَهُ، أو ألحق به نقصًا في نفسه، أو نسبِهِ، أو دينِه، أو خَصْلةٍ من خِصالِهِ، أو عرَّض به، أو شبَّهَهُ بشيءٍ علىٰ طريق السَّبِّ لهُ، أو الإزراءِ عليه، أو التصغيرِ لشأنه، أو الغَضِّ منْهُ والعيبِ لَهُ ـ فإنَّهُ يُقتل كُفرًا[٣].

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[٤] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ أعمىٰ كانت لَهُ أمُّ ولدٍ، تشتُمُ

---

(١) رواه البخاري (٦٩٩٤)، ومسلم (٢٢٦٦).

(٢) انظر «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (ص٢٩٨، ٢٩٩).

(٣) انظر «نضرة النعيم» (١/ ٥١٢). وهذا الكتاب استفدت منه في هذه الخطبة، وأنصح باقتنائه فهو كتاب مفيد للخطيب والواعظ، بل من أحسن ما أُلِّف في هذا الباب.

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٣٦١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «سنن أبي داود» (٣٦٦٦).

النبيَّ - ﷺ - وتقعُ فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرُها فلا تَنْزَجِرُ، قال: فلمَّا كانتْ ذاتُ ليلةٍ جعلتْ تقعُ في النبيِّ - ﷺ - وتشتمُهُ، فأخذَ المِغْوَلَ (وهو سيفٌ قصيرٌ يشتملُ به الرجلُ تحتَ ثيابِهِ) فوضعه في بَطْنِها، واتَّكأَ عليه فقَتَلَهَا، فوقعَ بَيْنَ رجليها طِفْلٌ، فلطخت ما هناك بالدَّمِ، فلمَّا أصبح ذُكِرَ ذلك لرسول الله - ﷺ -، فجمع الناس، فقال: «أَنْشُدُ اللهَ رجلاً فعل ما فعل، لي عليه حقٌّ إلاَّ قام». فقام الأعمىٰ يتخطَّىٰ الناسَ، وهو يتزلزلُ، حتىٰ قعد بين يَدَيِ النبيِّ - ﷺ - فقال: يا رسولَ الله، أنا صاحبُهَا، كانتْ تشتمُكَ وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأَزْجُرُها فلا تَنْزَجِرُ، ولِيَ منها ابنانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وكانتْ بي رفيقةً، فلمَّا كانت البارحةُ، جعلتْ تَشْتُمُكَ وتقعُ فيك، فأخذتُ المِغْوَلَ، فوضعْتُهُ في بَطْنِها، واتّكأتُ عليها حتَّى قتلتُها. فقال النبيُّ - ﷺ -: «ألاَ اشهدوا أنَّ دَمَها هَدَرٌ».

وقد أجمعت الأُمَّةُ - أيُّها الناسُ - على قتل من سبَّ النبيَّ - ﷺ -، أو انتقصه بأيِّ وجهٍ من الوُجُوه:

قال ابن المنذر - رحمه الله -: «أجمع عوامُّ أهلِ العِلْمِ علىٰ أنَّ مَنْ سبَّ النبيَّ - ﷺ - يُقْتَلُ»[1].

وقال محمَّد بن سحنون - رحمه الله -: «أجمع العلماءُ أنَّ شاتمَ النبيِّ - ﷺ - المُنتَقِصَ له كافرٌ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله، وحُكْمُهُ عند الأُمَّةِ القَتْلُ»[2].

اللَّهُمَّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولاتُشْمِتْ بنا عُدوًّا ولا حاسداً.

اللَّهُمَّ إنّا نسألُك كُلَّ خيرٍ خزائنُهُ بيدِك، ونعوذ بك من كُلِّ شرٍّ خزائنُهُ بيدِك.

---

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ٤٧٤).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٧٦).



الخطبة الأولى

حبُّ النبيِّ ﷺ



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، إنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ وَهَبَ نبيَّنا محمَّداً ـ ﷺ ـ من الخصال الحميدة، والصفات العليَّة، والأخلاق المَرْضِيَّة ـ مما كان داعيًا لكُلِّ مسلمٍ أن يُجلَّه ويُعظِّمَهُ بقلبه ولسانه وجوارحه، فحقُّه علينا محبَّتُهُ، وطاعَتُهُ واتِّباعُهُ، وتوقيرُهُ واحترامُهُ من غير غُلُوٍّ ولا تفريطٍ.

فحبُّ النبيِّ - ﷺ - من الإيمان.

فقد أخرج البخاريُّ في «صحيحه»[١] من حديث عبد الله بن هشامٍ - رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبيِّ - ﷺ - وهو آخذٌ بيدِ عُمَرَ بنِ الخطاب - رضي الله عنه - فقال له عُمَرُ - رضي الله عنه -: يا رسولَ الله، لأَنتَ أحبُّ إليَّ من كُلِّ شيءٍ إلاَّ مِنْ نفسي، فقال النبي - ﷺ -: «لا - والذي نفسي بيده - حتَّى أكونَ أحبَّ إليك من نَفْسك».

فقال له عُمَرُ: «فإنَّه الآنَ - والله - لأَنْتَ أحبُّ إليَّ من نفسي».

فقال النبي - ﷺ -: «الآن يا عُمَرُ».

يقول العلامة العينيُّ - رحمه الله - في شرح قوله - ﷺ -: «الآنَ يا عُمَرُ»: «أي: الآنَ كَمُلَ إيمانُكَ»[٢].

أيها الناسُ، إنَّه يجبُ أن تكونَ محبَّتُنا لنبيِّنا - ﷺ - فوقَ محبَّة الوالدِ والولدِ، بل فوقَ محبَّة الأهلِ، والمالِ، والناسِ أجمعين.

فقد أخرج البخاري في «صحيحه»[٣] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «فوالذي نفسي بيدِه، لا يُؤمِنُ أحدُكُم، حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من والدِه وولَدِه».

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا يُؤمِنُ أحدُكُم، حتَّى أكَونَ أحبَّ إليه من أَهلِه، ومالِه، والناسِ أجمعينَ».

أيها الناس، إنّه لَيَبْلُغُ التشريفُ لمنْ قصد المحبَّة مَبْلَغَهُ كما في «الصحيحين»[٥] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مِنْ أشَدِّ أُمَّتي لي

(١) رواه البخاري (٣٦٩٤).
(٢) «عمدة القارئ» (٢٣/ ١٦٩).
(٣) رواه البخاري (١٤).
(٤) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٦٩).
(٥) البخاري (٣٥٨٩)، ومسلم (٢٨٣٢)، واللفظ له.

حبًّا ناسٌ يكونون بَعْدي، يَوَدُّ أحدُهُمْ لو رآني بأهله وماله».

أَلاَ يا مُحبَّ المُصْطَفى، زِدْ صَبَابَةً وضَمِّخْ لسانَ الذِّكْرِ منْكَ بطِيْبِه
ولا تَعْبَأَنَّ بالمُبْطلين؛ فإنَّما علامةُ حُبِّ الله حُبُّ حبيبِه

أيها الناسُ، إنَّ محبَّة رسول الله -ﷺ- ليستْ دعوةً باللسان، ولا هيامًا بالوِجْدان، وليستْ ترانيمَ تُغنَّى، ولا قصائدَ تُنْشَدُ.

فمحبَّتُه -ﷺ- تكون في اتِّباعه، والسَّير على هُداه، وعَمَلٍ بمنهج الله الذي يحمله الرسول -ﷺ-، وهذه هي المحبَّة الحَقيقية، وإلىٰ ذلك أرشدنا الله -سبحانه وتعالىٰ- فقال -سبحانه وتعالىٰ- لنبيِّنا أن يُوَجِّهَ الخطابَ إلىٰ أُمَّته: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

أيها الناسُ، لا يختلف اثنانِ في أنَّ المُحبَّ لمن يُحبُّ مُطيعٌ، فكذلك مَنْ أحبَّ الحبيب المُصطفىٰ -ﷺ- يحرصُ -أشدَّ الحرص- علىٰ اتِّباعه، ويُسارعُ إلىٰ تنفيذ أوامره، ويبادر إلىٰ اجتناب نواهيه، فالعملُ طَوْعُ المحبَّة الصادقة، كما قال الله -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد قسم العلامة ابن القيم المُحبِّين إلى أقسام ثلاثة -كما في كتابه «روضة المُحبِّين»[1]-: منهم مَنْ يُريد مِنَ المحبوب، ومنهم مَنْ يُريدُ المحبوبَ، ومنهم مَنْ يُريد مُرادَ المحبوبِ مع إرادتِه للمحبوب، وهذا أعلىٰ أقسام المُحبِّين.

تَعْصي الإلهَ وأنت تُظْهِرُ حُبَّهُ هذا -لَعَمْري- في القياسِ شَنِيعُ
لو كان حُبُّكَ صادقًا لأطَعْتَهُ إنَّ المُحبَّ لِمَنْ يُحبُّ مُطِيعُ

أيها الناسُ، كم من مواقفَ رائعةٍ للصحابة البَرَرة المُحبِّين الصادقين لنبيِّهم -ﷺ-، تؤكِّد أنهم فهموا الحُبَّ الحَقيقيَّ في طاعة نبيِّهم في كُلِّ ما أمرَ، والانتهاء عمَّا نهىٰ عنه وزَجَرَ، وبذلك كَمُلَ إيمانُهم.

---

(١) روضة المحبين (ص٢٧٣)

أيها الناسُ، أذكرُ بعضًا من امتثال الصحابة - رضي الله عنهم - لأوامره - ﷺ - واجتناب نواهيه:

روىٰ البخاري في «صحيحه»[(١)] عن البَرَاء بن عازبٍ - رضي الله عنه - قال: «لَمَّا قَدِمَ رسولُ الله - ﷺ - المدينة، صلَّىٰ نَحْوَ بيتِ المَقْدسِ ستَّةَ عَشَرَ - أو سبعةَ عشرَ - شهرًا، و كان يُحبُّ أن يُوَجَّهَ إلىٰ الكعبةِ، فأنزل اللهُ - سبحانه وتعالىٰ -:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤].

فَوُجِّهَ نَحْوَ الكعبةِ، وصلَّىٰ معه رجلٌ العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ، فمرَّ علىٰ قوم من الأنصار، فقال: هو يَشْهَدُ أنَّه صلَّىٰ مع النبيِّ - ﷺ -، وأنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إلىٰ الكعبةِ، فانحرفوا وهم رُكُوعٌ في صلاةِ العَصْرِ».

الله أكبر، ما أَسْرَعَ تأسِّيَهُمْ بالحبيب الكريم - ﷺ -! إنَّهم لم ينتظروا حتىٰ ترفع رءوسُهم من الركوع، بل بادروا بالتوجُّه إلىٰ حيثُ توجَّه نبيُّهم وهُم ركوعٌ!.

ومن مبادرة الصحابة إلى طاعة الحبيب - ﷺ - ما رَوَىٰ البخاريُّ في «صحيحه»[(٢)] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: «كنتُ ساقيَ القومِ في مَنْزِلِ أبي طَلْحَةَ - رضي الله عنه - وكان خَمْرُهُمْ يومئذٍ الفَضِيخَ، فأمَرَ رسولُ الله - ﷺ - مُناديًا يُنادي: ألا إنَّ الخَمرَ قد حُرِّمَتْ. قال: فقال لي أبو طلحةَ: اخرُجْ فأَهْرِقْها.

فخرجتُ فَهَرَقْتُها، فَجَرَتْ في سِكَكِ المدينة».

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجرٍ - كما في «الفتح»[(٣)] -: «وفيه إشارة إلىٰ توارد مَنْ كانت عنده من المسلمين علىٰ إراقتها، حتىٰ جرت في الأزِقَّة من كَثْرَتِها»

أيها الناسُ، إنَّ الحبَّ الصادقَ يُولِّدُ الاستسلامَ المُطلقَ، والانقيادَ الكاملَ،

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٢٥٢).

(٢) رواه البخاري (٢٤٦٤).

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٣٩).

فالصحابة - رضوان الله عليهم - لم يحتجُّوا لعصيان رسول الله - ﷺ - بالعادة والتعوُّد، كما يفعله كثيرٌ من مسلمي زماننا، بل إنَّهم لم يُراجعوا نبيَّهم بعد خبر الرجل، إنَّ هؤلاء الصادقين في حبِّهم لينطبقُ عليهم قولُ الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ومن الأدلَّة الدَّالَّة على حبِّهم لنبيِّهم أنهم لم يقفوا عند امتثال أمره، واجتناب نواهيه، بل كانوا يتابعون أفعالَهُ، ويُلاحظون تصرُّفاته بحبٍّ وتقدير وشوقٍ حرصًا علىٰ الاقتداء به، فإذا وجدوه يفعلُ شيئًا سارعوا إلىٰ فعله، وإذا رَأَوْهُ ترك شيئًا بادروا إلىٰ الابتعاد عنه.

ومن الشواهد الرائعة الدالَّة على ذلك ما رواه الإمام أبو داود[1] عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: (بَيْنَما رسولُ الله - ﷺ - يُصلِّي بأصحابه إذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ، فوضعهما عن يساره، فلمَّا رأىٰ ذلك القومُ أَلْقَوْا نعالَهُم، فلمَّا قَضَىٰ رسولُ الله - ﷺ - قال: «ما حَمَلَكُمْ على إلقائكم نعالَكُم؟!».

قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالَنَا».

فقال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ جِبْرِيلَ - عليه السلامُ - أتاني، فأَخْبَرَني أنَّ فيها قَذَرًا».

وقال: «إذا جاء أحدُكم إلى المسجدِ فَلْيَنْظُرْ، فإنْ رأى في نَعْلَيْهِ قَذَرًا أو أَذًى فَلْيَمْسَحْهُ، وليُصَلِّ فيهما»).

كيفَ انْطَوَتْ أَيَّامُهُمْ، وهُمُ الأُلَى ... نشروا الهُدى، وعَلَوْا مكانَ الفَرْقَدِ؟!
هَجَرُوا الدِّيارَ، فأين أَزْمَعَ رَكْبُهُمْ ... مَنْ يَهْتدي للقومِ، أو مَنْ يَقْتدي؟
يا قَلْبُ، حَسْبُكَ لَنْ تَلُمَّ بطَيْفِهِمْ ... إلا على مِصْباحِ وَجْهِ مُحَمَّدِ

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٦٠٥).

أيها الناسُ، إنَّه كما عرف الصحابة الحبَّ الصادق، كان هذا الحبُّ - أيضًا - من المؤمنات الصادقات.

ومن الشواهد الدّالَّة على ذلك ما رواه الإمام أبو داود[1] عن عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قال: «إنَّ امرأةً أتتْ رسولَ الله - ﷺ - ومعها ابنةٌ لها، وفي يَدِ ابنتها مَسَكَتانِ غَلِيْظَتَانِ من ذَهَبٍ،

فقال: «**أَتُعْطِيْنَ زكاةَ هذا؟**».

قالت: لا.

قال: «**أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بهما يَوْمَ القيامةِ سِوَارَيْنِ من نارٍ؟**».

قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسولِ الله - ﷺ -، وقالت: هما لله - عزَّ وجلَّ - ولرسوله».

ومن ذلك التصاق النساء بالجدار تنفيذًا لأمره - ﷺ - لهنَّ بالمشي في حافَات الطَّريق.

فقد روى الإمام أبو داود[2] بسندٍ حسنٍ من حديث أبي أُسَيدٍ الأنصاريِّ - رضي الله عنه -: «أنه سمع رسول الله - ﷺ - وهو خارجٌ من المسجد، فاختلط رجالٌ مع النساء في الطريق، فقال رسول الله - ﷺ -: «**استأخِرْنَ؛ فإنَّهُ ليس لكنَّ أن تَحْقُقْنَ الطريقَ** [أي تَرْكَبْنَ حقَّها: وهو وَسَطُها]، **عليكُنَّ بحافاتِ الطَّريقِ**».

فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى إنَّ ثوبها يتعلَّق بالجدار من لُصُوقها به».

أيها النّاسُ، إنَّ الناظر في سيرة الصحابيات لَيتعلم أنَّ المسارعة في امتثال أمر نبيِّهن كان هو السائدَ فيهنَّ.

---

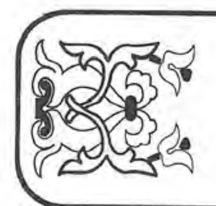
(١) «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٢).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (٤٣٩٢).

يا مُـدَّعـيَ حُبِّ طَهَ، لا تُخـالِـفْـهُ الخُلْفُ يَحْـرُمُ فـي دُنْيـا الُمحِـبِّـينا
أَرَاكَ تأْخُـذُ شـيئـاً مِنْ شَـرِيعَـتِـه وتَتْـرُكُ البَـعْضَ تَـدْوينًا وتهـوينا
خُذْهـا جميعًا تجِـدْ خيـراً تفـوزُ بِه أو فاطَّرِحْها، وخُـذْ رِجْسَ الشياطينا

أيها الناسُ، إنَّ أصلَ المحبة ـ الذي يعني الطاعةَ والانقيادَ والتسليمَ ـ لا يشكُّ مسلمٌ في فَرْضِيَّتِه، كما قال ـ ربُّنا ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية

حكمُ الاحتفال بالمولد

الحمدُ لله الذي أتمَّ الدِّين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، لا شك أنَّ محبَّة النبيِّ - ﷺ - إنما تكون بتعظيمه وطاعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه.

وليست محبَّته - ﷺ - بالبدع والخرافات والمعاصي، والاحتفال بذكرى المولد من هذا القبيل المذموم، فهو معصيةٌ لله؛ لأنَّ الحبيبَ - ﷺ - لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة - رضوان الله على الجميع - ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضَّلة، وهم أعلم الناس بالسنَّة، وأكملُ حُبًّا لرسول الله - ﷺ -، كما قال عُروةُ بن مسعودٍ القُرَشيُّ - كما في «صحيح البخاري»[1] -: «أَيْ قَوْمِ، والله، لقدْ وَفَدْتُ على المُلُوكِ، ووَفَدْتُ على قَيْصَرَ، وكِسْرىٰ، والنجاشيِّ، والله، إنْ رأيتُ مَلِكًا - قَطُّ - يعظِّمُهُ أصحابُهُ ما يُعظِّمُ أصحابُ محمَّدٍ - ﷺ - محمَّدًا، والله إنْ تَنَخَّمَ نُخَامةً إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم، فَدَلَكَ بها وجهَهُ وجلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا توضَّأَ كادُوا يقتتلون على وَضُوئِهِ، وإذا تكَلَّمَ خَفَضُوا أصواتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تعظيمًا له».

ومع هذا التعظيم وهذه المحبَّة ما جعلوا يومَ مولدِهِ عيدًا واحتفالاً، ولو كان مشروعًا ما تركوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله - في اقتضاء الصراط المستقيم عن المولد: «لم يفعله السَّلفُ مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه».

---

(١) «صحيح البخاري» (١٢٧٣).

وقال ـ أيضًا ـ: «لو كان هذا خيرًا مَحْضًا ـ أو راجحًا ـ لكان السلفُ ـ رضي الله عنهم ـ أحقَّ به منَّا ؛ فإنهم كانوا أشدَّ محبَّةً لرسول الله ـ ﷺ ـ وتعظيمًا له ، وهم على الخير أحرصُ» .

وقال الفاكهانيُّ في رسالته «المورد في الكلام على عمل المولد»:

«لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتابٍ ولا سُنةٍ ، ولا يُنْقَلُ عَمَلُهُ عن أحدٍ من علماء الأُمَّة ، الذين هم القدوة في الدين ، والمتمسّكون بآثار المتقدِّمين ، بل هو بِدْعة أَحْدَثها البطَّالون ، وشهوةُ نفسٍ اعتنى بها الأكَّالون» .

أيها الناس، القاعدة الشرعية هي ردُّ ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله،وسنة رسوله ـ ﷺ ـ، كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** [النساء: ٥٩] .

والرَّدُّ إلى الله : هو الرجوع إلى كتاب الله الكريم ، والرَّدُّ إلى الرسول ـ ﷺ ـ: هو الرجوع إلى سنَّته بعد وفاته ، فالكتاب والسنة هما المرجع عند التنازع ، فأين في الكتاب والسنة ما يدلُّ على مشروعيَّة الاحتفال بالمولد النبويِّ؟!! .

وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أمِّ المؤمنين عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**» أي : مردودٌ عليه .

وفي «مسند أحمد» ، و«سنن الترمذي»(٢) من حديث العِرْباضِ بْنِ ساريةَ

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) ، والترمذي (٢٦٧٦) .

- رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «إنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الراشدينَ المَهْديِّينَ مِنْ بَعْدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأمورِ؛ فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ».

فبيَّن لنا نبينا - ﷺ - في هذا الحديث بمن نقتدي بهم عند الاختلاف، كما بيَّن أنّ ما خالف السنَّة من الأقوال والأفعال بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيها الناسُ، إنَّ إحداثَ هذه الموالد يُفْهَمُ منه أن الله - سبحانه وتعالى - لم يُكملِ الدِّينَ لهذه الأُمَّة، وهذا خطرٌ عظيم، فأين هذا من قول الله - سبحانه وتعالى - ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؟!.

بل ويُفهمُ من ذلك أنَّ الرسولَ - ﷺ - خانَ الرِّسالة، ولم يُبَلِّغِ البلاغَ المبين.

كيف ذلك والرَّسولُ - ﷺ - لم يترك طريقًا يُوصِلُ إلىٰ الجنَّة، ويُباعد عن النار - إلا بيَّنه للأمّة، كما في «صحيح مسلم»(١) من حديث عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ما بَعَثَ اللهُ من نبيٍّ إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أُمَّتَه على خير ما يعلمُهُ لهم، ويُنْذِرَهُمْ شرَّ ما يعلمُهُ لهم».

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث سَلْمانَ الفارسيِّ - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً من المشركين قال له: «قد علَّمكم نبيُّكم - ﷺ - كُلَّ شيءٍ حتىٰ الخِرَاءة!». فقال: «أَجَلْ، لقَدْ نهانا أنْ نستقبل القبلة لغائطٍ أو بَوْلٍ، أو أن نَسْتَنْجي باليمين، أو أن نستنجي بأقلَّ

---

(١) رواه مسلم( ).
(٢) رواه مسلم (٢٦٢).

من ثلاثة أحجارٍ، أو أن نستنجيَ برَجيعٍ أو بعظمٍ».

أيها الناسُ، لا شك أنَّ العواطف هي التي حَدَتْ بأولئك الجَهَلَةِ إلى أن يبتدعوا ولا يتَّبعوا، ولكن كيف نجمع بين حبِّ النبيِّ - ﷺ - مع مخالفة أمره في النَّهيِ عن الإحداث في الدِّين، والضِّدَّانِ لا يجتمعانِ؟!.

وقد جعل الله ميزانَ محبَّته ودليلَها اتِّباعَ رسول الله - ﷺ -، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

اللهمَّ إنا نسألُك حبَّ نبيِّك - ﷺ -، والعملَ الذي يُبلِّغُنا حُبَّه من غيرِ ابتداعٍ، وأن تجعل حبَّه أحبَّ إلينا من أنفسِنا وأهلينا.



الخطبة الأولى



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرِ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، إنَّ الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يُمثِّلونَ الكمال الإنسانيَّ في أرقى صُوَرِهِ، فهم في غاية الكمال في خَلْقِهِمْ وخُلُقِهِمْ.

وكان نبيُّنا ـ ﷺ ـ في قمَّة الكمال والجمال في خُلُقه وخَلْقه، فكان أجملَ الناس، وأحسنَ الناس، لم يَصِفْهُ واصفٌ ـ قطُّ ـ إلا شبَّهُ بالقَمرِ ليلةَ البدرِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل

المحمَّدية» للتِّرمذيِّ[١] من حديث جابر بن سَمُرةَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «رأيتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ في ليلةٍ أضحيانٍ (أي: مُضيئةٍ مُقْمِرةٍ)، فجعلتُ أنظرُ إليه، وإلىٰ القمرِ، فَلَهُوَ عندي أحسنُ من القمرِ».

وفي «صحيح البخاريِّ»[٢] من حديث أبي إسحاقَ قال: سُئِل البراءُ بْنُ عازبٍ: «أكان وَجْهُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ مِثْلَ السَّيف؟» قال: «لا، بل مِثْلَ القَمَرِ».

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «كأنَّ السائلَ أراد أنه مثل السيف في الطُّول، فردَّ عليه البراءُ فقال: «بلْ مِثْلَ القَمَرِ» أي: في التدوير، ويُحتمل أنْ يكون أراد مثل السيف في اللَّمَعان والصِّقالِ، فقال: بل فوقَ ذلك، وعَدَلَ إلىٰ القمرِ لجمعه الصِّفتين في التدويرِ واللَّمَعانِ»[٣].

أيها الناسُ، إن شاء الله أصف لكمُ الحبيبَ ـ ﷺ ـ وكأنه ماثلٌ أمامكم، وكأنكم تَرَوْنَه.

أيها الناسُ، فمن ناحية لون رسول الله ـ ﷺ ـ فقد كان أَزْهَرَ اللَّونِ: وهو الأبيض المستنيرُ الناصعُ البياضِ.

ففي «الصحيحين»[٤] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ رَبْعَةً مِنَ القَومِ: ليس بالطَّويلِ، ولا بالقصيرِ، أَزْهَرَ اللَّونِ: ليس بأبيضَ أَمْهَقَ، ولا آدَمَ، ليس بجَعْدٍ قَطَطٍ، ولا سَبْطٍ رَجِلٍ».

وفي «صحيح مسلم»[٥] عن الجُرَيْريِّ عن أبي الطُّفَيل ـ رضي الله عنه ـ قال: «رأيتُ رسولَ ـ ﷺ ـ وما علىٰ وَجْهِ الأرضِ رجُلٌ رآهُ غيري» قال: فقلتُ له: «فكيف

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٨١٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّدية» (ص٢٧).

(٢) رواه البخاري (٣٥٥٢).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٦٦٢).

(٤) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٥) مسلم (٢٣٤٠).

رأيتهُ؟». قال: «كان أبيضَ مليحًا مُقَصَّدًا».

وفي «سُنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديث عليِّ بن أبي طالبٍ - رضي الله عنه - قال: «كان رسولُ الله - ﷺ - أبيضَ مُشْرَبًا بياضُهُ بحُمْرَةٍ».

وأخرج التِّرْمذيُّ في كتابه «الشمائل المحمَّديَّة» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «كان رسولُ الله - ﷺ - أبيضَ، صيغَ مِنْ فِضَّةٍ».

وأخرج أبو داود في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه العلاَّمة الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[3] من حديث مُحرِّشٍ الكَعْبيِّ - رضي الله عنه - قال: «إنَّ النبيَّ - ﷺ - خَرَجَ من الجِعْرَّانةِ ليْلاً، فاعْتَمَرَ، ثمَّ رَجَعَ، فأصْبَحَ بها كبائت، فنظرتُ إلى ظَهْرِهِ كأنَّه سَبيكةُ فِضَّةٍ».

وممَّا جاء في وصف وجه رسول الله - ﷺ - أنه كان أحسنَ الناس وجهًا، فكان وجهُهُ كالقمر والشمس مستديرًا، عظيم العينين، أَهْدَبَ الأشفار، مشرَبَ العينين حُمْرَةً، أشكلَ العين، أسودَ الحَدَقَة أَدْعَجَ، أكحلَ العَينين، دقيق الحاجبين سابهما، أَزَجَّ، أَقْرَنَ أبْلَجَ، واسعَ الجبين، أَغَرَّ، أجْلى، كأنَّه يتلألأ، وكأنَّ العَرَقَ في وجهه كاللُّؤلُؤِ، وكان أَسَيلَ الخدَّين سَهْلَهُمَا، أقنى الأنف - والقنا في الأنف: طُولُهُ ورقَّةُ أَرْنَبَتِهِ مع حَدَبٍ في وسطه - ضَلِيعَ الفَمِ، حَسَنَ الثَّغْرِ، برَّاقَ الثنايا، إذا ضَحِكَ كادَ يتلألأُ.

ففي «الصحيحين»[4] من حديث البراء بن عازبٍ - رضي الله عنهما - قال: «كان

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٣٨)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٤٩٧).
(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (ص٢٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٩٥).
(٣) أخرجه أبو داود (١٩٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٧٥٨).
(٤) رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).

رسولُ اللهِ - ﷺ - أحسنَ الناس وَجْهًا، وأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، ليس بالطويلِ الذَّاهِبِ، ولا بالقصيرِ».

وروىٰ الإمام أحمدُ في «مسنده» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه أحمد شاكر في «ترتيب المسند»(١) من حديث علِّي بن أبي طالبٍ - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - ﷺ - عظيمَ العينينِ، أَهْدَبَ الأشفارِ، مُشْرَبًا بحُمْرةٍ». ومعنىٰ أهْدَب الأشْفار أي: شَعَرُ أشْفارِ عَيْنَيْه كثيرٌ مستطيلٌ.

والأشْفارُ: جمعُ شُفْر - بالضَّمِّ ويُفتح -، والشُّفْرُ: طَرَفُ الجَفْنِ الذي يَنْبُتُ عليه الشعرُ، وهو الهُدْبُ.

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث سماك بْنِ حَرْبٍ قال: سمعتُ جابرَ بْنَ سَمُرَةَ قال: «كان رسولُ الله - ﷺ - ضَلِيعَ الفَمِ، أَشْكَلَ العَيْنِ، مَنْهُوسَ العَقِبَيْن». قال: قُلْتُ لسماك: «ما ضَلِيعُ الفَمِ؟». قال: «عظيمُ الفَمِ». قلتُ: «ما أَشْكَلُ العَيْنِ؟». قال: «طويلُ شَقِّ العَيْنِ». قال: قلتُ: «ما مَنْهُوسُ العَقِبِ؟». قال: «قليلُ لَحْمِ العَقِبِ».

ومِمَّا جاء في وصفِ رأسِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وصفة لحيته - أنَّه كان - كما أخبرَ واصفوه - عظيمَ الرَّأسِ، ذا لِحيةٍ عظيمةٍ حَسَنَةٍ، كثيرةِ الشَّعَرِ سوداءَ، كادتْ تملأُ نَحْرَهُ، إذا تكلَّمَ في نفسِهِ عَرَف ذلك مَن خَلْفَهُ باضطرابها لعَظَمَتِها.

فقد أخرج التِّرْمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّديَّة»(٣) من حديث عليِّ بنِ أبي طالبٍ - رضي الله عنه - قال: «لم يَكُنِ النَّبيُّ - ﷺ - بالطَّويلِ، ولا بالقصيرِ، شَثْنُ الكَفَّين والقدمينِ (أي: غَليظُ الأصابع والرَّاحةِ)، ضخم الرأسِ، ضخمُ الكراديسِ (أي: رءوسُ العظام)، طويل المَسْرُبَةِ

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٨٩)، وقال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر «ترتيب المسند» (٢/ ٨٠، ٨١).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣٩).

(٣) أخرجه التِّرْمذيُّ في «سننه» (٣٦٤١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّديَّة» (ص١٥).

(أي أنه طويلُ الشَّعْرِ الذي يبدأُ من الصَّدر، وينتهي بالسُّرَّة)، إذا مشىٰ تَكفَّأَ تكفُّؤًا، كأنَّما ينحطُّ من صَبَبٍ، لم أرَ قَبْلَهُ ـ ولا بَعْدَهُ ـ مِثْلَهُ ـ ﷺ ـ».

ومعنىٰ قوله: «إذا مشىٰ تكفَّأ» أي: يتمايل إلىٰ قدَّام، وقيل: أن يرفع القدمَ من الأرض، ثمَّ يضعها، ولا يمسح قَدَمَهُ علىٰ الأرض كمَشْيِ المُتبختر. ومعنىٰ قوله: «كأنّما ينحطُّ من صَبَبٍ» أي يرفعُ رِجْلَهُ منْ قُوَّةٍ وجلادةٍ، والأشبه أنَّ يتكفَّأَ بمعنىٰ صبِّ الشيء دفعةً، قاله المباركفوري ـ رحمه الله ـ(١).

في «صحيح مسلم»(٢) من حديث جابر بن سَمُرةَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ كثيرَ شَعْرِ اللِّحْيةِ».

وفي «صحيح البخاريِّ»(٣) من حديث أبي مَعْمَرٍ قال: قلتُ لخبَّاب بْنِ الأَرَتِّ: «أكان النَّبيُّ ـ ﷺ ـ يقرأُ في الظُّهرِ والعَصْرِ؟» قال: «نعم». قال: قلتُ: «بأيِّ شيءٍ كنتم تعلمون قراءتَهُ؟». قال: «باضْطِراب لحيتِهِ».

ومِمَّا جاء في صفة شَعَرِ ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنَّه كان

رَجِلَ الشَّعرِ حَسَنَهُ، فلم يكنْ شَعْرُهُ شديدَ الجُعُودة، ولا شديدَ السُّبُوطَة، بل بَيْنَ ذلك، شديد السَّواد، يبلغ إلىٰ أنصاف أُذُنيهِ، وتارةً شَحْمَةَ أُذُنيه، وتارةً بيْنَ أُذُنيه وعاتقِه، وتارةً يضربُ مَنْكِبَيْهِ، وكان أوَّلَ أمرِه قد سَدَلَ ناصيتَهُ بَيْنَ عينيه، ثمَّ فَرَقَه بَعْدَ ذلك، فجعله فِرْقَتَيْنِ، وكان رُبَّما جعله غدائرَ أربعًا ـ أي: ضفائرَ ـ يُخْرِجُ الأُذُنَ اليُمنىٰ مِنْ بَيْنِ غَديرتين يَكْتنفانها، ويُخرجُ الأُذُنَ اليُسرىٰ مِنْ بَيْنِ غَديرتين يَكْتَنفَانهَا، وتَخْرُجُ الأُذُنانِ بِبَيَاضِهِمَا مِنْ بَيْنِ تلك الغدائرِ، كأنَّها توقُّدُ الكواكبِ الدُّرِّيةِ من سوادِ شَعرِهِ(٤).

---

(١) «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (٥/ ٤٤٣).
(٢) رواه مسلم (٢٣٤٤).
(٣) رواه البخاري (٧٦١).
(٤) انظر «نضرة النعيم» (١/ ٤٣٠).

ففي «الصحيحين»[١] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: «كان رسولُ اللهِ - ﷺ - رَجِلَ الشَّعَرِ: ليس بالسَّبِطِ، ولا بالجَعْدِ القَطَطِ».

ومعنىٰ رَجِلَ الشَّعَرِ: أي الذي ليس شديدَ الجُعُودةِ، ولا شديدَ السُّبوطةِ، بل بَيْنَهما.

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: «كان شَعَرُ رسولِ اللهِ - ﷺ - إلىٰ أنصافِ أُذُنَيْهِ».

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث البراء بن عازبٍ - رضي الله عنهما - قال: «كان رسولُ الله - ﷺ - رَجلاً مَرْبوعًا، بَعيدَ ما بَيْنَ المنكبيْنِ، له شَعَرٌ يبلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ (أي: إلىٰ مُعَلَّقِ القُرْطِ منها) عليه حُلَّةٌ حَمْراءُ، ما رأيتُ شيئًا - قَطُّ - أحسنَ مِنْهُ - ﷺ -».

وفي لفظ البخاري: «له شَعَرٌ يبلُغُ شحمة أُذُنيه إلىٰ مَنْكبيهِ».

وفي «الصحيحين»[٤] - أيضًا - من حديث البراء بن عازبٍ - رضي الله عنهما - قال: «ما رأيتُ من ذي لِمَّةٍ أحسنَ في حُلَّةٍ حَمراءَ مِنْ رسولِ اللهِ - ﷺ -، شَعرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ». ولفظ البخاريِّ: «إنَّ جُمَّتَهُ لَتَضْرِبُ قريبًا مِنْ مَنْكِبَيْهِ».

واللِّمَّةُ: هي الشَّعرُ الَّذي أَلَمَّ بالَمنكِبَيْنِ (أي قاربهما)، قاله ابنُ الأثير[٥].

وفي «الصحيحين»[٦] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: «كان أهلُ الكتابِ يَسْدِلُون أشعَارَهُمْ (أي: إرساله علىٰ الجبين، واتِّخاذه كالقصَّة)، وكان المشركون يَفْرُقُونَ رُءوسَهُم (أي: يجعلونه فِرْقتينِ مِنْ وَسَطِهِ)، وكان رسولُ اللهِ -

---

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٣٨).
(٢) رواه مسلم (٢٣٣٨).
(٣) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٤) رواه البخاري (٥٩٠١)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٥) «جامع الأصول» لابن الأثير (١١/ ٢٣٣).
(٦) رواه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦).

ﷺ - يُحِبُّ مُوافَقَةَ أهلِ الكتابِ فيما لم يُؤْمَرْ فيه، فَسَدَلَ رسولُ اللهِ - ﷺ - ناصِيَتَهُ (والناصية: هي شعرُ مُقَدَّمِ الرأسِ)، ثمَّ فَرَقَ بَعْدُ».

وأخرج أبو داود في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّدِيَّة»(١) من حديث أُمِّ هانِئٍ بنتِ أبي طالبٍ - رضي الله عنها - قالتْ: «قدِمَ رسولُ اللهِ - ﷺ - مَكَّةَ (أي: يومَ فَتَحَ مكَّةَ)، وله أربعُ غَدَائِرَ - وفي روايةٍ: ضفائِر -».

وفي «سنن ابن مَاجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّديَّة»(٢) من حديث عائشةَ - رضي الله عنها - قالت: «كنتُ أغتسلُ أنا ورسولُ اللهِ - ﷺ - من إناءٍ واحدٍ، وكان له شَعرٌ فَوقَ الوفرة، ودُونَ الجُمَّةِ».

وممَّا جاء في وصف مَنْكِب رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أنه كان عريضَ الصَّدْرِ، بعيدَ ما بَيْنَ المَنْكِبِين.

ففي «الصحيحين»(٣) من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: «كان رسولُ اللهِ - ﷺ - بعيَد ما بَيْنَ المَنكِبَيْنَ».

وممَّا جاء في وصف ذِرَاعَيْ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أنَّه كان شَبْحَ الذِّراعينِ - أي طويلَهُما، وقيل: عريضهما -.

ففي «مسند الإمام أحمد» بسند حسن(٤) من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - في نَعْتِ رسولِ اللهِ - ﷺ - قال: «كان شَبْحَ الذِّراعَيْنِ».

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٤١٩١)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص٣٥).
(٢) أخرجه ابن ماجَهْ في «سننه» (٣٧٦)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص٣٤، ٣٥).
(٣) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٨).

ومِمَّا جاء في وصف كَفَّيْ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان ضَخْمَ اليدينِ، بَسِطَ الكفَّين، والبسطُ: هو الزيادة في السَّعَةِ.

ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النَّبيُّ ـ ﷺ ـ ضَخْمَ اليدينِ والقَدَمَينِ، حَسَنَ الوَجْهِ، لم أرَ بَعْدَهُ ـ ولا قَبْلَهُ، ـ مثلهُ وكان بَسِطَ الكَفَّينِ».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ أَزْهَرَ اللَّونِ، كأنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ (أي: في الصفاء والبياض)، إذا مشىٰ تكفَّأَ، ولا مَسِسْتُ دِيباجَةً ـ ولا حريرةً ـ أَلْيَنَ من كفِّ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، ولا شَمَمتُ مِسْكَةً ـ وَلا عَنْبَرَةً ـ أطيب مِنْ رائحةِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ».

ومِمَّا جاء في وصف الساقين والقدمين لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه دقيقُ الساقين، وكان في ساقيه حُمُوشَةٌ (أي: دِقَّةٌ)، وكان ضَخْمَ القدمينِ، قليلَ لَحْمِ العَقِبَينِ.

ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي جُحَيْفَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: «دُفِعْتُ إلىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ وهو بالأَبْطَحِ في قُبَّةٍ، وكان بالهاجرةِ ـ وفية ـ وخرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ كأنِّي أنظرُ إلىٰ وَبِيْصِ ساقَيْه». قال ابنُ الأثير ـ رحمه الله ـ: «الوَبِيْصُ: البريقُ».

وأخرج الإمام التِّرْمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ[(٤)] من حديث جابر بن سَمُرَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسولُ الله ﷺ ـ لا يضحكُ إلا تبسُّمًا، وكان في ساقَيهِ حُمُوشَةٌ».

(١) رواه البخاري (٥٩٠٧).
(٢) رواه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠)، واللفظ له.
(٣) رواه البخاري (٣٥٦٦)، ومسلم (٥٠٣).
(٤) رواه الترمذي (٣٦٤٥).

وفي «صحيح البخاري»(١) من حديث ـ أنس رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ ضَخمَ القَدَمَيْنِ».

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث جابر بن سَمُرَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ مَنْهُوسَ العَقِبَيْنِ»: أي قليل لحمِ العقبين، والعَقِبُ: هو مُؤخَّر القدم.

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣٩).



الخطبة الثانية



بعض صفة النبي ﷺ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّم على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ - ﷺ - وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، إنَّ الحديث عن صفة الحبيب - ﷺ - ذو شُجُونٍ، وقد سبق بيانُ بعض تلك الصفاتِ، وفيما يأتي ذكر بعضها ليكتملَ العِقْدُ - إن شاء الله -.

ومِمَّا جاء في وصف شَيْبِ رسول الله - ﷺ - أنه كان في رأسه ولحيتِهِ قليلٌ من الشَّيْبِ، وكان أكثرُ شيبِ رأسه في فَوْدَيْ رأْسِهِ - والفوْدَان: حَرْفا الفَرْقِ -، وأكثرُ شَيْب لحيته في عَنْفَقَتِهِ فوقَ الذَّقَنِ - والعَنْفَقةُ: الشُّعَيْراتُ التي بَيْنَ الشَّفَةِ السُّفْلى والذَّقَنِ. وكان شيْبُهُ كأنه خُيوطُ الفِضَّةِ، يتلألأ بَيْنَ ظَهري سوادِ الشَّعرِ الذي معه.

وإذا مسَّ ذلك الشَّيْبَ الصُّفْرة - وكثيراً ما يفعل ذلك - صارَ كأنَّه خيوط الذَّهبِ، يتلألأ بين ظهري سواد الشعر.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: «تُوُفِّيَ رسولُ الله - ﷺ - وليس في رأسِهِ ولحيتِهِ عِشْرونَ شَعَرَةً بيضاء». قال ربيعةُ: «فرأيتُ شَعَراً من شَعَرِ رسولِ الله - ﷺ - فإذا هو أحمرُ، فسألتُ، فقيل: مِن الطِّيبِ».

وفي «الصحيحين»[2] عن محمَّد بن سِيرينَ قال: سألتُ أَنَسَ بْنَ مالكٍ: أَخَضَبَ

---

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٢) رواه البخاري (٥٨٩٤)، ومسلم (٢٣٤١)، واللفظ له.

رسولُ الله - ﷺ - (أي: استعملَ الخضابَ: وهو ما يُخْتَضَبُ به من حِنَّاءٍ، وكَتَمٍ، ونَحْوِهِ). قال: «إنَّه لم يَرَ مِنَ الشَّيبِ إلاَّ قليلاً».

في «صحيح مسلم»(١) من حديث جابر بن سَمُرَةَ - رضي الله عنهما - قال: «كان رسول الله - ﷺ - قَدْ شَمِطَ (أي: ابتدأ الشيبُ فيه) مُقَدَّمُ رأسِهِ ولحيتِهِ، وكان إذا ادَّهَنَ ومَشَطَ لم يَتبيَّنْ، وإذا شَعِثَ رأسُهُ تبيَّنَ».

والشَّعَثُ: هو بُعْدُ أي بُعْدُ العَهْدِ بالغُسْلِ، وتسريحِ الشَّعرِ، قاله ابن الأثير.

وممَّا جاء في وصف خاتِمِ النُّبُوَّة، أنَّه كان على كتِفِهِ اليُسرىٰ مثل بيضةِ الحمامةِ، وهي بيضتها المعروفة.

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عبد الله بن سَرْجِسَ - رضي الله عنه - قال: «أتيتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - وهو في ناسٍ من أصحابه، فدُرْتُ من خَلْفِهِ، فَعَرَفَ الذي أُريدُ، فألقىٰ الرِّداءَ عن ظَهْرِهِ، فرأيتُ موضعَ الخاتمِ علىٰ كَتِفَيْهِ مِثْلَ الجُمْعِ (أي: مِثْلَ جُمْعِ الكفِّ: وهو هَيْئَتُهُ بعد جمع الأصابع). كأنها ثآليلُ، فَرَجَعْتُ حتَّىٰ استقبلته، فقلتُ: غَفَرَ اللهُ لك يا رسولَ اللهِ. فقال: «**ولك**».

فقال القوم: أَسْتَغْفَرَ لك رسولُ الله - ﷺ -؟ فقال: نعم، ولكم. ثمّ تلا هذه الآيةَ: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩].

وفي «صحيح مسلم»(٣) من حديث جابر بن سمرة - رضي الله عنهما - قال: «كان وجهُ رسولِ اللهِ - ﷺ - مِثْلَ الشَّمْسِ والقَمَرِ مُسْتديراً، ورأيتُ الخاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الحمامةِ، يُشْبِهُ جَسَدَهُ».

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤٤).
(٢) رواه مسلم (٢٣٤٦).
(٣) رواه مسلم (٢٣٤٤).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[1] من حديث أبي زيدٍ عَمْرِو بْنِ أخطبَ الأنصاريِّ قال: قال لي رسولُ الله - ﷺ -: «**يا أبا زيد، ادْنُ منِّي؛ فامسحْ ظَهْري**».

فمسحتُ ظهرَهُ، فوقعتْ أصابعي على الخاتمِ، قلت: وما الخاتم؟. قال: «**شعراتٌ مُجتمعاتٌ**».

وممَّا جاء في لِباس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه كان أحبَّ الثِّيابِ إليه القَمِيصُ، وكان يحبُّ البياضَ.

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل» للتِّرْمذيّ[2] من حديث أمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - قالت: «كان أحبَّ الثياب إلى رسول الله - ﷺ - يَلْبَسُهُ القميصُ».

وأخرج أبو داود - أيضًا - بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[3] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول - ﷺ - «**عليكم بالبَيَاضِ من الثياب، لِيَلْبَسْها أحياؤكم، وكفِّنُوا فيها موتاكم؛ فإنها من خيرِ ثيابِكم**».

وممَّا جاء في وصف عِمامته - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يلبس العِمامة، يَسْدُلُها بين كتفيه، ففي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[4] من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي - ﷺ - إذا اعتمَّ سَدلَ عِمامَتَهُ بينَ كَتِفَيْهِ».

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٧٧)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٣١).
(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٥)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٤٦).
(٣) رواه أبو داود (٤٠٦١)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٥٠).
(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٧٣٦)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٦٨).

ومِمَّا جاء في وصف نَعْلِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنَّ له قبلانِ، والقبلانِ: السّيْرُ الذي فيه الشِّسْع، الذي يكون بَيْنَ إصبعَيْ الرِّجْلِ.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[1] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان نَعْلُ رسول الله ـ ﷺ ـ لهما قبلان».

أيها الناسُ، تلك صفة الحبيب ـ ﷺ ـ، وقد كان لها أثرُها العظيمُ في الدَّعوة والاستجابة لها، فكم من رجلٍ دخل الإسلام بمجرد رؤيته ـ ﷺ ـ ومشاهدة نورِ وَجْهِهِ، فهذا عبدُ اللهِ بْنُ سلامٍ ـ حِبْرُ اليهودِ وأَعْلَمُهُمْ قبل إسلامه ـ يقولُ ـ كما عند الترمذي بسندٍ حسنٍ صحيح[2] : «لَّما قَدِمَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ المدينة انجفل الناسُ إليه (ومعنى انجفل: أي أسرع)، وقيل: قَدِمَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ ثلاثَ مرَّاتٍ، فجئتُ في الناس لأنظر إليه، فلمَّا تأملتُ وجهَهُ، واستثبتُّهُ (أي تحقَّقْتُهُ)، عرفتُ أنه ليس بوجه كذَّابٍ».

هذا ونسأل اللهَ أن يُوزِعَنا شُكْرَ نعمتهِ، وأن يُوفِّقَنا لأداءِ حقِّهِ، وحقِّ نبيِّه ـ ﷺ ـ.

---

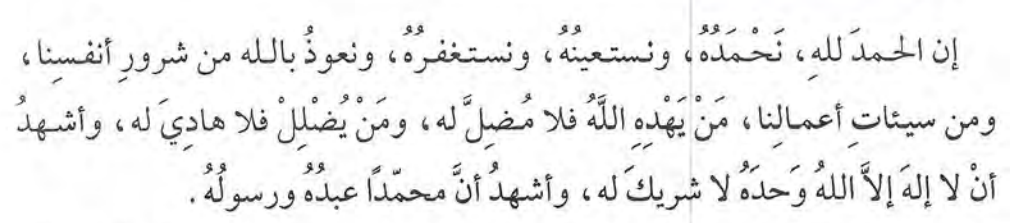
(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٨٤٧)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٥٣).

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٢٤٨٥)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وابن ماجه (١٣٣٤) والدارمي (١٤٦٠٨)، والحاكم (٣/ ١٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.



الخطبة الأولى

الصلاة على النبي ﷺ



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، إن من أعظم نعم الله على عباده أن بعث فيهم رسوله محمَّداً - ﷺ -؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وللنبيِّ - ﷺ - علينا حقوق كثيرة، منها الصلاة والسلام عليه - ﷺ -، فالصلاة والسلام عليه - ﷺ - من أجلِّ العبادات، وأفضل الطاعات التي نتقرَّب بها إلىٰ الله - سبحانه وتعالىٰ -.

وللصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - فضائل كثيرة:

فمنها أنها امتثال لأمر الله - سبحانه وتعالى - القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ومنها أن الله - سبحانه وتعالى - يصلي على من صلَّى عليه:

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «مَنْ صلى عليَّ واحدةً، صلَّى اللهُ عليه عَشْرًا».

وروىٰ النَّسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٢]، من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «مَنْ ذُكِرْتُ عنده فلْيُصلِّ عليَّ، ومَنْ صلَّى عليَّ مرَّةً صلَّى اللهُ عليه عَشْرًا».

وفي «مسند أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] من حديث عامر بن ربيعَة - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «ما منْ عبد يُصَلِّي عليَّ إلاَّ صلَّتْ عليه الملائكةُ، ما دام يُصلِّي عليَّ فلْيُقِلَّ العَبْدُ مِنْ ذلك أو لِيُكْثِرْ».

ومنها أنَّ الصلاة والسلام عليه - صلى الله عليه وسلم - ترفع الدَّرجات، وتَحُطُّ السَّيِّئات.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٤] من

(١) رواه مسلم (٤٠٨).
(٢) رواه النسائي (ص٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).
(٣) «المسند» (٣/ ٤٤٥)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).
(٤) «المسند» (٤/ ٢٩)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٧).

حديث أبي طلحةَ الأنصاريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: أصبح رسولُ الله ـ ﷺ ـ يومًا طيِّبَ النَّفْسِ، يُرَىٰ في وجهِهِ البِشْرُ. قالوا: يا رسولَ اللهِ، أصْبَحْتَ اليومَ طيِّبَ النَّفسِ، يُرَىٰ في وجْهِكَ البِشْرُ!. قال: «أَجَلْ، أتاني آتٍ منْ عنْدِ ربِّي ـ عزَّ وجلَّ ـ فقال: مَنْ صلَّى عَلَيْكَ منْ أُمَّتِكَ صلاةً، كتبَ اللهُ لهُ بها عَشْرَ حسناتٍ، ومحا عنه عَشْرَ سيِّئاتٍ، ورفعَ لهُ عَشرَ درجاتٍ، وردَّ عليه مثْلَها».

وروىٰ الإمام أحمدُ في «مسنده»، والنسائيُّ في «سننه» ـ واللَّفظ له ـ بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً واحدةً، صلَّى اللهُ عليه عَشْرَ صَلَواتٍ، وحطَّ عنه عَشْرَ خطيئاتٍ، ورُفِعَتْ له عَشْرُ درجاتٍ».

ومنها أن الصلاة والسلام عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كفاية الهموم، ومغفرة الذنوب:

أخرج الإمام أحمد في «مسنده»، والترمذي في «سننه» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ ـ كما قال الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] ـ: من حديث أُبيِّ بن كعبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي أُكْثِرُ الصلاةَ عليك، فكم أجعلُ لك من صلاتي؟. قال: «ما شئْتَ».

قال: قلتُ: الرُّبعَ؟. قال: «ما شئْتَ، وإن زِدْتَ فهو خيرٌ لك» قلت: النِّصْفَ؟.

قال: «ما شئْتَ، فإنْ زِدْتَ خير لك».

قال: قلت: ثُلُثينِ؟ قال: «ما شئْتَ، وإن زِدْتَ فهو خيرٌ لك».

قال: أجعل لك صلاتي كلَّها. قال: «إذًا تُكْفَى همَّك، ويُغفَرُ لك ذنبُكَ».

---

(١) «المسند» (٣/ ١٠٢)، و انظر «صحيح الجامع» (٦٢٣٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٣٦)، والترمذي (٢٤٥٧)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٠).

قال المنذري - رحمه الله - قوله: «أُكثِرُ الصلاةَ، فكم أجعلُ لك من صلاتي؟» معناه:

أُكثِر الدُّعاءَ، فكم أجعلُ لك من دُعائي صلاةً عليك[1].

ومنها أنَّ الصلاة والسلام عليه - صلى الله عليه وسلم - سببٌ لِنَيلِ شَفَاعته:

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث عبد الله بن عَمْرِو بْنِ العاصِ - رضي الله عنهما - أنه سمع رسولَ الله - ﷺ - يقول: «**إذا سمعتُمُ المؤذِّنَ، فقولوا مثلَما يقولُ، ثم صلُّوا عليَّ؛ فإنَّه مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً صلى اللهُ عليه بها عَشْرًا، ثم سلُوا اللهَ ليَ الوسيلةَ، فإنَّها مَنْزِلةٌ في الجنَّة لا تنبغي إلاَّ لعبدٍ من عبادِ الله، وأرجو أن أكون أنا هُوَ، فمن سأل ليَ الوسيلةَ حلَّتْ لهُ الشَّفَاعةُ**».

ومنها أنها سببٌ لعَرْضِ اسْمِ المُصلِّي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم:

فقد أخرج الديلميُّ في «مسند الفِردوس» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[3]، من حديث أبي بكر الصدِّيق - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**أَكْثِروا الصلاةَ عليَّ؛ فإنَّ اللهَ وكَّلَ بي مَلَكًا عِنْدَ قَبْرِي، فإذا صلَّى عليَّ رجُلٌ من أُمَّتي، قال لي ذلك المَلَكُ: يا مُحمَّدُ، إنَّ فلانَ بْنَ فُلانٍ صلَّى عليك السَّاعةَ**».

وروىٰ البزَّار بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيَّ في «صحيح الجامع»[4] من حديث عمَّار ابن ياسرٍ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إنَّ لله - تعالى - مَلَكًا،**

---

(١) «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٠١).

(٢) «رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) الديلمي في «مسند الفردوس» (١/ ٩٣)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢١٨).

(٤) رواه البزار (٣٠٦)، «صحيح الجامع» (٢١٧٦).

أعطاهُ سَمْعَ العباد، فليس مِنْ أَحَد يُصلِّي عليَّ إلاَّ أَبْلَغْنِيها، وإنِّي سألتُ ربي ألاَّ يُصلِّيَ عليَّ عبدٌ صلاةً إلاَّ صلَّى عليه عَشْرَ أمثالها».

و في «مسند الإمام أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ[(١)] من حديث عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «إنّ لله ـ تعالى ـ ملائكةً سيَّاحين في الأرضِ، يُبلِّغونني عن أمَّتي السَّلامَ».

ومنها أنَّ الصلاة والسلام على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طهارةٌ من لَغْوِ المَجْلِسِ:

ففي «مسند الإمام أحمدَ صحيحٍ[(٢)]، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما قعد قومٌ مقعداً، لا يذكرون اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ، ولا يُصلُّون على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا كان عليهم حَسْرَةً يومَ القيامة، وإنْ دَخَلُوا الجنَّةَ للثَّوابِ».

ومنها أن الصلاة والسلام على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سببٌ في إجابة الدُّعاءِ:

فقد أخرج ابن مخلد في «المنتقى» بسند حسن، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع»[(٣)] عن عليِّ بْنِ أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كُلُّ دُعاءٍ مَحْجُوبٌ، حتَّى يُصَلَّى على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ».

ومنها: أنَّ الصلاة والسلام على رسول الله سبب لانتفاء البخل عن الشخص.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسنٍ[(٤)] من حديث الحسين بن عليٍّ ـ رضي الله عنهما

---

(١) «المسند» (١/ ٣٨٧)، وانظر «صحيح الجامع» (٢١٧٠).
(٢) «المسند» (٢/ ٤٦٣)، وانظر «صحيح الجامع» (٧٥٠٠).
(٣) رواه ابن مخلد في «المنتقى» (١/ ٧٦)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٢٩٩).
(٤) رواه الترمذي (١٤٥٦).

- عن النبيِّ - ﷺ - قال: «البخيلُ مَنْ ذُكِرتُ عِندَهُ، فَلَمْ يُصلِّ عَلَيَّ».

ومنها أنها سبب للوقاية من النار:

ففي «صحيح ابن حِبَّانَ» بسند صحيح لغيره(١) من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أن النبيَّ - ﷺ - صَعِدَ المِنْبرَ، فقال: «آمينَ، آمين». قيل: يا رسولَ الله، إنَّكَ حين صَعِدْتَ المِنبَرَ قُلْتَ: آمينَ، آمينَ، آمينَ؟. قال: «إنَّ جبْريلَ أتاني فقال: مَنْ أدرك شَهْرَ رمضانَ، ولم يُغْفَرْ له، فدخل النَّارَ، فأبْعَدهُ اللهُ، قل: آمينَ، فقلتُ: آمينَ.

ومَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْه أو أَحَدَهُما عِنْدَ الكِبَر، فلم يبَرهما، فمات فدخل النارَ، فأبعدَهُ اللهُ، قل: آمين. فقلت: آمين ومَنْ ذُكِرتَ عِنْدَهُ، فلم يُصلِّ عليك، فمات فدخل النار، فأبعدَهُ اللهُ، قُلْ: آمين. فقلت: آمين».

أيها الناس، تلك بعض فضائل الصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ -، لكن كيف نصلِّي عليه؟

أيها الناس، لكي تكونَ أعمالُنا مقبولة عند الله؛ لابُدَّ من تحقيق أمرينِ مُتلازمينِ - لا ينفكُّ أحدُهما عن الآخرِ -:

الأوَّل - إخلاص العمل لله.

والثاني - أن يكونَ هذا العملُ مُوافقًا لما جاء به رسولُ اللهِ.

وها هو رسول الله - ﷺ - يُعلِّمنا كيف نصلِّي عليه.

ففي «صحيح البخاريِّ»(٢) من حديث أبي حُمَيْدٍ الساعديِّ - رضي الله عنه - أنهم قالوا: يا رسولَ الله، كيف نُصلي عليك؟. فقال رسول الله - ﷺ -: «قولوا: اللَّهمَّ صلِّ على محمد، وأزواجِه، وذُرِّيَّتِه، كما صلَّيت على آلِ إبراهيمَ، وباركْ على محمَّدٍ،

---

(١) رواه ابن حبان (٢٣٨٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٩).
(٢) رواه البخاري (٣٣٦٩).

وأزواجه، وذُرِّيَّته، كما باركْتَ على آلِ إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ».

وفي «صحيح البخاري»[١] - أيضًا - من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: قلنا: يا رسولَ الله، هذا السلامُ عليك، فكيف نُصلِّي عَلَيْكَ؟. قال: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّد عبدك ورسولك، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، وباركْ على محمَّد، وعلى آلِ محمَّدٍ، كما باركْتَ على إبراهيمَ، وآلِ إبراهيمَ».

وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث عبدِ الرحمنِ بن أبي ليلىٰ قال: لَقِيني كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فقال: ألاَ أُهْدي لك هديّةً سمعتُها من النبيِّ - ﷺ -؟. فقلتُ: بلىٰ، فأهْدها لي. فقال: سَأَلْنا رسولَ الله - ﷺ - فقلنا: يا رسولَ الله، كيف الصلاةُ عليكُمْ أَهْلَ البيتِ؟، فإنَّ اللهَ قدْ علَّمنا كيف نُسلِّمُ عليكم. قال: «قُولُوا: اللهُمَّ صلِّ على محمَّد، وعلى آلِ محمَّد، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، اللهُمَّ باركْ على محمَّد، وعلى آلِ محمَّد، كما باركْتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ».

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي مسعودٍ قال: أتانا رسولُ الله - ﷺ - ونحن في مجلس سَعْدِ بْنِ عُبادةَ، فقال له بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أمَرَنا اللهُ - تعالىٰ - أن نُصلِّيَ عليك - يا رسولَ الله - فكيف نُصلِّي عليك؟. قال: فسكتَ رسولُ الله - ﷺ -، حتىٰ تمنَّيْنَا أنَّه لم يَسْأَلْهُ، ثمَّ قال رسولُ الله - ﷺ -: «قُولوا: اللهُمَّ صلِّ على محمَّد، وعلى آل محمَّد، كما صليتَ على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آلِ إبراهيمَ في العالمينَ، إنّك حميدٌ مجيدٌ، والسلامُ كما قَدْ عَلِمْتُمْ».

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٥٨).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٠).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٢٣) مع شرح النووي.



الخطبة الثانية

الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ



الحمدُ لله حقَّ حَمْدِهِ، كما ينبغي لجلالِ وَجهِهِ، وعظيمِ سُلْطانِهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله ـ ﷺ ـ، وعلى آله، وصَحبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناس، سبق الحديث عن فضل الصلاة والسلام على رسول الله ـ ﷺ ـ، مع ذِكْرِ كيفيَّة الصلاةِ عليه ـ ﷺ ـ كما شرع الله على لسان نبيِّه، لا ما أحدثه الناس من الصلوات التي ليس لها ذكرٌ صحيحٌ عن رسول الله ـ ﷺ ـ.

أيها الناسُ، حديثي معكمُ الآنَ حولَ مَواطِنَ تُشْرَعُ فيها الصلاةُ على رسُول الله ـ ﷺ ـ:

فمنها في آخرِ التَّشَهُّدِ: قد أجمع المسلمون على مَشْروعيته، وهي واجبةٌ على الصحيح من أقوالِ أهل العلم.

لما في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي مسعودٍ الأنصاريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: أتانا رسولُ الله ـ ﷺ ـ ونحن في مجلسِ سَعْدِ بنِ عُبادةَ ـ رضي الله عنه ـ، فقال له بَشيرُ ابْنُ سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ: قدْ أمَرَنا اللهُ أنْ نصلِّيَ عليك، فكيف نُصلِّي عليك؟.

قال: «**قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّد، وعلى آلِ محمَّد، كما صلَّيتَ على آلِ إبراهيمَ، وباركْ على محمَّد، وعلى آلِ محمَّد، كما باركتَ على آلِ إبراهيمَ في العالمين، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، والسلامُ كما علِمْتُم**».

---

(١) تقدم تخريجه.

وفي «مسند الإمام أحمدَ» بسندٍ حسنٍ،[١] من حديث فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: سَمِعَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ رجلاً يدعو في صلاتِهِ، لم يُمجِّدِ اللهَ ـ تعالىٰ ـ، ولم يُصلِّ علىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ، فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «عَجِلَ هذا». ثمَّ دعاه، فقال له ـ أو لغيرِهِ ـ: **«إذا صلى أحَدُكم فليبدأْ بتحميدِ الله، والثناء عليهِ، ثمَّ لِيُصَلِّ على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثمَّ لِيَدْعُ بعدُ بما شاءَ»**.

ومن مواطنِ الصلاةِ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صلاةِ الجنازة بَعْدَ التكبيرةِ الثانية:

فقد أخرج إسماعيلُ بن إسحاق القاضي في كتابه «فضل الصلاة علىٰ النبي ـ صلىٰ الله عليه وسلم»، وصححه الألباني في تعليقه علىٰ الكتاب[٢] عن سعيد بن المُسَيِّب أنَّه قال: «إنَّ السُّنَّةَ في صلاةِ الجنازةِ أن يَقْرأَ بفاتحةِ الكتاب، ويُصلِّيَ علىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ، ثمَّ يُخْلِصَ الدُّعاءَ للميِّتِ حتىٰ يَفرُغَ، ولا يقرأ إلاَّ مرَّةً واحدةً، ثمَّ يُسلِّمُ في نَفْسِهِ».

ومن مواطنِ الصلاة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بَعْدَ الأذان:

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه سمع رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: **«إذا سَمِعْتُمُ المؤذِّنَ، فقولوا مثلَما يقولُ، ثمَّ صلُّوا عليَّ؛ فإنَّه مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً، صلَّى اللهُ عليه بها عَشْرًا، ثمَّ سَلُوا اللهَ ليَ الوسيلةَ، فإنَّها منزلةٌ في الجنَّة، لا تنبغي إلاَّ لعبدٍ من عبادِ الله، وأرجو أنْ أكونَ أنا هُوَ، فمَنْ سألَ ليَ الوسيلةَ، حلَّتْ له الشفاعةُ»**.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٨).

(٢) «فضل الصلاة علىٰ النبي ـ ﷺ ـ» (ص٧٩) بتحقيق الألباني.

(٣) رواه مسلم (٣٨٤).

ومن مواطن الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندَ الدُّعاء:

فقد أخرج الإمام الترمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ[١] من حديث عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: كنتُ أُصلِّي والنبيُّ ـ ﷺ ـ، وأبو بكر، وعمر معه، فلما جلست بدأتُ بالثناء على الله ـ تعالى ـ، ثمَّ بالصلاةِ على النبيِّ ـ ﷺ ـ ثمَّ دعَوتُ لنفسي، فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: **«سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ»**.

ومن مواطنِ الصلاةِ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند دخول المسجد، والخروج منه:

فقد أخرج ابن خُزيمةَ بسند صحيحٍ[٢] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: **«إذا دخل أحدُكُمُ المسجدَ، فَلْيُسَلِّمْ على النبيِّ ـ ﷺ ـ وليقُلْ: اللهمَّ افتحْ لي أبواب رَحمتكَ، وإذا خَرَجَ فليسلمْ على النبيِّ ـ ﷺ، وليقُلِ: اللّهُمَّ، أَجِرْني من الشَّيطانِ الرَّجيمِ»**.

ومن مواطنِ الصلاةِ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند ذكرِه ـ صلى الله عليه وسلمَ ـ:

فقد روى النَّسائيُّ بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[٣] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: **«مَنْ ذُكِرْتُ عندَهُ فَلْيُصَلِّ عليَّ؛ فإنَّه مَنْ صلَّى عليَّ مرَّةً، صلَّى اللهُ عليه عَشْراً»**.

---

(١) رواه الإمام الترمذي في «سننه» (٥٩٣)، وقال: حديثٌ حسن صحيح، وقال محقِّقُ «جامع الأصول» (٤/ ١٥٦): حَسَنٌ.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٤٥٢).

(٣) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).

ومن مواطن الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند طَرَفَي النَّهارِ:

فقد أخرج الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديث أبي الدَّرداءِ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ صلَّى عليَّ حينَ يُصبحُ ـ وحينَ يُمسي ـ عَشْرًا، أدْرَكَتْهُ شفاعتي يومَ القيامةِ».

ومن مواطن الصلاةِ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الجُمُعة وليلتُها:

فقد أخرج أبو داود بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] من حديث أوس بن أوسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ من أفضلِ أيَّامِكُمْ يومَ الجُمُعةِ؛ فيه خُلقَ آدمُ، وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفْخَةُ، وفيه الصَّعْقَةُ؛ فأكثروا عليَّ منَ الصلاة فيه؛ فإنَّ صلاتَكُمْ مَعْرُوضةٌ عليَّ». قالوا: يا رسولَ الله، وكيف تُعْرَضُ عليك وقد أَرِمْتَ (أي: بَلِيْتَ)؟!. فقال: «إنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ حرَّم على الأرضِ أجسادَ الأنبياءِ».

وروىٰ البيهقيُّ في «سننه» بإسنادٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أكثروا الصلاة عليَّ في يومِ الجُمُعةِ؛ فإنَّه ليس أحدٌ يُصَلِّي عليَّ يومَ الجُمُعةِ إلاَّ عُرِضتْ عليَّ صلاتُهُ».

وروىٰ الحاكم في «مستدركه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[4] من حديث أبي مسعود الأنصاريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ

---

(١) «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٠)، وانظر «صحيح الجامع» (٦٢٣٣).
(٢) رواه أبو داود (١٠٤٧)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٤).
(٣) رواه البيهقي (٣/ ٢٤٩)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢٢٠).
(٤) رواه الحاكم (٢/ ٤٢١)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢١٦).

ﷺ - «أكثروا الصلاةَ عـليَّ في يومِ الجُمُعةِ؛ فإنه ليس أحدٌ يُصلِّي عليَّ يـومَ الجُمُعةِ إلاَّ عُرِضتْ علَّي صلاتُهُ».

أيها الناسُ، تلك جُملةُ مواطنَ تُشرعُ فيها الصلاةُ عليه - ﷺ -.

وليستْ تلك المواطنُ هي التي تُشرعُ فيها الصلاةُ عليه - ﷺ - فَقَطْ، كلاَّ بل تُشْرعُ الصلاةُ عليه - ﷺ - عند ذكرِهِ - وقد تقدَّم الدليلُ على ذلك - وتُشرعُ الصلاةُ عليه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ عدا الأماكنِ الَّتي لا يُشرعُ فيها ذِكرُ الله: كالحمَّام.

فقد أخرج الإمام أبو داود في «سننه» بسندٍ حسنٍ[1] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا تجعلوا بيُـوتَكُمْ قُبُوراً، ولا تجعلوا قَبري عِيدًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتَكُمْ معروضةٌ، تبلُغُني حيثُ كُنتم».

وسُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وبحمدِك، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٣٦٧).



الخطبة الأولى

٢. أهمية الصلاة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾
[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن أهميَّة الصلاة، فهي أفضلُ الأعمال بعد الشهادتين، بل إنها حياةُ القلوب، وبُرهانٌ على شُكرِ المُحسنِ، والاعترافِ بالجميلِ، **وهي (أي الصلاة) واجبة ـ بالكتاب، والسنة، وإجماع الأُمَّة ـ على كلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ.**

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - أنَّ النبيَّ - ﷺ - بَعثَ مُعاذًا إلىٰ اليمن، فقال: «ادْعُهُم إلى شهادة أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنِّي رسولُ الله، فإنْ هُم أطاعُوا لذلك، فأعْلِمْهُم أنَّ الله قد افترضَ عليهم خَمْسَ صَلَوات في كُلِّ يومٍ وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأَعْلِمْهُم أنَّ اللهَ قد افترضَ عليهم صدقةً في أموالِهِم، تُؤْخَذُ مِنْ أغنيائِهِمْ، وتُرَدُّ على فُقَرائهم».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - عن النبيِّ - ﷺ - أنه قال: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمس: شهادة أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسُولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والحجِّ، وصَوم رمَضانَ».

والأدلة من الكتاب والسنة في فرضيَّة الصلاة كثيرة،

وقد نقل الإمام ابن قُدامة في كتابه «المغني»[٣] إجماع الأُمَّة علىٰ وجوب خمس صلواتٍ في اليوم واللَّيلة.

وأمَّا أهمِّية الصلاة - أيها الناسُ - فإنَّ ذلك لا يكاد يُحصر:

فمنها أنَّ الصلاةَ عمادُ الدِّينِ الذي لا يقومُ إلاَّ بِهِ، وإذا سقط العمود سقط ما بُنِيَ عليه:

ففي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسَّنه الألباني في «إرواء الغليل»[٤] من حديث مُعاذ بن جبلٍ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١/ ٥٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «المغني» لابن قُدامة (٣/ ٦).

(٤) «المسند» (٥/ ٢٣١)، و«سنن الترمذي» (٢٦١٦)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٢/ ١٣٨).

«رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سنامه الجهادُ».

ومِمَّا يدلُّ على أهميَّتها ـ أيها الناسُ ـ أنها أوَّلُ ما يُحاسبُ عليه العبدُ من عمله، فصلاحُ عمله وفَسادُهُ بصلاح صلاته وفسادها:

فقد أخرج الطَّبرانيُّ في «الأوسط» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «الصحيحة»[(1)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنه قال: **«أوَّلُ ما يُحاسبُ به العبْدُ يومَ القيامة الصلاةُ، فإنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سائِرُ عَمَلِه، وإنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائرُ عمله»**.

وفي روايةٍ: **«أوَّلُ ما يُسألُ عنه العبدُ يومَ القيامة ينظرُ في صلاته، فإن صَلَحَتْ فقد أفْلَحَ [وفي روايةٍ: وأنجح]، وإن فسَدَتْ فقد خَابَ وخَسرَ»**.

ومِمَّا يدلُّ على أهميتها أنَّها آخرُ ما يُفْقدُ من الدِّين، فإذا ذهب آخرُ الدِّينِ لم يبقَ شيءٌ منه:

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(2)] من حديث أبي أُمامةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: **«لَتُنقَضَنَّ عُرى الإسلام عُرْوةً عُرْوةً، فكُلَّما انتقضتْ عُروةٌ تَشَبَّثَ الناسُ بالتي تَلِيَها، فأوَّلُهُنَّ نقْضًا الحُكمُ، وآخِرُهُنَّ الصلاةُ»**.

أيها الناس، تلك بعض الأدلَّةِ التي تدلُّ على أهمية الصلاة، وأمَّا فضائلها فأكثرُ من أن تُحصَرَ:

فمن فضائلها أنَّها تغسلُ خطايا بني آدَمَ:

ففي «الصحيحين»[(3)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ

---

(1) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٤٠٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٣٤٦).
(2) «المسند» (٥/ ٢٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢٩).
(3) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

الله ـ ﷺ ـ يقول: «أرأيْتُم لو أنَّ نَهَرًا ببابِ أحَدكُم، يغتسلُ فيه كُلَّ يوم خمْسَ مرَّات، هل يبقى مِنْ دَرَنه شيءٌ؟» قالوا: لا يبقى مِنْ دَرَنِه شيءٌ. قال: «فذلكَ مَثَلُ الصَّلواتِ الخمس، يمحو اللهُ بهنَّ الخطايا».

والدَّرَنُ: هو الوَسَخُ.

قال الإمام ابن العربيِّ ـ رحمه الله ـ: «وَجْهُ التمثيل أنَّ المرءَ يتدنسُ بالأقذارِ المحسوسةِ في بدنِهِ وثوبِه، ويُطَهِّرُه الماءُ الكثيرُ، فكذلك الصلواتُ تُطَهِّرُ العبدَ مِنْ أقذارِ الذُّنوبِ، حتىٰ لا تُبقي له ذنبًا إلاَّ أسقطتْهُ وكفَّرتْهُ، واللهُ أعلمُ»[(١)].

ومن فضائلها أنها تُكَفِّرُ السَّيِّئات:

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الصلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ ـ مُكَفِّراتٌ ما بَيْنَهُنَّ، إذا اجْتَنَبَ الكبائرَ».

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث عُثمانَ بنِ عفَّان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا يتوضَّأُ رجلٌ، يُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ويُصلِّي الصلاةَ ـ إلاَّ غُفِرَ له ما بَيْنَهُ وبَيْنَ الصلاةِ حتَّى يُصلِّيَها».

ومن فضائلها أنها أفضل الأعمال بعد الشَّهادتين:

ففي «الصحيحين»[(٤)] من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سألتُ رسول الله ـ ﷺ ـ: أيُّ العملِ أحبُّ إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ؟. قال: «الصلاةُ على وَقْتِها». قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟. قال: «برُّ الوالدين» قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟. قال: «الجهادُ في سبيلِ الله».

---

(١) «حاشية صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦٣).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣).

(٣) رواه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٧).

(٤) رواه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

قال: «حدَّثَني بهنَّ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ، ولو استَزَدتُه لزادني».

وفي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[١] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ فسأله عن أفضلِ الأعمالِ؟، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**الصلاة**».

قال: ثُمَّ مَهْ؟ قال: «**ثمَّ الصلاة**». قال: ثمَّ مَهْ؟. قال: «**ثمَّ الصلاة**». قال: ثمَّ مَهْ قال: «ثُمَّ الصلاةُ» ـ (ثلاثَ مَرَّاتٍ) ـ قال: ثمَّ مَهْ؟. قال: «**الجهادُ في سبيلِ الله**».

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٢] من حديث ثَوْبانَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**استقيموا ولن تحصُوا، واعلموا أنَّ خَيْرَ أعمالِكمُ الصلاةُ، ولنْ يُحافظَ على الوُضُوءِ إلاَّ مؤمنٌ**».

ومن فضائلها أنها سببٌ لدخولِ الجنَّة، والنجاة من النَّار:

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٣] من حديث حَنْظَلَةَ الكاتبِ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول اللهِ ـ ﷺ ـ يقول: «**مَنْ حافظ على الصَّلوات الخَمْس: رُكوعهنَّ، وسُجودهنَّ، ومواقيتهنَّ، وعَلِمَ أنَّهنَّ، مِن عندِ الله ـ دخل الجنَّةَ ـ أو قال: وَجَبَتْ له الجنَّةُ، أو قال: حَرُمَ على النَّارِ ـ**».

ومنها أنها سببٌ لرفعِ الدرجات:

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الترغيب

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٣٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٨).

(٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (١/ ١٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٩).

(٣) رواه أحمد في «مسنده»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨١).

والتــرهيب»[١] من حديث مُطَرِّفٍ قال: قَعَدتُ إلىٰ نفرٍ من قُريشٍ، فجاء رجلٌ، فجعل يُصلِّي ويركعُ، ويَسجدُ ولا يَقعدُ، فقلتُ: واللهِ، ما أرىٰ هذا يَدري يَنصَرِفُ علىٰ شَفْعٍ، أو علىٰ وِتْرٍ؟. فقالوا: أَلاَ تقومُ فتقولَ له؟.

قال: فقُمْتُ فقلتُ: يا عبدَ اللهِ، ما أراك تدْري تَنْصَرِفُ علىٰ شَفعٍ، أو علىٰ وِتْرٍ!.

قال: ولكنَّ اللهَ يدْري، سمعتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يقول: «**مَنْ سَجَدَ سَجْدَةً، كَتَبَ اللهُ له بها حسنةً، وحطَّ عنه بها خطيئةً، ورفع له درجةً**».

فقلتُ: مَنْ أَنْتَ؟ فقال: أبو ذَرٍّ. فَرَجَعْتُ إلىٰ أصحابي، فقلتُ: جزاكُمُ اللهُ مِنْ جُلساءَ شَرًّا!، أمرتموني أن أُعلِّمَ رجلاً من أصحابِ النبيِّ ـ ﷺ ـ!.

وأخرج الإمام التِّرْمذيُّ بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والتــرهيب»[٢] من حديث ثَوْبانَ مولىٰ رسولِ الله ﷺ ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**ما منْ عبد يسجدُ لله سجدةً إلاَّ كَتَبَ له بها حسنةً، ومحا عنه بها سيئّةً، ورفع له بها درجةً؛ فاستَكثِروا من السُّجودِ**»

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٣] من حديث ربيعة بن كعبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنتُ أَخْدُمُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ نَهَاري، فإذا كان اللّيلُ أَوَيْتُ إلىٰ بابِ رسول الله ـ ﷺ ـ، فبِتُّ عندَهُ، فلا أزالُ أسمعُهُ يقول: «**سُبحانَ الله، سُبحانَ الله، سُبحانَ ربِّي**» حتىٰ أَمَلَّ، أو تَغْلِبَني عيني فأنامُ، فقال يومًا: «**يا ربيعةُ، سَلْني فأُعْطِيَكَ**».

فقلتُ: أَنْظِرْني حتَّىٰ أنْظُرَ، وتذكَّرْتُ أنَّ الدنيا فانيةٌ مُنقطعةٌ، فقلتُ: يا رسول اللهِ، أسأَلُكَ أنْ تدعُوَ اللهَ أنْ يُنجيني مِن النّارِ، ويُدخِلَني الجنَّةَ.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٦).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٨).

فسكت رسولُ الله - ﷺ -، ثم قال: «مَنْ أَمَرَك بهذا؟».

قلتُ: ما أَمَرني به أَحَدٌ، ولكنِّي علِمتُ أنّ الدُّنيا مُنطقعةٌ فانيةٌ، وأنت مِن اللهِ بالمكانِ الذي أنت منه؛ فأحببتُ أنْ تدعوَ اللهَ لي قال: «إنِّي فاعلٌ، فأعنِّي على نفسِك بكَثْرةِ السُّجُودِ».

وأخرج ابنُ حِبَّانَ في «صحيحه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] من حديث عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الجُهنيِّ - رضي الله عنه - قال:

جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ - ﷺ -، فقال: يا رسولَ الله، أَرَأَيْتَ إنْ شَهِدْتُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنّكَ رسولُ اللهِ، وصلَّيتُ الصَّلواتِ الخمسَ، وأدَّيتُ الزكاةَ، وصُمتُ رَمَضانَ وقُمْتُهُ، فممَّن أنا؟.

قال: «مِنَ الصِّدِّيقين والشُّهَداء».

ومن فضائلها أنها سبب للنجاة من النار:

فقد أخرج الطَّبراني في «الكبير» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «يُبعثُ مُناد عنْدَ كُلِّ صلاة فيقولُ: يا بني آدمَ، قوموا فأَطْفئُوا {عنكم} ما أوقدتموه على أنفسكم، فيقومون، {فتسقُطُ خطاياهم من أَعْيُنِهم، ويُصلُّون، فيغفرُ لهم ما بَيْنَهُما، ثمَّ تُوقِدون فيما بَيْنَ ذلك، فإذا كان عند الصَّلاة الأولى نادى: يا بني آدمَ، قوموا فأطفئوا ما أوقدتُم على أنفسكم، فيقومون فيتطهَّرون}، ويُصلُّون

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١/ ١٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٦٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩).

الظُّهرَ، فيغفر لهم ما بَيْنَهما، فإذا حَضَرتِ العَصْرُ، فمثلُ ذلك، فإذا حضرت المغربُ فمثلُ ذلك، فإذا حَضَرَتِ العَتَمةُ فمثلُ ذلك، فينامون وقد غُفِرَ لهم، فمُدْلَجٌ في خيرٍ، ومُدْلَجٌ في شَرٍّ».

أيها الناسُ، تلك بعض فضائل الصلاة، فحافظوا عليها؛ فإنها آخِرُ وصيةٍ أوصىٰ بها النبيُّ - ﷺ - أمَّتَهُ.

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «إرواء الغليل»[1] من حديث أمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - أنها قالت: كان آخِرُ وصيَّةِ رسولِ الله - ﷺ -: «الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانُكُمْ». حتىٰ جعل نبيُّ اللهِ - ﷺ - يُجَلْجِلُها في صَدْرِهِ، وما يفيضُ بها لسانُهُ.

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٠)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٧/ ٢٣٨).



الخطبة الثانية

حُكمُ تاركِ الصَّلاةِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديث معكم عن بعض أهميَّة الصلاةِ، مع ذكر شيءٍ من فضائلها، والآنَ حديثي معكم عن حكم تاركها.

أيها الناسُ، لا شكَّ أنَّ تَرْكَ الصلاة المفروضة كُفْرٌ، فمن تركها جاحداً لوجوبها كَفَرَ كُفْرًا أكبرَ بإجماعِ أهل العلمِ، ولو صلَّى[1]، أمّا من ترك الصلاة بالكُلِّيَّة - وهو معتقدٌ وجوبَها ولا يَجْحَدُها - فإنه يكفرُ، والصحيح من أقوال أهل العلم أنَّ كُفْرَهُ أكبرُ، يُخرجُ من الإسلام لأدلَّةٍ منها:

أوَّلاً: الأدلَّة من الكتاب العزيز:

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فوجه الدِّلالة من الآية: أنه - سبحانه - أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بحُكمه، ثمَّ ذكر أحوال المجرمين الذين هم ضدُّ المسلمين، فقال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ وأنهم يُدْعون إلى السجود لربِّهم - تبارك وتعالى -، فيُحالُ بينَهم وبينَهُ، فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبةً لهم على ترك السجود له مع المُصلِّين في دار الدنيا، وهذا يدلُّ على أنهم مع الكفار والمنافقين، الذين تبقى ظهورهم - إذا سجد المسلمون -

(١) انظر «تحفة الإخوان بأجوبة تتعلق بأركان الإسلام» لسماحة الشيخ ابن باز (ص٧٣).

كـمـيـامن من البـقـر، ولـو كـانـوا من المسلمين، لأُذِنَ لهم بالسجود كما أُذِنَ للمسلمين»(١)

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «ووجه الدلالة أنَّ الله ـ سبحانه ـ جعل هذا المكان من النار لمن أضاع الصلاة، واتَّبع الشهوات، ولو كان من عُصاة المسلمين، لكانوا في الطبقة العُليا من طبقات النار، ولم يكونوا في هذا المكان الذي هو أسفلها، فإن هذا ليس من أمكنة أهل الإسلام، بل من أمكنة الكفَّار»(٢).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فلمَّا كان الإسلام تصديقَ الخبر، والانقيادَ للأمر، جعل ـ سبحانه ـ له ضدَّين: عدمَ التصديق، وعدمَ الصلاة، وقابل التصديقَ بالتكذيب، والصلاةَ بالتولِّي، فقال: ﴿وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ فكما أنَّ المُكذِّبَ كافرٌ، فالمُتولِّي عن الصلاة كافر، فكما يزولُ الإسلامُ بالتكذيب، يزول بالتولِّي عن الصلاة»(٣).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

قال المَرْوَزِيُّ ـ رحمه الله ـ: «فبيَّن أنَّ علامَةَ أن يكونَ من المشركين تركُ الصلاة»(٤).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

---

(١) «الصلاة» لابن القيم (ص٥٣).
(٢) المرجع السابق (ص٥٧ـ٥٨).
(٣) المرجع السابق (ص٥٨).
(٤) «الصلاة» لمحمد بن نصر المَرْوَزِي (٢/ ١٠٠٥، ١٠٠٦).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فعلَّق أُخوَّتهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعلوا، لم يكونوا إخوةً للمؤمنين، فلا يكونوا مؤمنين لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠][1].

ثانيًا ـ الأدلة من السنة النبوية:

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**إنَّ بيْنَ الرَّجُلِ، وبيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ**».

وأخرج الإمام النَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ، وابْنُ ماجَهْ[3] بسندٍ صحيحٍ، عن بُرَيْدَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**العَهْدُ الذي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمُ الصلاةُ، فمَنْ تَركَهَا فقدْ كَفَرَ**».

وهذا الحديث ـ أيُّها الناسُ ـ وما قبلهُ ظاهرُ الدلالة جدًّا على كُفرِ تاركِ الصلاةِ.

وفي «الصحيحين»[4] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ يُغِيرُ إذا طلع الفجرُ، وكان يَسْمَعُ الأذانَ، فإنْ سَمعَ أذانًا أَمْسَكَ، وإلاَّ أَغَارَ».

ووجه الدلالة: أنَّ عدمَ الأذانِ دليلٌ على عدمِ الصلاةِ، وأنَّ عدمَ الصلاةِ دليلٌ على أنَّ القريةَ مشركةٌ بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وظاهر هذا في الإغارةِ على المُشْرِكينَ.

وفي «الصحيحين»[5] من حديث عُبادةَ بنِ الصَّامت قال: «دعانا النبيُّ ـ ﷺ ـ، فبايعْناهُ، فكان فيما أُخَذَ علينا: أَنْ بايعَنَا على السَّمْعِ والطَّاعةِ في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرَةٍ علينا، وألاَّ نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إلاَّ أنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهانٌ».

---

(١) «الصلاة» لابن القيم (ص٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨٢).

(٣) أخرجه النسائي (٤٦٣)، والترمذي (٢٦٢٣)، وابن ماجَهْ (١٠٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٠)، ومسلم (٣٨٢).

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أمِّ سَلَمةَ - رضي الله عنها - أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: «ستكونُ أُمَراءُ، فَتَعْرِفُونَ، وتُنْكِرون، فمن عَرَفَ بَرِئَ، ومَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، ولكنْ مَنْ رضيَ وتابعَ». قالوا: أفلا نقاتلُهم؟. قال: «لا، ما صلَّوْا».

ووجه الدلالة: أنَّ حديث عُبادةَ حرَّم مُنازعةَ وُلاةِ الأمور، إلا إذا أَتَوْا بكُفْرٍ بَوَاحٍ، فيه بيِّنةٌ وبُرهْانٌ من عند الله - سبحانه وتعالىٰ - علىٰ أنَّه كُفْرٌ بَوَاحٌ. وفي حديث أُمِّ سَلَمةَ حرَّمَ النبيُّ - ﷺ - مُقاتلةَ الأُمراءِ، إلاَّ إذا تركوا الصلاة لقوله: «لا، ما صلَّوا»،

فدلَّ مجموع الحديثين علىٰ أنَّ تاركَ الصلاة وقع في الكُفرِ البَوَاحِ، الذي قامت الأدلةُ علىٰ أنَّه كفرٌ صريحٌ، وهذا من أقوىٰ الأدلَّة، واللهُ أعلمُ.

ثالثًا - إجماع الصحابة على كُفر تارك الصلاة:

وقد حكىٰ إجماعَ الصحابةِ علىٰ كُفرِ تاركِ الصلاةِ غيرُ واحدٍ من أهل العلم.

فقد أخرج التِّرمذيُّ في «سننه»[٢] عن عبد الله بن شقيق - رضي الله عنه - قال: «كان أصحابُ محمَّدٍ - ﷺ - لا يَرَوْنَ شيئًا مِنَ الأعمالِ تَرْكُهُ كُفرٌ إلاَّ الصلاةَ».

أيها الناسُ، ذكرتُ لكمُ القولَ الراجح من أقوال أهل العلم.

وأمَّا من قال بَعَدمِ كُفْرِ تارك الصلاة فقولُهُ إنَّما يلتقي مع القول الراجح في أنَّ تَرْكَها من أعظم الأسبابِ المُوصِلة إلىٰ الكفر، فقد قال الإمام ابن الخراط وهو ممَّن يُرجِّح عدم كفر تارك الصلاة: «واعلم - رحمك اللهُ - أنَّ تَركَ الصلاة - وإنْ لم يكن كُفرًا كما قال أولئك رضوانُ الله عليهم - فإنه أعظمُ الأسبابِ المُوصِلَة إلىٰ الكُفْرِ، الداعية إلىٰ شُؤْمِ العاقبةِ، وسُوءِ الخاتمة»[٣].

وأخيراً أسألُ اللهَ العظيمَ الحليمَ العليمَ، أنْ يُفقِّهَنا في الدِّينِ، ويجعلَنا هُداةً مُهْتدين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١).

(٣) «الصلاة والتهجد» لابن الخراط (ص٩٦).



الخطبة الأولى

صلاة الجماعة



إنَّ الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ حديثي معكمُ اليومَ حولَ صلاةِ الجماعةِ في المساجد، التي هي أفضلُ البقاعِ وأطهرُها على وَجْهِ الأرضِ.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

أيها الناسُ، إنَّ صلاة الجماعة فرض عينٍ، وهذا هو المنصوص عن أئمة السَّلف وعلماءِ الحديث، لكنها ليستْ بشرطٍ لصحة الصلاة، فلو تركها المسلم بدون عُذرٍ يأثمُ، وصلاتُهُ صحيحةٌ.

والأدلَّة على وجوب صلاة الجماعة كثيرةٌ، فمنها:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

ووجه الدلالة ـ أيها الناس ـ: أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمرهم بالصلاة مع الجماعة، ثمَّ أعاد الأمرَ ثانيةَ في حقِّ الطائفة الثانية بقوله: ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ وفي هذا دليل على أنَّ الجماعةَ فرضٌ على الأعيان، إذ لم يُسقطها ـ سبحانه ـ عن الطائفة الثانيةِ بفعل الأولى، وهذا في حال الحرب والخوف، فكيف بحال السِّلْم والأمن؟!

لا شكَّ أنه أولى وآكد، ولو كان أحدٌ يُسامحُ في ترك الصلاة مع الجماعة، لكان المُصافُّون للعدوِّ، المُهَدَّدون بهجُومِهِ عليهم أولى بأنْ يُسْمَح لهم في ترك الجماعة، فلمَّا لم يقعْ ذلك عُلِمَ أنَّ أداءَ الصلاةِ مع الجماعة من أهمِّ الواجبات، وأنه لا يجوز التخلُّفُ عن ذلك[1].

ومن الأدِلَّة ـ أيضًا ـ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

فهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

(١) انظر «وجوب الصلاة مع الجماعة» لمحمد الحربي (ص١٣، ١٤).

قال العلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ: «وهذه الآية نصٌّ في وجوب الصلاة مع الجماعة، والمشاركة للمصلِّين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها فقط، لم تظهر مناسبةٌ واضحةٌ في ختم الآية بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ لكونه قد أمر بإقامتها في أول الآية»[1].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]، فالأمر يقتضي الوجوب.

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: «ووجه الاستدلال بها: أنه ـ سبحانه ـ عاقَبهم يومَ القيامة بأن حَالَ بَيْنَهم وبينَ السجود، لما دعاهم إلىٰ السُّجودِ في الدنيا، فَأَبَوْا أن يُجيبوا الداعيَ، إذا ثبت هذا فإجابة الداعي إتيان المسجد بحضور الجماعة، لا فعلُها في بيته وَحْدَهُ، فهكذا فسَّر النبيُّ ـ ﷺ ـ الإجابةَ، وقد قال غير واحدٍ من السلف في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ قال: هو قول المؤذِّن: حيَّ علىٰ الصلاة، حيَّ علىٰ الفلاح، وحيَّ هنا اسم فعل أمرٍ، معناه: أَقْبِلْ وأَجِبْ، وهو صريح في أنَّ إجابةَ هذا الأمر بحضور الجماعة، وأنَّ المُتخلِّفَ عنها لم يُجِبْهُ»[2].

وأمَّا الأدلة من السُّنَّة ـ أيها الناسُ ـ فأكثرُ من أنْ تُحْصَرَ، فمنها:

ما رواه الشَّيخان في «صحيحهما»[3] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

---

(١) انظر «ثلاث رسائل في الصلاة» للشيخ ابن باز (ص١٦).
(٢) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص٤٦٠، ٤٧٥).
(٣) رواه البخاري (٦٤٤) ـ واللَّفظ له ـ، ومسلم (٦٥١).

قال رسول الله - ﷺ -: «والذي نفسي بيده، لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بحطب فيُحْطَبَ، ثمَّ آمُرَ بالصلاة فيُؤَذَّنَ لها، ثمَّ آمُرَ رجلاً فيَؤُمَّ الناسَ، ثمَّ أُخالفَ إلى رجالٍ فأُحرِّقَ عليهم بيوتَهمْ، والذي نفسي بيده، لو يعلمُ أحدُهُم أنَّه يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا - أو مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ - لشَهِدَ العشاءَ».

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في «الفتح»: «وأمَّا حديثُ الباب فظاهرٌ في كونها فرضَ عينٍ؛ لأنَّها لو كانت سنّةً، لم يُهدِّدْ تاركَها بالتحريق المذكور، ولا يمكنُ أنْ يقع في حقِّ تاركي فَرضِ الكفاية كمشروعة قتالِ تاركي فرض الكفاية، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ الذي قد يُفضي إلىٰ القتلِ أخصُّ من المقاتلة، ولأنَّ المقاتلة إنّما تُشرعُ فيما إذا تمالأ الجميعُ علىٰ التركِ»(١) .

وقال الإمام ابن دقيق العيد - رحمه الله -: «فمن قال بأنها واجبة علي الأعيان قد يحتج بهذا الحديث، فإنَّه إن قيل بأنها كفايةٌ، فقد كان هذا الفرضُ قائماً بفعل رسول الله - ﷺ - ومن معه، وإن قيل إنَّها سنَّةٌ فلا يُقتلُ تاركُ السنن؛ فتعيَّن كونُها فرضًا علىٰ الأعيان»(٢) .

وقال الإمام ابن المنذر - رحمه الله -: «وفي اهتمامه - ﷺ - بأن يُحرِّقَ علىٰ قومٍ تخلَّفوا عن الصلاة في المساجد أَبْينُ البيان علىٰ وجوب فرضِ الجماعة؛ إذ غيرُ جائزٍ أنْ يتهدَّدَ رسولُ الله - ﷺ - من تخلَّفَ عن ندبٍ، وعمَّا ليس بفرضٍ - قال: - ويؤيِّدُه حديثُ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً خرج من المسجد بَعدَما أذَّن المُؤذِّنُ، فقال: «أمَّا هذا فقد عصىٰ أبا القاسم» رواه مسلمٌ في «صحيحه». ولو كان المرءُ مُخيَّراً في ترك الجماعة وإتيانها لم يجزْ أنْ يُعصَىٰ مَن تخلَّف عمَّا لا يجب عليه أن يحضرَهُ، وإنما لَمَّا أمر الله - جلَّ ذكْرُهُ - بالجماعة في حال الخوف، دلَّ علىٰ أنَّ ذلك في حال الأَمْنِ أَوْجبُ، والأخبارُ المذكورةُ في أبوابِ الرُّخصة لأصحاب الأعذارِ تدلُّ

---

(١) «فتح الباري» (٢/ ١٢٥).

(٢) «إحكام الأحكام» (١/ ١٦٤).

على فرضِ الجماعة على مَنْ لا عُذْرَ له» . اهـ[١] .

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أتى النبيَّ - ﷺ - رجلٌ أعمى ، فقال : يا رسول الله ، ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجدِ ، فسأل رسول الله - ﷺ - أن يُرخِّصَ له ، فيُصلِّيَ في بَيْتِهِ ، فرخَّصَ له ، فلمَّا ولَّى دعاه ، فقال : «هَلْ تسمعُ النِّداءَ بالصلاةِ؟» فقال : نَعَمْ . قال : «فَأَجِبْ» .

قال الإمام ابن قُدامةَ - رحمه الله - في «المغني» :

«وإذا لم يُرخِّصْ للأعمى الذي لم يجدْ قائدًا ، فغيرُهُ أَولى»[٣] .

أيها الناسُ ، إنَّ النبي - ﷺ - لم يُرخِّص للأعمى في ترك صلاة الجماعة في المسجد ، مع ما أبداه من الأعذار : مِنْ كونِهِ كفيفَ البصر ، وليس له قائدٌ يُلازمُهُ ، ومن كون دارِهِ بعيدةً ، وأنَّ بَيْنَهُ وبين المسجد واديًا ، ومنْ أنَّ المدينة كثيرةُ الهوامِّ والسِّباع ، ورغم هذه الاعتباراتِ كُلِّها لم يُرَخِّصْ له النبيُّ - ﷺ - ، بل قال : «هل تسمعُ النداءَ؟» قال : نعم . قال : «فَأَجِبْ»[٤] .

أخرج الإمام أبو داودَ بسندٍ حسنٍ ، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٥] من حديث ابن أمِّ مكتومٍ - رضي الله عنه - قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، أنا ضريرٌ (أي : أعمى) ، شاسعُ الدَّارِ (أي : بعيدُ الدار) ، ولي قائد لا يلايمُني (أي : لا يُلازمُني) ، فهل تجدُ لي رخصةً أن أُصلِّيَ في بيتي؟ قال : «تسمعُ النِّداءَ؟» . قال : نَعَمْ . قال : «ما أجدُ لك رُخْصةً» .

---

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص٨٦) .
(٢) رواه مسلم (٦٥٣) .
(٣) «المغني» (٢/ ١٣٠) .
(٤) انظر «صلاة الجماعة» للسدلان (ص٦٣) .
(٥) أخرجه أبو داودَ (١/ ١٥١) ، والنسائيُّ (٢/ ١٠٩) ، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» بسند حسنٍ (٤٢٩) .

قال ابن المنذر ـ رحمه الله ـ :

«ذِكْرُ حضور الجماعة على العُميان ـ وإن بَعدتْ منازلهم عن المسجد ـ يدلُّ ذلك على أنَّ شهودَ الجماعة فرضٌ لا ندبٌ، وإذا قال لابن أمِّ مكتومٍ ـ وهو ضريرٌ ـ: «لا أجدُ لك رُخْصةً»، فالبصيرُ أولى ألاَّ تكونَ له رُخْصةٌ»[١] .

وقال الإمام الخطَّابي في «معالم السنن»[٢] :

«وفي هذا دليل على أنَّ حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندبًا لكان أولى مَنْ يَسَعُهُ التخلفُ عنها أهلُ العذرِ والضّعفِ، ومن كان في مثل حال ابن أمِّ مكتومٍ» .

قال الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «فهذا الدليل مبنيٌّ على مقدِّمتين :

إحداهما ـ أنَّ هذه الإجابة واجبة .

والثانية ـ لا تَحصُلُ إلاَّ بحضور الجماعة، وهذا هو الذي فهمه أعلم الأمَّة وأفقههم من الإجابة، وهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، فقال ابن المُنذر في كتابه «الأوسط»: روينا عن ابن مسعود وأبي موسى أنهما قالا : مَنْ سَمِعَ النِّداء، ثمَّ لم يُجِبْ، فإنه لا تُجاوِزُ صلاتُه رأسَهُ إلاَّ مِنْ عُذْرٍ»[٣] .

قال : ورُوِيَ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالتْ : «مَن سمعَ النِّداءَ، فلم يُجِبْ، لم يُرِد خيرًا، ولم يُرَدْ بِهِ»[٤] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : «لأَنْ تمتلئ أُذُنا ابْنِ آدَمَ رصاصًا مُذابًا خيرٌ له من أنْ يسمعَ النِّداءَ، ثمَّ لا يُجيبَهُ» .

---

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (٤٦١) .
(٢) «معالم السنن» (١/ ١٦٠، ١٦١) .
(٣) «مجمع الزوائد» (٢/ ٤٢) .
(٤) «سنن البيهقي» (٣٦/ ٥٧) .

فهذا وغيره يدلُّ أنَّ الإجابة عند الصحابة هي حضور الجماعة، وأنَّ المُتخلِّفَ عنها غيرُ مجيبٍ، فيكون عاصيًا»[١].

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»، و«صحيح سنن أبي داود»[٢] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**مَنْ سَمِعَ النِّداء، فلم يُجِبْ، فلا صلاةَ له إلا مِنْ عُذْرٍ**».

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] من حديث معدان بن أبي طلحةَ اليعمريِّ قال: قال لي أبو الدَّرداء: أين مسكنُك؟ فقلتُ: في قريةٍ دُونَ حِمْصَ. فقال أبو الدَّرداء - رضي الله عنه - سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقولُ: «**ما مِنْ ثلاثة في قرية ولا بَدْو لا تُقامُ فيهمُ الصَّلاةُ - إلاَّ قد استَحْوَذَ عليهمُ الشيطانُ؛ فعليك بالجماعةِ، فإنَّما يأكلُ الذِّئبُ القاصيةَ**».

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «فوجه الاستدلال: أنه أخذ باستحواذ الشيطان عليهم بترك الجماعة، التي شعارها الأذانُ وإقامةُ الصلاةِ، ولو كانت الجماعةُ ندبًا - يُخيَّرُ الرجلُ بين فعلِها وتَرْكِها - لما استحوذ الشيطان على تاركها، وتارك شعارِها»[٤].

فدلَّتْ هذه النصوصُ - السالفةُ الذِّكر من القرآن الكريم والسنة النبوية - على وجوب صلاة الجماعة، وأنه لا يجوز التخلُّفُ عنها إلا لعُذْرٍ: كالمرض، أو الخوف، وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين، وهو ظاهر مذهب الإمام

---

(١) «كتاب الصلاة» (ص٨٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٥١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥١٥)، و«صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

(٣) «المستدرك» (٢/ ٤٧٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠١).

(٤) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص٤٦١).

أحمدَ، وبه قال الشافعيُّ، وقد أُثِرَ عنه أنه قال: «وأمَّا الجماعة فلا أُرَخِّصُ في تركها إلا من عُذْرٍ» نقل ذلك عنه المُزَنيُّ ـ رحمه الله ـ، ويتبيَّنُ ممَّا تقدَّم أنَّ الأئمَّة الأربعة ـ رحمهم الله ـ اتَّفقوا على وجوبِ صلاةِ الجماعةِ، وأنَّ تاركَها بدون عُذْرٍ آثمٌ، وإن اختلفت عباراتُهم، ويشهد لذلك كلامُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وسنةُ رسولِه ـ ﷺ ـ، ولا كلامَ لأحدٍ مع كلامِ اللهِ، وسنَّة رسولِه ـ ﷺ ـ الثابتةِ عنه.

وأستغفرُ اللهَ.



الخطبة الثانية

فضل صلاة الجماعة



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ سبق الحديث معكم في وجوب صلاة الجماعة،

وفيما يأتي بيانُ فضلها.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «**مَنْ غَدَا إلى المسجد - أو رَاحَ - أعدَّ اللهُ لهُ في الجنَّة نُزُلاً، كُلَّما غَدَا - أو رَاحَ -**».

والنُّزُلُ: هو ما يُهيَّأُ للضيف من كرامةٍ عند قُدُومه.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «**مَنْ تطهَّر في بَيْته، ثمَّ مَضى إلى بيت من بُيُوت الله؛ لِيَقْضِيَ فريضةً من فرائض الله - كانت خطواتُهُ إحْدَاها تحطُّ خطيئةً، والأخرى ترفعُ درجةً**».

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث أُبيِّ بن كَعْبٍ - رضي الله عنه - قال: «كان رجلٌ من الأنصار، لا أعلمُ أحداً أبعدَ من المسجد منهُ، وكانتْ لا تُخْطئُهُ صلاةٌ (أي: لا تَفُوتُهُ). فقيل له: لو اشتريتَ حِماراً تركَبُهُ في الظَّلماء وفي الرَّمْضَاء. قال: ما يَسُرُّني أنَّ منزلي إلى جَنْبِ المسجد؛ إنِّي أُريدُ أن يُكْتَبَ لي ممشايَ إلى المسجد، ورُجوعي إذا رَجعتُ إلى أهلي.

(١) رواه البخاري (٢/ ١٢٤)، ومسلم (٦٦٩).

(٢) رواه مسلم (٦٦٦).

(٣) رواه مسلم (٦٦٣).

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: «خَلَتِ البِقاعُ حَوْلَ المسجدِ فأراد بنُو سلمةَ أن ينتقلوا إلىٰ قُرْبِ المسجد، فبلغ ذلك النبيَّ - ﷺ - فقال لهم: «إنَّهُ بلَغني أنَّكُمُ تريدون أنْ تنْتقلُوا قُرْبَ المسجد؟! قالوا: نَعَمْ - يا رسولَ اللهِ - قد أردنا ذلك فقال: «يا بني سَلَمَـةَ، دِيارَكُمْ تُكْـتَبْ آثارُكُمْ، دياركم تُكْتَبْ آثارُكُم» فقالوا: ما كان يسرُّنا أنّا كنَّا تحوَّلنا.

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي موسىٰ الأشعريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ أعظمَ النَّاسِ أجْرًا في الصلاةِ أبعدُهُمْ إليها مَمْشىً، فأبعَدُهُمْ».

وأخرج أبو داودَ، والتِّرمذيُّ بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] من حديث بُرَيْدَةَ - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «بَشِّرِ المشَّائينَ في الظُّلَم إلى المساجدِ بالنُّورِ التامِّ يومَ القيامةِ».

وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: «ألاَ أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحو اللهُ به الخطايَا، ويَرفعُ بِهِ الدَّرجاتِ؟». قالوا: بلىٰ يا رسولَ اللهِ. قال: «إسباغُ الوُضُوءِ على المَكارِه، وكَثْرَةُ الخُطا إلى المساجِدِ، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، فذلكُمُ الرِّباطُ، فذلكُمُ الرِّباطُ».

وفي «الصحيحين»[٥] من حديث ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «صلاةُ الجماعةِ أفضلُ من صلاةِ الفَذِّ (أي: الواحِدِ) بسبْعٍ وعشرين درجةً».

---

(١) رواه مسلم (٦٦٥).
(٢) رواه البخاري (٢/ ١١٦)، ومسلم (٦٦٢).
(٣) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٢٣).
(٤) رواه مسلم (٢٥١).
(٥) رواه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦).

وفي «الصحيحين» - أيضًا -[١] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «صلاةُ الرَّجلِ في جماعة تُضعَّفُ على صلاته في بيته، وفي سُوقه خَمْسةً وعشرين ضعفًا؛ وذلك أنَّه إذا توضَّأ، فأحسَنَ الوُضُوءَ، ثمَّ خَرَجَ إلى المسجد، لا يُخْرِجُهُ إلاَّ الصَلاةُ - لم يَخْطُ خُطْوةً إلا رُفِعتْ له بها دَرَجةٌ، وحُطتْ عنه بها خطيئةٌ، فإذا صلَّى، لم تَزَلِ الملائكةُ تُصلِّي عليه، ما دام في مُصلاَّهُ، ما لم يُحْدِثْ، تقولُ: اللهمَّ صَلِّ عليه، اللهمَّ ارحمهُ، ولا يزالُ في صلاة، ما انتظرَ الصلاةَ».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عُثْمانَ بْنِ عفَّانَ - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «مَنْ صلَّى العشاءَ في جماعة، فكأنَّما قام نِصفَ الليلِ، ومن صلَّى الصُّبحَ في جماعة، فكأنَّما قام اللَّيلَ كُلَّهُ».

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «ولو يَعلَمونَ ما في العَتَمَةِ (أيِ: العِشاءِ) والصُّبحِ لأَتَوْهُما، ولو حَبْوًا».

وأخرج الإمام أحمدُ في «مسنده» بإسناد حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٤] من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إنَّ الله - تبارك وتعالى - ليعجبُ من الصلاةِ في الجمعِ»

وروى ابن خزيمة في «صحيحه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٥] من حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «من توضَّأ، فأسبغ الوُضُوءَ، ثمَّ مشى إلى صلاةٍ مكتوبةٍ، فصلاَّها مع الإمام - غُفِرَ له ذنبُهُ».

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١١٢)، ومسلم (٦٤٩).
(٢) رواه مسلم (٦٥٦).
(٣) رواه البخاري (٢/ ١١٦)، ومسلم (٤٣٧).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ( )، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٦).
(٥) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» ( )، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٧).

وأخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ صلى لله أربعين يومًا في جماعةٍ، يُدْرِكُ التكبيرةَ الأُولى ـ كُتِبَ له براءتان: براءةٌ من النار، وبراءة من النِّفاق».

وأخرج الإمام الترمذي ـ أيضًا ـ في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديث ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «أتاني اللَّيلةَ ربِّي (أي: في المنام) (وفي روايةٍ: رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورة) فقال لي: يا محمَّدُ. قلتُ: لبَّيكَ ـ ربِّ ـ وسَعْدَيْكَ. قال: هل تدري فيما يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلتُ: لا أعلمُ. فوضعَ يَدَهُ بينَ كتفيَّ، حتى وجدتُ بَرَدَها بَيْنَ ثَدْيَيَّ ـ أو قال: في نحري ـ فعلمتُ ما في السموات وما في الأرض ـ أو قال: ما بين المشرق والمغرب ـ قال: يا محمَّدُ، أتدري فيم يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلتُ: نعم، في الدَّرجات، والكفَّارات، ونقل الأقدام إلى الجماعاتِ، وإسباغِ الوُضُوءِ في السَّبَرات (أي: الغَدَوَاتِ الباردات)، وانتظار الصلاة بَعْدَ الصلاة، ومن حافظ عليهِنَّ عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ. قال: يا محمَّدُ قلت: لبَّيكَ وسَعْدَيْكَ. فقال: إذا صلَّيت قُلْ: اللهمَّ إني أسألُك فعْلَ الخَيْرات، وتَرْكَ المُنْكَرات، وحُبَّ المساكين، وإذا أردتَ بعبادكَ فتنةً، فاقبضني إليك غيرَ مَفْتُون. قال: والدَّرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاةُ باللَّيلِ والناسُ نيام».

وأخيرًا أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يفقهنا في الدين، ويستعملَنا في طاعتِهِ.

---

(١) الترمذي (٢٤١)، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٩).
(٢) رواه الترمذي ( )، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٨).




الخطبة الأولى

من أخطاء الناس في الصَّلاة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها النَّاسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن بعض أخطاءِ الناس في الصلاة.

أيها الناسُ، الصلاةُ أمرُها عظيمٌ، فهي عمود الدِّين، وأهمُّ الواجبات بعد التوحيد، بصلاحها يصلحُ عملُ المسلم كُلُّهُ، ومتى فسدَتْ فَسَدَ العملُ كُلُّهُ.

فعلينا الانتباه لبعض الأخطاء، وذلك بعرض صلاتنا كُلِّها على الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، فمن الأخطاء ما تكون سببًا لنقص أجرها، ومن الأخطاء ما تكون سببًا لعدمِ قَبُولِها، ومن الأخطاء ما تكون سببًا للوِزْرِ والإثم.

فمن الأخطاء ـ أيها الناسُ ـ أنْ يُصلِّيَ الرجلُ مُسبِلَ الإزار، وهذ خطأ، قد ورد النَّهيُ الشديدُ عن ذلك.

ففي «مسند أحمد»، وسنن النَّسائيِّ، وسنن أبي داود **بسند صحيح**[(١)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بَيْنما رجلٌ يُصلِّي مسبلاً إزارَهُ، قال له رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**اذهبْ فتوضَّأْ**» فذهب فتوضَّأ، ثمَّ جاء، فقال: «**اذهبْ فتوضَّأْ**».

فقال له رجلٌ: يا رسولَ الله، مالك أمَرْتَهُ أنْ يتوضَّأ؟ ثمَّ سكتَ عنه، قال: «**إنَّه كان يُصَلِّي، وهو مسبلٌ إزارَهُ، وإنَّ اللهَ لا يقبلُ صلاةَ رجلٍ مُسْبِلٍ إزارَهُ**».

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ووجه هذا الحديث ـ واللهُ أعلم ـ أنَّ إسبال الإزار معصيةٌ، وكلٌّ من وقع في معصيةٍ فإنه يُؤمَرُ بالوضوءِ؛ فإنَّ الوُضُوءَ يُطفئ حريق المعصية»[(٢)].

وأخرج أبو داودَ في «سننه» **بسند صحيح**، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٣)] من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**مَنْ أسْبَلَ إزارهُ في صلاته خُيَلاءَ، فليس من اللهِ في حِلٍّ ولا حرامٍ**».

أي: لا ينفع للحلال، ولا للحرام، فهو ساقط من الأعين، ولا يُلتفتُ إليه، ولا عِبْرةَ به، ولا بأفعاله[(٤)].

وقد يسبقُ إلى الذِّهنِ ـ أيها الناسُ ـ أنَّ الإسبال يكونُ في الإزار فَقَط، وهذا غلط؛ **فقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ ـ رحمه الله ـ**: «الإسبالُ يكون في السراويل

---

(١) «المسند» (٤/ ٦٧)، والنسائي «كتاب الزينة» كما في «تحفة الأشراف» (١١/ ١٨٨).
(٢) «تهذيب سنن أبي داود» لابن القيم (٦/ ٥٠).
(٣) أخرجه أبو داود (٦٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠١٢).
(٤) «انظر فيض القدير» للمناوي (٦/ ٥٢).

[أي البنطلون]، والإزار، والقميص»[١] .

وقـال ابن باز ـ رحمـه الله ـ في الإسبال بالبنطلون: «الأحاديث الصحيحة المانعة من الإسبال تَعُمُّه بمنطوقها، وبمعناها، وبمقاصدها»[٢] .

ومن أخطاء الناس في الصلاة تخصيص مكانٍ للصلاة في المسجد:

وهذا العمل مَنْهِيٌّ عنه، فقد أخرج أحمدُ في «مسنده»، والدَّارميُّ في «سننه»، وابن حِبَّانَ في «صحيحه»[٣] بسندٍ صحيح من حديث عبد الرحمن بن شِبْلٍ قال: «نهىٰ رسول الله ـ ﷺ ـ عن نقرةِ الغُرابِ، وافتراشِ السَّبُعِ، وأنْ يُوَطِّنَ الرجلُ المكانَ في المسجدِ، كما يُوَطِّنُ البَعيرُ» .

قال الإمـام ابن القيم ـ رحـمه الله ـ: «لا ينبغي للرجل أنْ يتَّخذَ لنفسِهِ مكانًا خاصًّا في المسجد، لا يُصلي إلا فيه، كالبعير لا يَبْرُكُ إلاَّ في مَبْرَكٍ اعتاده»[٤] .

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدمُ الصلاة إلى السُّترة:

والسُّتْرةُ واجبةٌ علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلةٍ، منها:

ما رواه مسلم[٥] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا تُصَلِّ إلاَّ إلى سُتْرةٍ، ولا تَدَعْ أحدًا يمرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ، فإنْ أبى فَلْتُقاتِلْهُ؛ فإنَّ معه القَرِينَ**».

وفي «صحيح البخاري»[٦] عن قُرَّةَ بْنِ إياسٍ قال: «رآني عُمَرُ، وأنا أُصلِّي بَيْنَ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٢٢/ ١٤٤) .
(٢) «فتاوىٰ ابن باز» (ص٢١٩) .
(٣) «المسند» (٣/ ٤٢٨، ٤٤٤)، و«سنن الدارمي» (١/ ٣٠٣)، و«صحيح ابن حبان» (٤٧٦) .
(٤) انظر «تهذيب سنن أبي داود» (١/ ٤٠٨) لابن القيم .
(٥) أخرجه مسلم (٥٠٦) .
(٦) أخرجه البخاري (١/ ٥٧٧ مع الفتح) .

أُسْطُوَانتين، فأخذ بقفائي، فأدناني إلىٰ سُتْرةٍ، فقال: صلِّ إليها».

قال الحافظ ابن حجر: «أراد عمر بذلك أن تكون صلاتُهُ إلىٰ سُتْرةٍ»[1].

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: «لقد رأيتُ كِبارَ أَصْحابِ النَّبيِّ - ﷺ - يَبْتدِرونَ السَّواريَ عندَ المَغْربِ، حتَّىٰ يخرُجَ النبيُّ - ﷺ -».

وفي رواية عند البخاري[3] - أيضًا -: «وهم كذلك يُصلُّون الرَّكعتينِ قَبْلَ المغربِ».

وطولُ السُّترةِ المُجْزئةِ - أيها الناسُ - طولُ مُؤَخَّرةِ الرَّحلِ: أي شِبْرانِ علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلةٍ، منها:

أخرج الإمام مسلم[4] في «صحيحه» من حديث طَلْحَةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«إذا وضع أحدُكم بَيْنَ يديْه مِثْل مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ فَلْيُصَلِّ، ولا يُبَالِ مَنْ مَرَّ وراء ذلك»**.

وأخرج الإمام مسلم[5] في «صحيحه» من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: سُئِلَ رسولُ اللهِ - ﷺ - في غزْوَةِ تَبُوكَ عن سُتْرةِ المُصلِّي، فقال: **«كمُؤْخِرَةِ الرَّحلِ»**.

وهنا تنبيهٌ مُهِمٌّ: وهو أنَّ حديث اتخاذ الخطِّ سُتْرةً ضعيفٌ، وعليه فلا يُجزئ الخطُّ عن السُّترة.

وهنا تنبيه آخَرُ: وهو أنَّ المأمومَ لا تجبُ عليه السُّترةُ، والسُّتْرةُ في صلاةِ الجماعة من مسئولية الإمام.

---

(١) «الفتح» (١/ ٥٧٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣).
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٥).
(٤) أخرجه مسلم (٤٩٩).
(٥) أخرجه مسلم (٥٠٠).

ومن أخطاء الناس في الصلاة كَثْرةُ الحركة والعبث في الصلاة:

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن سَمُرةَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ رأىٰ أقواماً يعبثون بأيديهم في الصلاة، ويُحرِّكُونها من غيرِ حاجةٍ، فقال لَهُمْ: «مالي أراكم رافعي أَيْديكم، كأنَّها أَذْنابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟! اسْكُنوا في الصلاة».

ومعنىٰ شُمس: هي التي لا تستقرُّ، بل تضطرب وتتحرَّك بأذنابها وأرجلها، ففي هذا الحديث الأمر بالسكون في الصلاة، والخشوعِ فيها، والإقبالِ عليها.

ومن أخطاء الناس في الصلاة أكل الثُّوم والبَصَلِ، وكلٍّ ما يُؤذي المُصلِّين قبْلَ الحضور للجماعة، وقد ورد النَّهيُ الشديدُ عن ذلك:

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال في غَزْوَةِ خَيْبَرَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هذه الشَّجَرةِ ـ يعني الثُّومَ ـ فلا يَقْرَبَنَّ مسجدَنا».

وفي «صحيح البخاريِّ»[٣] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ أَكَلَ ثُوماً أو بَصلاً فَلْيَعتزِلْنا ـ أو قال: فَلْيَعْتَزِلْ مسجدَنا ـ وَلْيَقْعُدْ في بيتِه».

وفي روايةٍ عند مسلمٍ[٤]: «مَنْ أَكَلَ من هذه الشجرةِ المُنتنة، فلا يَقْرَبَنَّ مسجدَنا؛ فإنَّ الملائكةَ تأذَّى ممَّا يتأذَّى منْهُ الإنسُ».

ففي هذه الأحاديث وغيرها كراهيةُ أكلِ الثُّوم والبَصَلِ، فيلحقُ بذلك كُلُّ ما له رائحةٌ كريهةٌ من المأكولاتِ وغيرها.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٠).
(٢) أخرجه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١).
(٣) أخرجه البخاري (٨٥٤).
(٤) أخرجه مسلم (٥٦٤).

قال العلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ: «هذا الحديث ـ وما في معناه من الأحاديث الصحيحة ـ يدلُّ على أنَّ كراهةَ حضور المسلم لصلاة الجماعة ما دامت الرائحةُ توجدُ منه ظاهرة، تُؤذي مَنْ حَولَهُ، سواء كان ذلك من أكل الثُّوم، أو البَصَل، أو الكُرَّاث، أو غيرها من الأشياء المكروهة الرائحة: كالدخان، حتى تذهبَ الرائحةُ... مع العلم بأنَّ الدُّخانَ ـ معَ قبح رائحته ـ هو مُحرَّم لأضرارِه الكثيرة، وخُبثه المعروف، وهو داخل في قوله ـ سبحانه ـ عن نبيِّه ـ ﷺ ـ في سورة الأعراف: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. ويدلُّ على ذلك ـ أيضًا ـ قولهُ ـ سبحانه ـ في سورة المائدة: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

ومعلوم أن الدخان ليس من الطيبات، فعُلِمَ بذلك أنه من المحرمات على الأُمَّة»[١].

قال الشيخ مشهور بن حسن ـ حفظه الله ـ: «والأقبح من جميع ما ذُكِرَ رائحةُ الجوارب، التي تنبعث من بعض المصلين، فهي أسوأ رائحةً من رائحة الثُّوم والبصل.

وإنَّ من قلَّة الذوق، ومن مخالفة قوله ـ ﷺ ـ: «فإنَّ اللهَ أحقُّ أنْ يُتزيَّنَ لهُ». أنْ يأتي المصلِّي، وثيابُهُ مُتَّسخةٌ، فلا يُنظِّفها قبل أن يدخلَ المسجدَ، ثمَّ يُزاحم الآخرين بهذه الثيابِ القَذِرةِ، التي رُبَّما تنبعث منها الرائحةُ الكريهةُ»[٢].

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدم إتمام الصفوف:

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديث جابر بن سَمُرةَ ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ألا تَصفُّونَ كما تصفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟» فقلنا: يا رسولَ اللهِ،

---

(١) «فتاوى ابن باز» (١/ ٨٢).
(٢) «القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص٢٠٠).
(٣) أخرجه مسلم (٤٣٠).

وكيف تصفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟ قال: «يُتِمُّونَ الصُّفوفَ الأوَّلَ فالأوَّلَ، ويتراصُّون في الصُّفوفِ».

وفي «صحيح البخاري»[١] من حديث بُشَيْر بن يَسارٍ الأنصاريِّ عن أنسٍ: أنَّه قَدِمَ المدينةَ، فقيل له: ما أَنْكَرْتَ منَّا مُنْذُ يومِ عَهِدْتَ رسولَ الله ـ ﷺ ـ؟

قال: «ما أنكرتُ شيئًا إلا أنكم لا تُقيمُون الصُّفُوفَ».

وأخرج أبو داود في «سننه»، وابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح[٢] عن النُّعْمانِ بن بشيرٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: أقْبلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ على النَّاس بوجهِهِ فقال: «أقيموا الصُّفوفَ ـ ثلاثًا ـ والله، لتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ، أو ليُخالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُم».

قال النعمان: «فرأيتُ الرَّجُلَ يُلصقُ مَنكِبَهُ بمنكِبِ صاحبِهِ، ورُكْبَتَهُ بركبةِ صاحبِهِ، وكَعْبَهُ بكعبِهِ».

قال الألباني ـ رحمه الله ـ: «وفي هذين الحديثين فوائدُ هامةٌ:

الأولى ـ وجوبُ إقامةِ الصُّفوف وتسويتها والتراصِّ فيها للأمر بذلك، والأصلُ فيه الوجوب»[٣].

وقد جاء الترهيب من قطع الصفِّ،

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٤] من حديث ابن عُمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «أقيموا الصُّفوف، وحاذُوا بيْنَ المناكبِ، وسُدُّوا الخَلَلَ، ولا تَذَرُوا فُرجاتٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٤).
(٢) أخرجه أبو داود (٦٦٢)، وابن حبان (٣٩٦).
(٣) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٤٠، ٤١).
(٤) أخرجه أبو داود (٦٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٥).

للشيطان، منْ وصَلَ صفًّا وصَلَهُ اللهُ، ومن قطع صفًّا قطعهُ اللهُ».

والفُرجات: هي المكان الخالي بين الاثنين. والخَلَلُ: هو ما يكونُ بينَ الاثنين من اتساعٍ عندَ عدمِ التَّراصِّ.

ومن أخطاء الناس في الصلاة القُنُوتُ الراتبُ في صلاة الفجر، وتركُهُ عند النوازل:

وقد اعتمد القائلون بمشروعية القُنوت في صلاة الفجر على حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما زال رسول الله ـ ﷺ ـ يَقنتُ في الصبح، حتى فارق الدنيا».

وهذا الحديث ـ أيها الناسُ ـ لم يصح عن رسول الله ـ ﷺ ـ؛ لأنَّ مدارهُ على أبي جَعْفَر الرازي، وأبو جعفر الرازي ضعيف الحديث عند أهل العلم، قال عنه المحدِّث ابن المَدينيِّ: «كان يَخْلِطُ». وقال أبو زُرْعَةَ: «كان يَهِمُ كثيراً». وقال ابن حبَّانَ: «كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير»[1].

أيها الناسُ، هذا الحديث جاء عن أنس بن مالكٍ، فهو يُناقضُ ما جاء في «صحيح مسلم»[2] من حديث أنس بن مالكٍ ـ أيضًا ـ قال: قَنتَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ شهراً؛ يدعو على أَحْياءٍ من أَحياءِ العَرَبِ، ثمَّ تَرَكَهُ».

فانظر ـ يا عبد الله ـ إلى قوله في الحديث الصحيح: «ثمَّ تركه»، فعلامَ نترك الحديثَ الصحيحَ، ونعملُ بالحديث الذي لم يصحَّ عن رسول الله ـ ﷺ ـ البتَّةَ؟!

ألاَ يَسَعُنا ما وَسِعَ ـ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ وأصحابَهُ؟!

---

(١) انظر «ميزان الاعتدال» (٣/ ٣٢٠)، و«الضعيفة» (١٢٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٤).

ومن أخطاء المصلين ـ أيها الناسُ ـ أن يكبِّرَ تكبيرةَ الإحرامِ وهو راكع: وهذا خطأ، فالأصل أنَّ تكبيرةَ الإحرام تُفعلُ من قيامٍ، ثمَّ يركع بعدها، وإذا جاء المصلِّي، ووجد الإمام راكعًا فإنه يكبِّر تكبيرةَ الإحرام قائمًا، ثمَّ يركعُ معه بتكبيرةٍ ثانيةٍ، وإن اقتصرَ على تكبيرة الإحرام، أجزأتهُ صلاتُهُ.

ومن أخطاء الناس في الصلاة إذا جاء المأموم والإمام ساجدٌ،فإنه ينتظره حتى يقومَ، أو يجلس: وهذا خطأ، والأصل إذا وجد المسبوقُ الإمامَ على أيِّ حالٍ من الصلاة دخل معه؛ لما في «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «الإرواء»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إذا جئتُم إلى الصلاة ـ ونحن سُجُودٌ ـ فاسجدوا، ولا تعدُّوها شيئًا**».

وأستغفر الله.

(١) رواه أبو داود (٨٩٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٤٩٦).




الخطبة الثانية

مِنْ أخطاءِ النَّاس في صلاةِ الجُمُعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديثُ معكم عن بعض أخطاء الناسِ في الصلاة، وفيما يأتي ذِكْرُ بعض أخطاء الناس في صلاة الجُمُعة.

فمن أخطاء الناس في صلاة الجمعة التهاون عن الحضور للجُمُعة: وهذا أمر خطير، ألاَ يخشى هذا المُتخلِّفُ من أن يطبعَ اللهُ على قلبه.

فقد أخرج أبو يعلى في «التلخيص الحبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] من حديث محمّد بن عبد الرحمن بن زُرارةَ قال: سمعتُ عمِّي يقول: قال رسول الله -ﷺ-: **«من سمع النداء يومَ الجُمُعة، فلم يأْتِها، ثمَّ سَمِعَهُ، فلم يأتِها، ثمَّ سَمِعَهُ، فلم يأتِها - طَبَعَ اللهُ على قلبه، وجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ منافقٍ»**.

أخرج الترمذي، وأبو داود، وابن ماجَهْ بسندٍ صحيحٍ[2] من حديث أبي الجَعْدِ الضَّمْريِّ - رضي الله عنه - عن النبيِّ -ﷺ- قال: **«مَنْ تركَ ثلاثَ جُمَعٍ تهاونًا بها، طبعَ اللهُ على قلبِهِ»**.

ومن أخطاء الناس في صلاة الجُمعة تركُ التبكير لصلاةِ الجُمعة:

ففي «مسند أحمد»، و«سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ[3] من حديث أَوْسِ بنِ

---

(١) رواه أبو يعلى في «التلخيص الحبير» (٢/ ٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، وأبو داود (١٠٥٢)، وابن ماجه (١١٢٥).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٠٤)، وأبو داود في «سننه» (٣٤٥).

أوسٍ قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «مَنْ غسَّل يومَ الجُمُعة واغتسلَ، وبكَّرَ وابْتَكَرَ، ومَشى ولم يركبْ، ودنا من الإمام، واستمع ولم يلغُ - كان له بكُلِّ خُطْوةٍ أَجْرُ سنةٍ: صيامها وقيامها».

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبيُّ - ﷺ -: «إذا كان يومُ الجُمُعة، وقفت الملائكةُ على بابِ المسجد، يكتبون الأوَّلَ فالأوّلَ، ومَثَلُ المُهَجِّرِ كمَثَلِ الذي يُهْدي بَدَنَةً، ثمَّ كالَّذي يُهدي بقَرَةً، ثمَّ كَبْشًا، ثمَّ دَجَاجةً، ثمَّ بَيْضةً، فإذا خرج الإمام طَوَوْا صُحُفَهُمْ، ويستمعون الذِّكْرَ».

ومن أخطاء المصلين في صلاة الجُمعة تركُ الاغتسالِ، والتزيُّنِ والتطيُّبِ، والتسوُّكِ لصلاة الجُمعة، وهذا مخالف لهديِ النبيِّ - ﷺ -:

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدْريِّ عن أبيه، أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: «غُسلُ يومِ الجُمُعةِ واجبٌ على كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وسواكٌ، ويَمَسُّ من الطِّيب ما قَدَرَ عليه».

وغُسْلُ يومِ الجُمعة - أيها الناس - واجبٌ على الصحيح من أقوال أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ - رحمه الله -: «ويُستحبُّ الغُسلُ في ذلك اليوم - أي: الجُمُعةِ - وعند جماعةٍ يجبُ، ودليلُ وجوبِهِ أقوى من دليلِ وجوبِ الوترِ»[(٣)].

ومن أخطاء الناس في صلاة الجُمعة تركُ التزيُّنِ بأحسن ما يجدُ من الثياب:

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٤)] من حديث عبد الله بن سَلاَمٍ - رضي الله عنه - أنه سمع النبيَّ - ﷺ - يقول على

---

(١) البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠).
(٢) رواه مسلم (٨٤٦).
(٣) «زاد المعاد» (١/ ٣٧٦).
(٤) رواه أبو داود (١٠٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٨٩)، و«صحيح الجامع» (٥٦٣٥).

المنبر يومَ الجُمُعةِ: «ما على أحدِكم لو اشترى ثوبين ليوم الجُمُعةِ سِوى ثوبي مِهْنَته؟».

أيها الناس، علينا أن نحذر من اللِّباس الذي هو من خصائص الكفَّار.

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ حينما رأىٰ رسولُ الله ـ ﷺ ـ عليه ثوبين مُعَصْفَرَينِ (أي: مَصْبُوغين بالعُصْفُر) قال: «إنَّ هذه من ثيابِ الكفَّارِ؛ فلا تَلْبَسْهَا».

ومن اللباس الذي هو من خصائص الكفار اليومَ وشعارِهمُ البنطلون.

قال الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ: «والبنطلون فيه مُصيبتان:

المصيبة الأولى ـ هي أنَّ لابسَهُ يتشبَّهُ بالكفَّار؛ فما عَرَفَ المسلمون «البنطلون» إلاَّ حينما استُعمِروا، ثمَّ لَمَّا انسحب المُستعمرون، تركوا آثارهمُ السِّيِّئة، وتبنَّاها المسلمون بغباوتهم وجهالتهم.

والمصيبة الثانية ـ هي أنَّ «البنطلون» يُحجِّم العورة، وعورة الرَّجلِ من الركبة إلىٰ السُّرة، والمُصلِّي يُفْتَرضُ عليه أن يكون أبعد ما يكونُ عن أن يعصيَ الله، وهو له ساجدٌ، فترىٰ إليتَيْهِ مُجسمتين، بل وترىٰ ما بَيْنهما مُجسَّمًا، فكيف يُصلِّي هذا الإنسان ويقف بين يدي ربِّ العالمين؟!»[٢].

ومن التشبُّه ما يفعلهُ بعض الناس من التزيُّن بحلق اللِّحية، فهو معصية، ومخالفةٌ للأدلة التي أمرَتْ بإطلاقها، كما أنَّ التزيُّن بحلقِ اللِّحية من خصائص الكفَّار الذي أمرنا نبيُّنا ـ ﷺ ـ بمخالفتهم.

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «جُزُّوا الشَّواربَ، وأرخُوا اللِّحى؛ خالِفوا المجُوسَ».

---

(١) رواه مسلم (٢٠٧٧).

(٢) «القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص٢٠، ٢١).

(٣) رواه مسلم (٢٦٠).

ومن أخطاء الناس في صلاة الجُمعة تخطّي الرِّقاب:

ففي «سنن النسائي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[١] من حديث عبد الله بن بُسْرٍ: أنَّ رجلاً جاء إلىٰ النبيِّ - ﷺ - يتخطّىٰ رقابَ الناسِ يومَ الجُمُعةِ، والنبيُّ - ﷺ - يَخْطُبُ، فقال: «اجلسْ؛ فقد آذيتَ وآنيْتَ»، ومعنىٰ آنيت: أي تأخَّرتَ.

فهذا الحديث دليل علىٰ حُرمة تخطّي الرِّقاب يومَ الجُمُعةِ، وظاهر التقييد بيوم الجُمعةِ أنَّ الحُرمةَ مُختصَّةٌ به[٢].

ومن أخطاء الناس في الجمعة تركُ السنَّة القَبْليَّة:

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسند صحيح[٣] من حديث أبي هريرةَ وجابرٍ قالا: جاء سُلَيْكٌ الغَطَفَانيُّ، ورسول الله - ﷺ - يَخطبُ، فقال له النبيُّ - ﷺ -: «أصلَّيتَ ركعتين قبل أن تجيءَ؟». قال: لا. قال: «فصلِّ ركعتين، وتجوَّزْ فيهما».

قال أبو شامة: «قال بعض من صنَّف في عصرِنا: قوله: «قبل أنْ تجيء» يدلُّ علىٰ أنَّ هاتين الركعتين سُنَّةٌ للجُمعةِ قبلها، وليستا تحيَّةً للمسجد»[٤].

ومن أخطاء الناس في سُنَّة الجُمعة البَعْديَّة تركُ السنَّة البَعديَّة: ولعلَّ الأفضل والأكمل صلاتُها في البيت، كما كان - ﷺ - يفعل، لما في «الصحيحين»[٥] من حديث عبد الله بن عُمَرَ - رضي الله عنهما - في وصف تطوُّعِ النبيِّ - ﷺ -، قال: «فكان لا يُصلِّي بعدَ الجُمُعةِ حتىٰ ينصرفَ، فيصلِّي ركعتين في بيتِهِ».

اللهمَّ إنَّا نسألك فِعلَ الخيرات، وتَرْكَ المُنكراتِ، وحُبَّ المساكين.

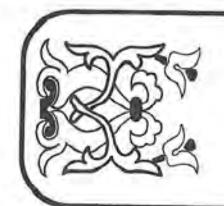
---

(١) النسائي (٢٠٧١)، و«صحيح الجامع» (١٥٥).
(٢) «القول المبين» (ص ٣٥٠).
(٣) «سنن ابن ماجه» (١١١٤).
(٤) «زاد المعاد» (١/ ٤٣٤).
(٥) البخاري (٩٣٧)، ومسلم (٨٨٢).



الخطبة الأولى

٣. الزكاة



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهْده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن فريضةِ الزَّكاةِ، إحدىٰ فرائضِ الإسلام، وقواعده العِظامِ.

وهي الركن الثالثُ من أركان الإسلام وقد قُرِنَت بالصلاة في اثنين وثمانين آيةً من كتاب الله، وفرضيَّتُها ثابتةٌ بالكتاب، والسُّنَّة، وإجماعَ الأمَّة.

ففي الكتاب العزيز قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١١٠].

وأمَّا الأدلة من السُّنة فأكثر من أنْ تُحصَرَ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[(١)] من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «بُنيَ الإسلام على خَمسةٍ: على أن يُوحَّدَ اللهُ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصيامِ رَمضَانَ، والحَجِّ».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أُمرت أنْ أُقَاتلَ الناسَ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤتُوا الزَّكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا مني دِماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّ الإسلام، وحِسابُهمُ على اللهِ».

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث جرير بن عبد الله البَجَلِيِّ - رضي الله عنه - قال: «بايعتُ النبيَّ - ﷺ - على إقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والنُّصْحِ لكُلِّ مسلمٍ».

وفي «الصحيحين»[(٤)] من حديث ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - قال: أخبرني أبو سُفْيانَ - رضي الله عنه - وذكر حديثه مع هِرَقْلَ عظيمِ الرُّوم، فقال له: «بمَ يأمرُكم؟» فقال أبو سُفْيانَ: «يأمُرُنا بالصلاةِ، والزَّكاةِ، والصِّلَةِ (أي: صلةِ الرَّحِمِ)، والعَفافِ».

وفي «الصحيحين»[(٥)] من حديث ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - قال: إنَّ النبيَّ - ﷺ - بَعَثَ مُعاذًا - رضي الله عنه - إلى اليَمنِ، فقال: «ادعُهُم إلى شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ، فإن هُم أطاعُوا لذلك، فأعلمهُم أنَّ اللهَ افترض عليهم خمسَ

---

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، واللفظ له.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) رواه البخاري (١٤٠١)، ومسلم (٥٦).
(٤) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، واللفظ له.
(٥) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

صلَوات في كُلِّ يوم وليلة، فإن هُم أطاعوا لذلك، فأَعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ افترضَ عليهم صَدقَةً في أموالهم، تُؤْخَذُ من أغنيائهم، وتُرَدُّ على فُقرائِهِمْ».

أيها الناسُ، تلك منزلة الزكاة في الإسلام، ومَنْ مَنَعها إنكارًا وجُحودًا فهو كافر، خارجٌ عن الإسلام، ويُقتل كُفْرًا، ومن منعها بُخلاً - مع إقراره بوجوبها - فهو فاسقٌ بامتناعه، ولا يخرجه ذلك عن الإسلام، وتُؤخذُ منه قَهْرًا مع التعزير، ومتى أُخذتْ قهرًا فهي مقبولة، وإن قاتل دُونَها قُوتِلَ حتى يخضعَ لأمر الله، ويُؤدِّيَ الزكاة، ودليلُ ذلك قولُ الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله - ﷺ - واستُخلِفَ أبو بكرٍ بعدهُ، وكفر من كَفرَ من العرب، قال عمر بن الخطَّاب لأبي بكرٍ: كيف نقاتلُ النَّاسَ، وقد قال رسولُ الله - ﷺ -: «أُمرْتُ أن أقاتلَ الناسَ، حتى يقولوا: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فمن قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ فقد عَصَمَ منِّي مالهُ ونَفْسَهُ إلا بحقِّه، وحسابُهُ على الله».

فقال أبو بَكْرٍ: والله، لأُقاتلَنَّ مَنْ فرَّقَ بينَ الصلاةِ والزكاةِ، فإنَّ الزكاة حقُّ المالِ، واللهِ، لو منعوني عَناقًا كانوا يُؤدُّونهُ إلى رسول الله - ﷺ - لقاتلتهم على مَنْعِهِ.

فقال عمر بن الخطاب: فوالله، ما هو إلاَّ أنْ رأيتُ اللهَ - سبحانه وتعالى - قد شَرَحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتال، فعرفتُ أنَّه الحقُّ.

ومن مقاصد الزكاة - أيها الناس - أنها تطهير للمال، وتنميته، ووقايته من الآفات ببركة طاعة الله وتعظيم أمره - أنَّها تطهير للنفس البشرية من رذيلة البُخلِ والشحِّ والشَّرهِ والطَّمعِ مواساةً للفقراء، وسدَّ حاجة المُعْوِزين والبُؤساء والمَحْرُومين.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

أنها سببٌ لجمع القلوب المشتَّتة على الإيمان والإسلام، والانتقال بها من الشكوك وضعف الإيمان إلى الإيمان الراسخ واليقين التامِّ.

أنها سببٌ لإقامة المصالح العامة، التي تتوقف عليها حياةُ الأمَّة وسعادتها[١]

وتجب الزكاة ـ أيها الناسُ ـ على من توافرت فيه الشروط الآتية:

الأول ـ الإسلام.

الثاني ـ الحُرية.

الثالث ـ مَن ملكَ النِّصاب، وأن يكون هذا النِّصابُ فاضلاً عن الحاجات الضروريَّة؛ لأنه لا غنى للمرء عنها: كالمطعم، والملبس، والمسكن، والمركب، وآلات الحِرفةِ.

الرابع ـ مرور حول كامل على المال، أي أنواع المال الذي بلغ النِّصاب إلا في الزُّروع والثِّمار، فإنه لا يُشترطُ فيها مرور الحولِ لقول الله ـ سبحانه تعالى ـ: ﴿**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ [الأنعام: ١٤١].

الخامس ـ فراغ مالِ الزكاة من دينٍ يُحيطُ به كُلِّهِ أو مُعظمِهِ، ولم يكن وراءهُ منْ يطالبُهُ به من الناس[٢].

والأجناس التي تجب فيها الزكاةُ ـ أيها الناسُ ـ الذَّهب والفضَّةُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [التوبة: ٣٤].

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول

(١) «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العلم (ص٩٨، ٩٩).
(٢) المرجع السابق (١٠٢).
(٣) رواه مسلم (٩٨٧).

الله -ﷺ-: «ما منْ صاحبِ ذهب، ولا فضَّة لا يُؤدِّي منها حقَّها - إلاَّ إذا كان يومُ القيامة، صُفِّحتْ له صفائحُ من نار، فأُحْمِيَ عليها في نار جهنَّمَ، فيُكوى بها جَنْبُهُ، وجبينُهُ، وظَهْرُهُ، كُلَّما بَرَدَتْ أُعيدَتْ لَهُ، في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنةٍ، حتَّى يُقْضى بَيْنَ العباد».

ونصاب الذهب - أيها الناس - عشرون دينارًا، فإذا بلغ الذَّهبُ هذا المِقدار، وحال عليه الحَولُ، ففيه رُبْعُ العُشْرِ - يعني نِصْفُ دينارٍ، وما زاد على ذلك فبحسابه، بأن يأخذَ من هذه الزيادة - أيضًا - ربعَ العُشْرِ.

وتُقدَّر العشرون مِثْقالاً من الذهب بخمسةٍ وثمانين جرامًا.

وأمَّا نصاب الفضَّة - أيها الناسُ - فهو مائتا درهمٍ، وقيمة الزكاة فيها ربع العُشر، والزِّيادة بحسابها.

وتُقدَّرُ المائتا درهم من الفضة بخَمْسمائةٍ وخمسةٍ وتسعين جرامًا والأكملُ والأفضلُ - أيها الناس - أنْ تُقدَّرَ الأوراق البَنْكيَّة بنصاب الذهب أو الفضة، فإذا كان عندَهُ ما يُقدَّر قيمتُهُ بنصاب الذهب أو الفضة، فإنه يدفع ربع العُشرِ زكاةً لماله.

ويَرى بعض أهل العلم أن تُقدّرَ الأوراق النَّقديَّةُ بنصاب الفضَّة، وكلُّ ذلك جائزٌ - إن شاء الله -.

أيها الناسُ، لقد اختلف أهل العلم في حُليِّ المرأةِ من الذهب أو الفضة، إذا كانت تلبسُهُ أو تُعيرُهُ، هل تجبُ فيه الزَّكاةُ أَو لا؟

والصواب مع العلماء الذين قالوا بوجوب الزكاة فيه لأدلة، منها:

ما جاء في «سنن أبي داود» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»(١) من حديث عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما -: أنَّ امرأةً أتتْ رسولَ الله - ﷺ -، ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مَسَكَتانِ (أي سِواران) غليظتان من ذهبٍ،

(١) رواه أبو داود (١٥٦٣)، وحسنه الألباني في «صحيح «سنن أبي داود» (١٣٨٢).

فقال: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا قال: «أيسرُّكِ أن يُسَوِّركِ اللهُ بهما يومَ القيامة سوارين من نار؟». قال: فخلعتْهُما، فألقتْهُما إلىٰ النبيِّ - ﷺ - وقالتْ: هما لله - سبحانه وتعالىٰ - ولرسوله.

وأخرج أبو داود في «سننه» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «سنن أبي داود»[1] من حديث أمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - قالت: كنتُ ألبسُ أوضاحًا من ذهبٍ (أي خَلْخالاً)، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أكَنْزٌ هُوَ؟. فقال: «ما بَلَغَ أنْ تُؤَدِّي زكاتَهُ فزكِّي، فليس بكنزٍ».

وأخرج أبو داود - أيضًا - في «سننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل عليَّ رسولُ الله - ﷺ - فرأىٰ في يدي فَتَخَاتٍ من ورقٍ، فقال: «ما هذا يا عائشةُ؟».

فقلتُ: صنعتُهُنَّ أتزيَّنُ لك يا رسولَ اللهِ. قال: «أتُؤدِّينَ زكاتَهُنَّ؟» قالتْ: لا - أو ما شاء اللهُ - قال: «هو حَسْبُكِ منَ النَّار».

أيها المسلمون، هذه الأحاديث تدلُّ علىٰ أنَّ هذا الحُليَّ كان للزِّينة، ومع هذا فقد أمرهُنَّ النبيُّ - ﷺ - بإخراج الزكاة، وليس مع المخالفين دليل صحيح يُعتمد عليه. وهناك - أيها الناس - أدلةٌ عامَّةٌ في وجوب زكاة الذهب والفضة، ولم يُفرِّقْ بين كونه نقودًا، أو سبائك، أو حُليًّا، أو أُعِدَّ للزينة، أو للادِّخار، أو غير ذلك.

ومتىٰ حال الحولُ، ولم تجدِ المرأةُ مالاً تؤدِّي به زكاتَها، وجب عليها أن تبيع من حُلِيِّها بقدر زكاتها؛ لتُؤدِّي ما عليها، إلاَّ أن يُعينها أحدٌ في أداءِ الزكاةِ: كزوجٍ، أو قريبٍ[3].

(١) رواه أبو داود (١٥٦٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٣).
(٢) رواه أبو داود (١٥٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٤).
(٣) انظر «كتاب الزكاة» لعادل يوسف العزازي (ص٢٤).

أيها الناس،لقد ذكر العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ خلاصة الزكاة، فقال ـ رحمه الله ـ: «إنَّ مِمَّا تجبُ به الزكاةُ عُرُوض التجارة، وهو: ما أعدَّه الإنسان للبيع والاتِّجار به: من حيوانٍ، وعقارٍ، وأثاثٍ، ومتاعٍ، وأوانٍ، وغيرِ ذلك، كُلُّ شيءٍ عندك للتجارة، فهو عُرُوضُ تجارةٍ، إذا حال عليه الحولُ، فقوِّمْهُ كم يساوي؟ ثمَّ أخرج رُبعَ العُشْرِ قيمته، ومن عُروض التجارة ـ أيضًا ـ عند الفلاَّحين: من الإبل، والبقر، والغنم التي يُربُّونها للبيع، فأمَّا العَقاراتُ التي أعدَّها الإنسانُ له، ولا يُريدُ بيعَها، وإنَّما يُريدُ أنْ يسكنَها أو يُؤَجِّرَها، فهذه ليس فيها زكاةٌ، ولا زكاةَ فيما أعدَّه الإنسانُ لبيتِه من الأواني، والفراش، ونَحْوِها، ولا فيما أعدَّه الفلاَّحُ لحاجةِ الفِلاحة من المكائنِ، وآلاتِ الحَرْثِ، ونحوِهَا.

وخُلاصة ذلك:

أن كُلَّ شيءٍ تُعِدُّهُ لحاجتك، أو للاستغلال ـ سوىٰ الذَّهب والفضة ـ فلا زكاةَ فيه، وما أعددتهُ للاتِّجار والتكسُّب ففيه الزَّكاة، وأمَّا الديونُ التي عند الناس، فلا يجبُ عليك إخراجُ زكاتها حتىٰ تقبضها، فإذا قبضتها: فإن كان علىٰ مَلِيءٍ، وجب أن تُخرجَ عنه زكاةَ كُلِّ السنوات الماضيةِ، وإن كان علىٰ فقيرٍ، لم يجب أن تُخرجَ إلاَّ عن سنةٍ واحدةٍ فَقَطْ، وإنْ أخرجتَ زكاة الدَّينِ قَبْلَ قبضِهِ فلا بأْسَ»(١).

وأستغفر الله.

---

(٤) انظر «المجموع الثمين في خطب ابن عثيمين» (ص١٤٦).



الخطبة الثانية

زكاة الفطر



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين، وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيَّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حولَ الزكاة، والآن حديثي معكم حول زكاة الفطر.

وزكاةُ الفطر - أيها الناس - واجبةٌ على كلِّ فردٍ من المسلمين، صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، حُرًّا أو عبداً.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «فرضَ رسولُ اللهِ - ﷺ - زكاةَ الفطرِ صاعًا من تمرٍ، أو صاعًا من شعيرٍ، على العبد والحرِّ، والذكر والأنثى، والصغيرِ والكبيرِ من المسلمين».

وشُرعتْ زكاة الفطر - أيها الناس - طهارةً للصائم من اللَّغوِ والرَّفَثِ، وطُعمةً للمساكين، ومواساةً لهم.

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: «فرض رسولُ الله - ﷺ - زكاة الفطر طُهْرةً للصائم من اللَّغْوِ والرَّفثِ، وطُعمَةً للمساكين، فمن أدَّاها قَبْلَ الصلاة، فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومَنْ أدَّاها بعدَ الصلاةِ، فهي صدقةٌ من الصَّدقاتِ».

---

(١) رواه البخاري (١٥٠٤)، ومسلم (٩٨٤).

(٢) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٢٠).

وزكاةُ الفطْر - أيهـا الناس - لا يُشترط لهـا نصابٌ، وإنما اشترط لوجوبها جمهورُ أهل العلم الإسلامَ أوَّلاً، وثانيًا أنْ يكون مقدارُ هذه الزَّكاة الواجبةِ فاضلاً عن قُوتِهِ، وقُوتِ مَنْ تَلزمهُ نفقتهُ يوم العيد وليلتهِ، وحاجتِهِ الأصليةِ.

والواجب في زكاة الفطرِ صاعٌ من أقواتِ البلدِ.

لما في «صحيح البخاري»[1] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: «كُنَّا نُخْرِجُ في عَهْدِ رسولِ الله - ﷺ - يومَ الفِطْرِ صاعًا من طعامٍ». وقال أبو سعيدٍ: «وكان طعامَنا الشَّعيرُ، والزَّبيبُ، والأَقِطُ، والتَّمْرُ».

فدلَّ هذا الحديثُ على أنَّ الْمُعتبر طعامُ أهل البلد المقتات عندهم: كالأرزِّ، والذُّرةِ، والقمحِ، وغيرِ ذلك، وإن لم ينصَّ عليها الحديثُ.

ومقدار الصَّاع - أيّها الناسُ - أربعةُ أمدادٍ بكفِّ الرجل المُعتدل، ويُقدَّرُ بالوزن كيلوان وأربعون جرامًا.

وإخراجُ القيمة لم يُجزِهْ الأئمَّةُ الثلاثة: مالك، والشافعيُّ، وأحمدُ.

وذهب أبو حنيفة إلى جواز إخراج القيمة، والأرجح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأنّ النصوصَ الواردة بأنها من طعامٍ، والزكاة عبادةٌ لا تبرأُ الذِّمةُ إلا بأدائها على الوجه المأمور به[2].

وتجبُ زكاةُ الفطر بغروب شمسِ آخرِ يومٍ من رَمضان، وآخِرُ وقتُ الوجوب هو حلول وقت صلاة العيد لحديث ابن عباسٍ السابق: «فمن أدَّاها قبل الصلاة، فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أدَّاها بعد الصلاةِ، فهي صدقةٌ من الصدقات»[3].

---

(١) رواه البخاري (١٥١٠).

(٢) انظر «كتاب الزكاة» للعزازي (ص٩٠).

(٣) تقدم تخريجه.

ويجوز تقديمُها بيومٍ أو يومين.

لما في «صحيح البخاري»[١] من حديث عبد الله بن عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: «كانوا يُعطونها قَبْلَ الفِطْرِ بيومٍ أو يومينِ».

ومصارفُ الزكاة - أيها الناس - سواء كانت الزكاةَ الواجبة أم زكاةَ الفطر في ثمانية أصناف، حصرها اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وإيضاح ذلك:

أولاً - الفقير: وهو مَنْ لم يكن لديه من المال ما يسدُّ حاجته، وحاجةَ منْ يعولُ.

ثانيًا - المسكين: وهو الذي لا يوجد عنده ما يكفيه للأكل، والشُّرب، والسَّكن.

ثالثًا - العاملون عليها: هم الذين يُوليهم الإمام - أو نائبُهُ - عملاً من أعمال الزكاة: من جَمْعٍ، أو حِفْظٍ، أو تفريقٍ.

رابعًا - المُؤلَّفة قُلوبُهُم: المؤلَّف هو الرجل المُسْلِمُ يُكون ضعيفَ الإيمان، وتكونُ له الكلمةُ النافذةُ في قومِهِ، فيُعطىٰ من الزكاة تأليفًا لقلبه.

خامسًا - الرِّقاب: والمراد من هذا المصرَفِ هو أنْ يكونَ المُسلمُ رقيقًا، فيُشْترىٰ من الزكاةِ ويُعتقُ.

سادسًا - الغارمون: والغارم: هو المَدِينُ الذي تحمَّل دينًا في غير معصيةِ الله.

سابعًا - في سبيل الله: والمراد هنا الغزوُ، فيُعطىٰ المتطوِّعون من الغُزاةِ الذين

---

(٢) رواه البخاري (١٥١١).

ليس لهم راتبٌ من الدَّولة، سواء كانوا أغنياءَ أَمْ فُقَرَاءَ.

ثامنًا ـ ابن السبيل: هو المُسافر المُنقطع عن بلدِهِ، وعرضَ له عارضُ فقر حالَ سفرِهِ وانقطاعِهِ، فيُعطىٰ من الزَّكاةِ ما يَسدُّ حاجتهُ في غُربتِهِ، ويوصِلُهُ إلىٰ بلدهِ، وإن كان غنيًّا في بلده، وهذا إذا لم يجِدْ مَنْ يُقْرِضُهُ في حالتِهِ هذه، فإذا وجَدَ مَنْ يُقرِضُهُ، وجب عليه أنْ يقترضَ[1].

اللهمَّ إنَّا نسألُك الهدىٰ، والتُّقىٰ، والعفاف، والغِنىٰ، اللهُمَّ إنا نعوذُ بك من زوالِ نعمتِك، وتَحَوُّلِ عافيتِكَ، وفُجَاءَةِ نقمتِكَ، وجميعِ سَخَطِكَ.

---

(١) انظر «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العلم (ص١١٣، ١١٤).



الخطبة الأولى

٤. صيام رَمَضَانَ

إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعد، أيها الناسُ، حديثي معكمُ اليوم عن صومِ رمضانَ.

وصومُ رمضانَ ـ أيها الناس ـ هو الركن الرابع من أركانِ الإسلامِ، وأحدُ مبانيه العظامِ، لا يتمُّ إسلامُ المرء إلا به.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً

أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شَهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ، وصومِ رمضانَ».

أيها الناسُ، لقد أجمع المسلمون كافَّةً على وجوب صيام شهر رمضانَ، كما قال صاحب «المغني»(٢).

ومن أنكره جاحدًا لوجوبه فهو كافرٌ مرتدٌّ، إلا أن يكون جاهلاً، أو حديث عَهْدٍ بالإسلامِ، فحينئذ يُعلَّم ويُبيَّن له الحقُّ، فإن أصرَّ وكابرَ فهو كافرٌ، يُقتل رِدَّةً وكفرًا - والعياذ بالله! - لأنَّه مُكذِّبٌ للقرآن والأحاديث الصحيحة.

وفضائل صوم شهر رمضانَ لا تكادُ تُحصرُ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»(٣) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**قال اللهُ - عزَّ وجلَّ -: كلُّ عملِ ابْنِ آدمَ لهُ إلاَّ الصِّيامَ** (أي: لـه أجرٌ محدودٌ إلاَّ الصومَ، فأجرُهُ بغير حسابٍ)؛ **فإنَّهُ لي، وأنا أَجْزي بهِ، والصِّيامُ جُنَّةٌ** (أي: يقي صاحبَهُ ما يُؤذيه من الشَّهَواتِ)، **وإذا كان يومُ صومِ أحدِكم، فلا يَرْفُثْ،**

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) «المغني» لابن قدامة (٤/ ٣٢٣).

(٣) رواه البخاري (١٩٠٤)، واللفظ له، ومسلم (١١٥١).

ولا يَصْخَبْ، فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتلَه فليقل: إني امْرُؤٌ صائم، والذي نَفْسُ محمَّد بيده، لَخَلُوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ الله منْ ريحِ المِسْكِ. للصائمِ فَرْحتانِ يَفرَحُهما: إذا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإذا لقيَ ربَّهُ فرِحَ بصَومِه».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «الصيامُ جُنَّةٌ، وحِصنٌ حَصينٌ مِنَ النَّارِ».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ صامَ رمَضَانَ إيمانًا واحتسابًا، غُفرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذَنبِه، ومنْ قام ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّمَ منْ ذنبِه».

ولشهر رمَضَانَ من الفضائلِ ما ليستْ لغيرِه من الشهور.

ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا جاء رَمَضَانُ، فُتحتْ أبوابُ الجنَّةِ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النارِ، وصُفِّدتِ الشياطينُ».

وفي هذا الشهر المبارك - أيها الناس - ليلةٌ واحدةٌ خيرٌ من ألفِ شهر، وألفُ شهرٍ إذا حُسبت بالسِّنين تزيدُ علىٰ ثمانين عامًا، فهذه اللَّيلةُ تعادلُ ثمانين عامًا وزيادةَ أشهرٍ، كُلها في طاعةِ الله، وهذا فضلٌ عظيمٌ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٠٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٠).
(٢) رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠)، واللفظ له.
(٣) رواه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩).

الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومعنىٰ: ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يعني: ابتدأ نزولُه، ثمَّ تتابعَ بعد ذلك، ينزلُ علىٰ رسول الله - ﷺ - إلىٰ آخر حياته - عليه الصلاةُ والسلام -[1].

والصَّومُ - أيها الناسُ - له شروط:

فيُشتَرطُ في وجوب الصَّومِ علىٰ المسلم أن يكون عاقلاً بالغًا.

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] من حديث عليٍّ - رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثة: عنِ النائمِ حتى يستيقظَ، وعنِ الصبيِّ حتى يَحْتَلِمَ، وعن المجنونِ حتى يَعْقِلَ**».

وأن يكون المسلمُ صحيحًا غيرَ مريضٍ، مُقيمًا غير مُسافرٍ، قادراً عليه من غير مشقَّةٍ بالغةٍ، ويجبُ أن تكون المرأةُ طاهرةً من الحيضِ والنِّفاسِ.

ففي «صحيح البخاري»[3] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: قال النبيُّ - ﷺ -: «**أليسَ إذا حاضتْ لم تُصلِّ ولم تَصُمْ؟ فذلك نُقْصانُ دِينِها**».

وللصيام - أيها الناس - ثلاثةُ أركانٍ:

الركن الأول - الإمساك: وهو الكفُّ عن المُفطراتِ: من أكلٍ، وشُربٍ، وجماعٍ، وغيرها.

---

(١) «مجالس شهر رمضان» للفوزان (ص١٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٤٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٧٠٣).

(٣) رواه البخاري (١٩٥١).

الركن الثاني ـ النِّيَّةُ: وهي عزمُ القلبِ على الصَّومِ امتثالاً لأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ القائل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول اللهِ ـ ﷺ ـ: «**الأعمالُ بالنِّيةِ، ولكلِّ امرئٍ ما نوى**».

فإن كان الصومُ فرضًا، فالنِّيةُ تجبُ بليلٍ قبلَ الفجرِ

لما في «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[(٢)] من حديث حفصةَ بنتِ عمر ـ رضي الله عنها ـ أنَّ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قال: «**من لم يُجمعِ الصِّيامَ قبلَ الفَجْرِ فلا صِيامَ لهُ**».

وإن كان الصومُ نَفْلاً، صحَّتِ النِّيةُ ولو بعد طلوعِ الفَجْرِ وارتفاعِ النهارِ، بشرط ألاَّ يكون قد طَعِمَ شيئًا.

لما في «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «دخل عليَّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ ذاتَ يومٍ، فقال: «**هل عندكُم شيءٌ؟**». قُلنا: لا. قال: «**فإنِّي صائمٌ**».

الركنُ الثالث ـ الزَّمانُ:

والزمانُ ـ أيها الناس ـ هو الركنُ الثالثُ من أركان الصيام، والمقصودُ بالزمانِ هو نهارُ رمضان من طلوع الفجرِ إلى غُروب الشمس لقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

---

(١) رواه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) رواه أبو داود (٢٤٥٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٤٣).
(٣) رواه مسلم (١١٥٤).

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ويُرخَّصُ الفطرُ للمريضِ والمُسافرِ مع وجوب القضاء، وخاصَّة المريضَ الذي يُرجىٰ برؤُه، فإنه يُباحُ له الفطرُ، ثمَّ يقضي بعد ذلكَ ما أفطر من أيَّامٍ، وإذا استطاع المريضُ الصِّيامَ بلا مشقَّةٍ صامَ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وأمَّا المسافر ـ إذا سافر المسلمُ مسافةً تُقصرُ فيها الصَّلاةُ ـ فيباحُ له الفطرُ، ويقضي ما أفطره من أيَّامٍ عند حضوره، فإذا كان الصومُ في السفر لا يشُقُّ عليه فصام، كان ذلك حسنًا، وإن كان يشقُّ عليه فأفطر، كان ذلك حسنًا.

لما في «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنَّا نغزو مَعَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ في رمضَانَ، فمنَّا الصائمُ، ومنَّا المُفطِرُ، فلا يَجِدُ الصائمُ على المُفْطِرِ (أي: لا يعيبُ عليه)، ولا المُفْطِرُ علىٰ الصائمِ، يَرَوْنَ أنَّ مَنْ وَجَدَ قُوَّةً فصام، فإنّ ذلك حَسَنٌ، ويَرَوْنَ أنّ منْ وجَدَ ضَعْفًا فأفْطَرَ، فإنَّ ذلك حَسَنٌ».

أيها الناس، اعلموا ـ علَّمني اللهُ وإيَّاكم ـ أنَّه يُباحُ الفطرُ للمرأة المُسلمة إذا كانتْ حاملاً أو مُرْضِعًا، إذا خافت كُلٌّ منهما علىٰ نفسِها، أو علىٰ ولدِها فَقَطْ، أو علىٰ نفسها وولدها

لما في «سنن أبي داود» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ، قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[(٢)] من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ اللهَ وَضَعَ شَطْرَ الصلاةِ والصَّومَ عنِ المُسافرِ، وعنِ المُرضِعِ ـ أو الحُبلىٰ ـ الصَّومَ».

---

(١) رواه مسلم (١١١٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٠٨)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٠٧).

وإذا كان خوفُ المرأةِ على الولد فَقَطْ، فإنها تزيدُ - على القضاءِ - الفِديةَ، والفِديةُ: أنْ تتصدَّق عن كُلِّ يومٍ تَصومُهُ بمدٍّ من طعامٍ.

وهناك - أيها الناس - من يُرخَّصُ لهم في الفِطرِ، ولا يجبُ عليهم القضاءُ، إنما تجبُ عليهم الفديةُ فَقَطْ، وهم:

الشيخ الكبير، والمرأةُ العجوز، والمريض الذي لا يُرجى بُرؤُه، ومن في حُكْمِ هؤلاءِ ممَّن يُجهِدُهُ الصَّومُ، ويشقُّ عليه مشقَّةً شديدةً، فهؤلاء جميعًا يُرخَّصُ لهم في الفطرِ، وأن يُطعموا عن كلِّ يومٍ مسكينًا مُدًّا من طعامٍ، ولا قضاءَ عليهم لقول ابن عبَّاسٍ - كما في «صحيح البخاريِّ»[1] - «الشيخ الكبير، والمرأةُ الكبيرةُ لا يستطيعانِ أن يَصُوما، فيُطعمانِ مكانَ كلِّ يومٍ مسكينًا»

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٠٥).



الخطبة الثانية

مبطــلات الصيــام



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، تقدم الحديث عن الصيام، والآن حديثي معكم عن مُبطلات الصيام.

أيها الناسُ - هناك ما يُبطلُ الصومَ، ويُوجبُ القضاءَ فَقَطْ، وهناك ما يُبطِلُهُ، ويُوجبُ القضاءَ والكفَّارةَ.

فأمَّا ما يُبطِلُ الصَّومَ، ويُوجبُ القضاء فقط، فهو ما يأتي:

أولاً - الأكلُ والشُّربُ عَمْداً، أمَّا إذا كان ناسيًا أو مُكْرَهًا، فلا قضاءَ عليه.

لما في «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ -: **«مَنْ نَسِيَ - وهو صائم - فأكلَ أو شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صومَهُ؛ فإنَّما أَطْعمهُ اللهُ وسقاهُ»**.

وهذا من لُطفِ اللهِ وتيسيرِهِ على عباده، فقوله: «فَلْيُتِمَّ صومَهُ» دليلٌ على أنَّ صيامَهُ صحيحٌ.

ثانيًا - من أكلَ، أو شربَ، أو جامعَ ظانًّا غُروبَ الشَّمْسِ، ثمَّ تبيَّن له خِلافَ ذلك، أي: بقاءَ النهار.

ثالثًا - ما وصلَ إلى الجوفِ بالمُبالغةِ في المضمضة والاستنشاق، إذا بالغ في ذلك

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

ذاكرًا لصومه، وأيضًا إيصال الأغذية إلى الجوف، ومن ذلك الإبرُ المُغذِّية، التي يحصلُ بها إنعاشٌ للبدن وتغذيته.

أمَّا إذا طار إلى حلقه غبارٌ أو ذُبابٌ، لم يُؤثِّرْ على صيامِه لعدمِ إمكان التحرُّزِ من ذلك.

رابعًا - إنزالُ المنيِّ في اليقظة باستمناءٍ، أو مباشرةٍ، أو تقبيلٍ، أو إدامةِ نظر، ونحو ذلك باختيارِه، وأمَّا الإنزال بالاحتلام فإنَّه لا يُفْطِرُ؛ لأنَّه بغير اختيار الصائمِ.

خامسًا - التقيُّؤُ عَمْدًا، والتقيُّؤُ: هو استخراج ما في المَعِدَةِ من طعامٍ أو شرابٍ عن طريق الفمِ مُتعمِّدًا، أمَّا منْ غَلَبَهُ القيءُ، فقاء بدونِ اختيارِه، فلا يَفْسُدُ صومُهُ.

لما في «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ - وهو صائم - فليس عليه قضاءٌ، وإنِ استقاء فَلْيقضِ**».

ومعنى ذَرَعَهُ القَيْءُ: أي غَلَبَهُ.

سادسًا - نقضُ ورفْضُ نيَّةِ الصَّومِ، فمن نوى الفِطْرَ - وهو صائمٌ - بطَلَ صومُهُ، وإن لم يتناولْ مُفْطِرًا، ولهذا قال أهلُ العِلْمِ: إذا غربتِ الشمسُ، وليس عندك ما تُفطِرُ عليه، فتكفيك النِّيَّةُ.

سابعًا - الرِّدَّةُ عن الإسلام، إن رجع إليه لقول الله - سبحانه وتعالى - ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ [الزمر: ٦٥].

الأمر الثاني - أيها الناس - ما يُبطِلُ الصوم، ويُوجبُ القضاءَ والكفَّارةَ، وهو الجماعُ العمد من غير إكراهٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٠٨٤).

لما في «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ فقال: هلكتُ، يا رسولَ الله. قال: «وما أَهْلَكَكَ؟». قال: وقعتُ علىٰ امرأتي في رَمَضَانَ. فقال: «هل تجدُ ما تُعتقُ رقبةً؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيعُ أن تصومَ شهرين مُتَتَابعَيْنِ؟» قال: لا. قال: «فهل تجدُ ما تُطْعِمُ ستِّين مسكينًا؟». قال: لا. ثمَّ جلس، فأُتِيَ النبيُّ ـ ﷺ ـ بعَرَقٍ فيه تَمْرٌ (والعَرَقُ: هو مِكْيالٌ يَسَعُ خمسةَ عَشَرَ صاعًا) فقال: «خُذْ تصدَّقْ بهذا» قال: فهل علىٰ أفْقَرَ منَّا؟. فوالله، ما بين لابَتَيْها أهلُ بيتٍ أَحْوجُ إليه منَّا (أي: ما بين أطراف المدينة أفقرُ منّا) فَضَحِكَ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ حتىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وقال: «اذهبْ فأَطْعِمْهُ أهلكَ».

أيها الناس، لابد أن يأتي بالكفارة على الترتيب وهي عِتقُ رقبةٍ مُؤمنةٍ، فإن عجز أطعم ستِّين مسكينًا من أوسط ما يُطْعِمُ منه أهلَهُ، كما لا يصحُّ الانتقالُ من حالةٍ إلىٰ حالةٍ إلا إذا عجز منها.

والإطعام ـ أيها الناسُ ـ يكونُ لكُلِّ مسكينٍ مُدٌّ مِنْ بُرٍّ، أو شعيرٍ، أو تمرٍ بحَسْبِ الاستطاعة.

وتتعدَّدُ الكفَّارةُ بتعدُّد المُخالفة، فمن جامع مُتعمِّدًا في يومٍ ولم يُكَفِّرْ، ثمَّ جامع في يومٍ آخَرَ من الشهرَ فقد ذهب بعض أهلِ العلم إلىٰ أنَّ عليه كفَّارتانِ، والصوابُ الاكتفاء بواحدةٍ.

أيها الناسُ، هنا تنبيهٌ مهمٌّ:

وهو هل على المرأة كفَّارة كالرَّجل تمامًا؟

ذهب أهلُ العلم إلىٰ أنَّه متىٰ كانت المرأةُ راضيةً، فعليها كفَّارةٌ، وإن كانتْ مُكرهةً، فعليها القضاءُ ولا كفارة عليها[٢].

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

(٢) جمهور أهل العلم علىٰ أنه يلزمها الكفارة ـ «نيل الأوطار» (ج٣/ ١٨٩) ط. دار العربي وغير «نيل الأوطار».

قال ابن عثيـمين ـ رحمه الله ـ: «مَن جامع في نهارِ شهر الصومِ، فإنه يلزمُهُ القضاءُ والكفَّارةُ، وامرأتُهُ مِثْلُهُ إن كانت مُطاوعةً له، سواء حصل الإنزال أم لم يحصلْ»[1].

اللهمَّ إنَّا نسألك علمًا نافعًا، ورِزقًا طيِّبًا، وعمَلاً مُتقبَّلاً.

وسبحانك اللهُمَّ وبحَمْدِك، أشهد أن لا إلهَ إلا أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

---

(١) «فقه العبادات» لابن عثيمين (ص١٩٤).

الخطبة الأولى

٢- فضل تلاوة القرآن

إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس: حديثي معكم اليوم عن فضل تلاوة القرآن العظيم.

أيها الناس: إن هذا القرآن الذي بين أيدينا نتلوه ونسمعه ونحفظه هو كلام ربنا –سبحانه وتعالى–، تكلم به حقيقةً على الوصف الذي يليق بجلاله وعظمته، ووصفه –سبحانه وتعالى– بأوصاف عظيمة؛ لنعظمه في نفوسنا؛ وتحترمه قلوبنا:

فوصفه –سبحانه وتعالى– بأنه موعظة، وشفاء، وهدى:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

ووصفه بأنه روح تحيا به القلوب، وأنه هدى الله يهد به من يشاء:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢]. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الزمر:٢٣].

ووصفه بأنه يهدي للطريق المستقيم فقال –سبحانه وتعالى–:

﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ

عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء:٩، ١٠].

ووصفه أنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم فكل خير وعلم إنما يستفاد منه:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٥ ـ ٨٠].

وأخبر -سبحانه وتعالى- أن هذا القرآن -لكمال تأثيره في القلوب والنفوس- لو أنزله على جبل لرأيته خاشعًا: متصدعًا من خشية الله:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١].

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «الماهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيُتَعْتِعُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».

والأجران؛ أحدهما: على التلاوة، والثاني: على مشقتها على القارئ.

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ؛ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ».

---

(١) أخرجه البخاري، (٥٠٢٧).
(٢) أخرجه البخاري، (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٢).
(٣) أخرجه البخاري، (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي أمامة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ».

وفي «صحيح مسلم» أيضًا(٢) من حديث عقبة بن عامر -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

وفي« صحيح مسلم» أيضًا(٣) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَ يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وفي «الصحيحين»(٤) من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا».

وفي «الصحيحين»(٥) أيضًا من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ».

تلك _ أيها الناس _: تلك بعض فضائل القرآن.

وقد رتب الله الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن تعلم القرآن وعلمه، وجعلهم خير هذه الأمة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).
(٢) أخرجه مسلم (٨٠٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).
(٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠).

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩، ٣٠].

وفي «الصحيحين» من حديث عثمان -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وفي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيحٍ -صححه الألباني في «المشكاة»- من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».

وتلاوة كتاب الله أيها الناس: كما قال بعض أهل العلم على نوعين:

النوع الأول

تلاوة لفظية: وهي قراءته؛ وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضلها، إما في جميع القرآن وإما في سورٍ أو آياتٍ معينةٍ منه.

النوع الثاني:

تلاوة حكمية: وهي تصديقُ أخباره، وتنفيذ أحكامه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهذا النوع هو الغاية الكبرى من إنزال القرآن كما قال ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص٢٩].

ولهذا درج السلف الصالحُ -رضي الله عنهم- على ذلك يتعلمون القرآن، ويصدِّقون به، ويطيعون أحكامه تطبيقًا إيجابيًّا عن عقيدة راسخةٍ.

قال أبو عبدالرحمن السُّلمي -رحمه الله-: حدثنا الذين كانوا يُقْرِئوننا القرآن - عثمانُ بن عفان وعبدالله بنُ مسعودٍ، وغيرُهما-، أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشْرَ آياتٍ لمْ يتجاوزوها حتَّى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلمَ والعملَ جميعًا.

وهذا النوعُ من التلاوة هو الذي عليه مَدار السعادةِ والشقاوة.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:١٢٧:١٢٣].

فبين الله في هذه الآيات الكريمة ثواب المتبعين لهداه الذي أوْحاهُ إلى رسله، وأعظمه هذا القرآن العظيم، وبين عقابَ المعرضينَ عنه، أما ثواب المتبعين له فلا يضلون، ولا يشقونَ، ونفي الضلالِ والشقاءِ عنهم يتضمنُ كمالَ الهدايةِ والسعادةِ في الدنيا والآخرةِ.

وأما عقابُ المعرضين عنه المتكبرين عن العمل به؛ فهو الشقاءُ والضلالُ في الدنيا والآخرة، فإن له معيشةً ضنكًا، فهو في دنياه في همٍّ وقلقِ نفسٍ، ليس له عقيدةٌ صحيحةٌ ولا عملٌ صالحٌ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وهو في قبره في ضيقٍ وضنكٍ، قد ضُيِّق عليه قبرُه حتَّى تختلفَ أضلاعُه، وهو في حشره أعمَى لا يبصرُ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧].

فهم كما عموا في الدنيا عن رؤية الحقِّ، وصمُّوا عن سماعِهِ، وأمسكوا عن النطق به: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:٥].

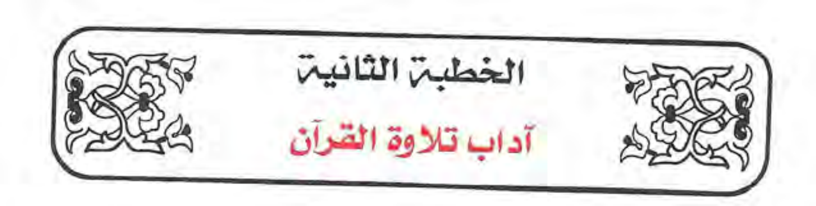
جازاهم الله في الآخرة بمثل ما كانوا عليه في الدنيا، وأضاعهم كما أضاعوا شريعته ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٥، ١٢٦].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه-: أن النبي ﷺ قال: «**الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**».

أيها الناس: علينا أن نجعل القرآن حجة لنا لا علينا؛ وذلك بتلاوته حق تلاوته، والعمل به، وذلك بتصديق أخباره، واتباع أحكامه، فعلاً للمأمورات وتركًا للمنهيات، ومن كان هذا حاله فإن القرآن يكرمه حين ينشق عنه قبره يوم القيامة بإذن الله.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسن من حديث بريدة -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الهَوَاجِر، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ إِنْ كَانَ تَاجِرٌ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِه وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَي الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ وَالخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، ويُكْسَى وِلِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا القُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجَةِ الجَنَّةِ وَغُرَفِهَا فَهُوَ صَعُودٌ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَزًّا أَوْ تَرْتِيلًا**».

وأستغفر الله.



الخطبة الثانية
آداب تلاوة القرآن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس: تقدم الحديث عن فضل تلاوة القرآن العظيم، والآن حديثي معكم عن:

(آداب تلاوته)

وهي كثيرة وسوف أقتصر على بعض منها.

فمن آداب تلاوة القرآن الكريم: إخلاص النية لله تعالى فيها؛ لأن تلاوة القرآن عبادة عظيمة، والإخلاص شرط في قبولها، فتلاوة بلا إخلاص رَعْدٌ بلا مطرٍ.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح- صححه الألباني في «صحيح أبي داود»[1] - من حديث جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا فيه قوم يقرءون القرآن، قال: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقَدْحِ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن نقرأ بقلبٍ حاضرٍ، نتدبر ما نقرأ ونتفهم معانيه، وتخشع عند ذلك قلوبنا، ونستحضر بأن الله -سبحانه وتعالى- يخاطبنا في هذا القرآن، فإنه خطاب من الله لنا على لسان رسوله ﷺ قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق:٣٧].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٨٣٠).

وعن الحسن -رحمه الله- قال: «إن مَن كان قبلكم رأوا القرآنَ رسائلَ من ربِّهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يُقرأَ على طهارةٍ ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند إرادة القراءة؛ لقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]؛ ولئلا يصُدَّه الشيطانُ عن القراءة أو كمالها.

وأما البسملة: فإن كان ابتداءُ قراءته من أثناء السورةِ فلا يُبَسْمِلُ، وإن كان من أول السورة فليبسمل إلا في سورة «التوبة» فإنه ليس في أولها بسملة؛ لأن الصحابة -رضي الله عنهم- أشكل عليهم حين كتابة المصحف: هل هي سورة مستقلةٌ أو بقية الأنفال؟ ففصلوا بينهما بدون بسملة.

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يُقْرَأَ بتدبر وخشوع؛ لأن ذلك هو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩].

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يحَسِّنَ القارئُ صوته بالقرآن ويترنَّمَ به؛ ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ (أي: ما استمع لشيءٍ) كَمَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ».

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا من حديث جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: سمعتُ النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعتُ أحدًا أحسن صوتًا أو قراءةً منه ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣).

لكن إن كان حَوْلَ القارئ أحدٌ يتأذى بجهره في قراءته كالنائم والمصلي ونحوهما؛ فإنه لا يجهر جهرًا يشوش عليه أو يؤذيه؛ لأن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلون ويجهرون بالقراءة، فقال كما في «الموطأ» بسندٍ صحيح[1] من حديث البياض: أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم فقال: «**كُلُّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقُرْآنِ**».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يُرَتَّلَ القرآنُ ترتيلاً؛ لقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:٤].

وفي «صحيح البخاري»[2] عن أنس بن مالك - رضي الله عنه- أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال: كانتْ مدًّا ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» يمدُّ (بسم الله)، ويمدُّ (الرحمن)، ويمدُّ (الرحيم)».

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الترمذي»[3]- من حديث أم سلمة- رضي الله عنها- أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ فقالت: كان يُقطِّعُ قراءته آيةً آية، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

اللهم اجعل القرآن الكريم حجة لنا لا علينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، ووفقنا لتدبر معانيه وتطبيق أحكامه، وحفظ حدوده ورعاية حرمته.

---

(١) صحيح: أخرجه مالك في الموطأ (ص٩٠) رقم (١٧٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٤٥).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٦ / ٣٠٢) والترمذي (٢٩٢٧) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣١٠٧).

الخطبة الأولى
من أخطاء الصائمين

إن الحمد لله..

أما بعد:

حديثي معكم أيها الناس عن أخطاء يقع فيها بعض الصائمين، وهي كثيرة، والقصد من بيان بعض أخطاء الصائمين هو إعانة من وقع في شيء منها على اجتنابها.

فمن أخطاء بعض الصائمين:

-التلفظ بالنية عند الإفطار وعند السحور:

والنية أيها الناس محلها القلب، والتلفظ بالنية لم يفعلها النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا التابعون، ولا الأئمة الأربعة؛ لا في صلاة ولا طهارة ولا صيام ولا حج.

والعبادة تُقَدَّمُ على الإخلاص في المتابعة للنبي ﷺ، فأي عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ فهي مردودة على صاحبها. ففي «الصحيحين»[1] من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»** وفي لفظ مسلم[2]: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُو رَدٌّ»**.

ومن أخطاء بعض الصائمين:

- الصلاة في رمضان فقط أو من الجمعة إلى الجمعة:

وهذا غاية في الشَّيْنِ؛ فإن بعض أهل العلم يذهبون إلى بطلان صيام من يصوم ولا يصلي، وذلك لأن الصلاة عمود الدين، فهي الأساس الذي يقوم عليها البناء، فإذا لم يجد الأساس فالبناء آيِلٌ للسقوط لا محالة.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨).

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ حسن -حسنه الألباني في «الإرواء»[١]- من حديث معاذ -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذُرْوَةُ سِنَامِهِ الجِهَاد».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ».

وقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- لا يرون شيئًا من الأعمال تركُه كفرٌ غيرَ الصلاةِ.

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الترغيب»[٣]- من حديث عبدالله بن بريدة -رضي الله عنه- قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركُه كُفْرٌ غيرَ الصَّلَاةِ.

بل قد نقل ابن حزم وغيره من أهل العلم إجماعَ الصحابة على كفر تارك الصلاة[٤].

ومن أخطاء بعض الصائمين:

-كثرة النوم في نهار رمضان:

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيحٍ -صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»[٥]- من حديث خِوات بن جبير - رضي الله عنه- قال: «نَوْمُ أَوَّلَ النَّهَارِ خَرْقٌ،وَ أَوْسَطُهُ خُلُقٌ، وَآخِرُهُ حُمْقٌ».

فقوله: (خُرْقٌ): أي جهل، فإن وقت أول النهار وقت غنيمة، فإنه القَسْمُ وحلول

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وحسنه الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٣٩).

(٢) رواه مسلم (٧٦).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٧٧٠)، وصححه الألباني في «الترغيب» (١/ ٢٧٧) (٦٤).

(٤) انظر المحلى (٢/ ٢٤٢)، وكتاب الصلاة لابن القيم (ص٢٦)، والشرح الممتع لابن عثيمين (٢/ ٢٨).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٤٥٦).

البركة في الأعمال والأرزاق.

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»[١] - من حديث صخر الغامدي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا».

قال صخر: وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم أولَ النهار، وكان صخرُ تاجرًا، وكان إذا بعث تجارة بعثها أول النهار، فأُثْرِيَ وكثُر مالُه.

وليس مقصودنا أن النائم لا يُرزق، بل إن الله يرزق البَرَّ والفاجر، والمؤمن والكافر، لكن البركة كنز لا يناله إلا المستيقظون في هذا الوقت المبارك.

وقوله: (خُلُقٌ): أي أن نوم وسط النهار خُلُق رسول الله ﷺ، وهو نومة الهاجرة؛ أي قبل صلاة الظهر بساعة، إلا يوم الجمعة؛ فإن النبي ﷺ كان ينام فيه بعد الظهر.

وقوله: (نوم وسط النهار): فيه إشارة إلى ما أخرجه أبو نعيم في «الطب» بسندٍ حسن -حسنه الألباني في «الصحيحة»[٢]- من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «قِيلُوا؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ».

وقوله:(حمق): أي وضع الشيء في غير موضعه.

وأعدل النوم أيها الناس -كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله-: (نوم نصف الليل الأول، وسدسه الأخير، وهو مقدار ثمان ساعات وهذا أعدل النوم عند الأطباء).

ومن أخطاء بعض الصائمين:

-الإكثار في المأكل والمشرب في رمضان:

وتكلُّف شراء بعض المأكولات التي لا يأخذها في غير رمضان، وكثرة الأكل يدعو إلى الغفلة، كما أن قلة الأكل توجب رقة القلب، وانكسار النفس، وضعف الهوى.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي في «سننه» (١٢٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٢٣٦).
(٢) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الطب» (١٢ / ٨)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٦٤٧).

فينبغي التوسط في كل شيء؛ فلا يضيِّق الإنسان على نفسه ولا يفرِّط في الأكل، وخير الأمور أوسطها، والتوسط أيضًا من أعظم أسباب حفظ الصحة؛ فإن الله – سبحانه وتعالى- جمع الطب كله في نصف آية فقال- سبحانه وتعالى-: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف:٣١].

قال بعض العلماء: «جمع الله بهذه الكلمات الطبَّ كله»[١].

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «الصحيحة»[٢]- من حديث المقدام بن معد يكرب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».

وقد كان السلف -رضي الله عنهم- ينفرون ممن عُرف بكثرة الأكل؛ ففي «الصحيحين»[٣] من حديث نافع قال:رأى ابن عمر مسكينًا، فجعل يضع بين يديه، ويضع بين يديه، فجعل يأكل كثيرًا، قال: لا تدخلن هذا علي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعِيٍّ وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ».

ومن أخطاء بعض الصائمين:

- أكل الثوم، والبصل والكرات وكل ماله رائحة مؤذية:

كالفجل والدخان، وذلك عند الفطور وقبل الذهاب إلى المساجد. وقد نهى النبي ﷺ عن حضور المساجد لمن أكلها. ففي «الصحيحين»[٤] من حديث جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ الثَّوْم، وَالبَصَلَ، والكُرَّاتَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ».

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ١٨٦).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ١٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٥).
(٣) رواه البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠).
(٤) رواه البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤).

قال الإمام النووي -رحمه الله-: قال بعض العلماء: ويلحق بالثوم والبصل والكرات كلُّ ماله رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

قال القاضي: ويلحق به من أكل فجلاً وكان يتجشأ.

وقال ابن الرابط: ويلحق به من به بَخْرٌ في فيه، أو به جرح له رائحة.

قال القاضي: «وقاس العلماء على هذا مجامعَ الصلاة غير المسجد؛ كمصلى العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها، ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها»[١].

ومن أخطاء الصائمين:

-تتبع الصوت الحسن في المساجد عند القيام وغيره:

وقد نهى النبي ﷺ أن يتخطى الرجل مسجده إلى غيره من المساجد، فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بإسنادٍ جيدٍ قاله الألباني في «الصحيحة» من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِيُصَلِّ الرَّجُلُ فِي المَسْجِدِ الَّذِي يَلِيهِ وَلَا يَتْبَعِ المَسَاجِدَ**».

قال ابن القيم -رحمه الله-: «وما ذاك إلا لأنه ذريعةٌ لهجر المسجد الذي يليه، وإيحاشُ صدر الإمام، وإن كان الإمام لا يتم الصلاة، أو يرمى ببدعة، أو يعلن بفجور؛ فلا بأس بتخطِّيه إلى غيره»[٢].

ومن أخطاء بعض الصائمين:

- الإفطار على سجائر:

وهذا مخالف لهدي نبينا ﷺ؛ فإن النبي ﷺ كان يفطر على الرُّطَب أو التَّمر -إن

---

(١) شرح النووي على مسلم (ص٤٢٠).
(٢) إعلام الموقعين (٣/ ١٦٠).

تيسر- أو الماء، لما في «سنن أبي داود» بسندٍ حسن -حسنه الألباني في «الإرواء»[(١)]- من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ يفطر على رُطَبَاتٍ قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسواتٍ من الماء».

وهذا مع ما في السجائر من أضرار بالغة للصحة، فنقول لمن ابتلى بالدخان: يا أخي؛ اتق الله في نفسك؛ فإنها أمانة، وهي ملك لخالقها ورازقها، فلا تهلكها بالدخان، واجعل قصدك في تركها وجه الله يخلصك الله منها.

ومن أخطاء بعض الصائمين:

التخفيف المفرط في صلاة التراويح:

فإذا كان الإمام لا يتم الركوع ولا يتم السجود؛ فوجب على الناس أن ينصحوا له بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، فإن أبى فالصلاة وراءه لا تصح، ولا يصح الاقتداء به، ويجب إعادة الصلاة؛ لما في «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل يصلي، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام فقال: « ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ».

فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: « ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ- ثلاثًا» فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيرها، فعلمني، قال: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا».

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «فكل من لم يتم ركوعه أو سجوده أو غير ذلك مما هو مأمور فعليه بالإعادة»[(٣)].

وأستغفر الله.

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٢٣٦٥)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٩٢٢).

(٢) رواه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

(٣) الفتح (١ / ٣٤٨).



الخطبة الثانية
من أخطاء بعض الصائمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس: تقدم الحديث معكم عن أخطاء بعض الصائمين، وحديثي معكم الآن هو تكمُلة لما سبق، فإن أخطاء بعض الصائمين أكثر من أن تحصر.

فمن أخطاء بعض الصائمين:

- سوء الخلق:

فبعض الصائمين يكون سيء الخلق؛ بسبب امتناعه عن الأكل والشرب؛ فتراه قاسيًا فظًّا غليظًا على أهله وعلى الناس الذين يعاملهم ويحتك بهم، وهذا خلاف ما يجب أن يكون عليه الصائم من حسن الخلق.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ؛ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**».

ومعنى (جنة): أي وقاية وستر. ومعنى (فلا يرفث): المراد هنا الكلام الفاحش،

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

وهو يطلق على هذا كما يطلق على الجماع. كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧].

ومعنى (فلا يجهل):

أي لا يفعل شيئًا من أفعال أهل الجهل؛ فإن سبَّه أحد أو قاتله أو شاتمه فلا يرد عليه بالمثل، بل يقول: إني صائم، إني صائم.

وفي هذا الحديث الحث على التمسك بالأخلاق الحسنة، فالصائم في عبادة طول يومه، فلا ينبغي أن يشين عبادته وينقص أجرها.

ولعل الدافعَ لسوء الخلق في رمضان الغضبُ:

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-[1]:

«والغضب وسوء الخلق في رمضان يكثر لضعف الإيمان، فمن الناس من تراه كثير الغضب سيء الخلق مع الناس، ومع أهله، ومع الجيران، وحجته أنه جوعان، وهذا ينافي آداب الصيام، فالصيام من أعظم العون على محاربة الهوى وقمع الشهوات وتزكية النفوس، فيحبس اللسان عن اللغو والسباب والهذيان، ولا يخفى أن سوء الخلق من نزغات الشيطان، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

وكثرة الغضب لا تدل على القوة ولا على زرانة العقل؛ ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**».

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٤٦).
(٢) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

ومن أخطاء بعض الصائمين:

الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور:

كل ذلك وغيرها تنقص أجر الصائم لا محالة؛ ففي «صحيح البخاري»[١] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**».

وأخرج التبريزي في «مشكاة المصابيح» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٢]- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ**».

ومن أخطاء بعض الصائمين:

استغلال شهر رمضان للمسألة.

فمن المعلوم أن شهر رمضان هو شهر الجود والإحسان.فعلى أهل الخير أن يتحرَّوْا بصدقاتهم المحتاجين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وينظروا للأراملَ والأيتامِ الذين لا عائل لهم.

ومن الخير لهم أن يعطوهم الصدقة يدًا بيد إن أمكن ذلك.

وأما الذين ينتقلون من مسجد إلى مسجد فلا يسلم الإمام إلا و هم في القبلة يسألون الناس لأنفسهم ولغيرهم؛ فهؤلاء منهم من يكون محتاجًا ومنهم أصحاب حِيَل.

فإلى هؤلاء جميعًا أذكرهم بما جاء في «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ من حديث حبيش

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٧).

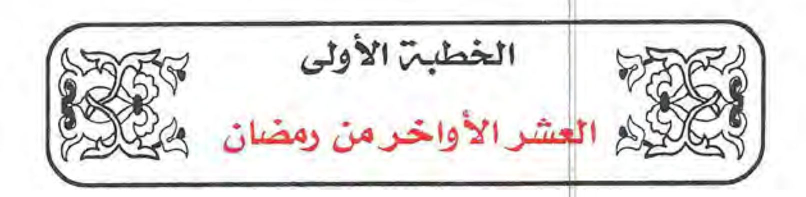
(٢) صحيح: أخرجه التبريزي في «المشكاة» (٢٠١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٨٨).

بن جناده -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ فَكَأَنَّمَا يَأْكُلُ الْجَمْرَ».

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»- من حديث سهل بن حنظلية قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ النَّارِ» قالوا يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: «يُغْذِيهِ أَوْ يُعْشِيهِ».

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مَزْعَةُ لَحْمٍ».

وأسأل الله أن يفقهنا في الدين ولا يحوجنا إلى أحد من خلقه.



إن الحمد لله...

أما بعد:

حديثي معكم اليوم -أيها الناس- عن العشر الأواخر من رمضان.

أيها الناس؛ إن العشر الأواخر من رمضان فيها من الأجر العظيم والمزايا ما ليس لغيرها من أيام رمضان ولياليها.

وقد كان النبي ﷺ يخصها بالاجتهاد في العبادات ويجتهد بالعمل فيها أكثر من غيرها.

ففي «صحيح مسلم»(1) من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان يَجْتَهِدُ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ ما لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِه.

وفي «الصحيحين»(2) من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ إذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وأَحْيَا لَيْلَهُ وأَيْقَظَ أَهْلَه.

وفي رواية: «أَحْيَا اللَّيْلَ، وأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ، وَشَدَّ المِئْزَرَ»؛ ومعنى شد المئزر هو كناية عن اعتزال النساء ليتفرغ للصلاة والذكر.

والمراد بـ «أحيا الليل»: إحياءُ غالبه، ويؤيده ما في «صحيح مسلم»(3) من حديث

---

(1) أخرجه مسلم (١١٧٥).
(2) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).
(3) أخرجه مسلم (٧٤٦).

عائشة -رضي الله عنها- قالت: «ما أَعْلَمُهُ -ﷺ- قامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ».

ومما يدل على مَيْزَةِ العشر الأواخر على غيرها أن النبي ﷺ كان يعتكفُ فيها واعتكف أصحابُه معه وبعده، واعتكف أزواجه من بعده.

ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ اعتكف العُشْرَ الأَوَّلَ من رمضانَ، ثم اعتكف العُشْرَ الأوسطَ ثم قال: «**إِنِّي أَعْتَكِفُ العُشْرَ الأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثم أَعْتَكِفُ العُشْرَ الأَوسَط، فَقِيلَ لي: إِنَّهَا في العُشْرِ الأَواخِرِ فَمَنْ أحبَّ أن يعتكفَ فلْيعْتكِفْ**».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ يعتكفُ العَشْرَ الأواخرَ من رمضانَ حتى توفاه الله عزَّ وجلَّ ثم اعتكف أزواجُه من بعده.

أيها الناس؛ تقدم أن النبي ﷺ كان يعتكف في المسجد وخاصة في العَشرِ الأواخر وكذلك اعتكف أصحابُه معه ومن بعده، وكذلك نساؤه من بعده .

والاعتكاف -شرعًا-: هو الإقامةُ في المسجد بنية التَّقَرُّبِ إلى الله ـ عزَّ وجلَّ. وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع:

فأما الكتاب: فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧].

وأما السنة: ففي «الصحيحين»[٣] من حديث عائشة -رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ كان يعتكف العَشْرَ الأواخرَ من رمضانَ حتَّى توفَّاه اللهُ، ثم اعتكف أزواجُه من بعدِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩)، ومسلم (١١٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).
(٣) رواه البخاري (٦٦٩)، ومسلم (١١٦٧).

وأما الإجماع: فقد قال ابن المنذر في كتابه «الإجماع»: «وأجمعوا على أن الاعتكاف جائز»[١].

والاعتكاف أيها الناس سنة مستحبة في حق الرجال والنساء سواء، وهو واجب بالنذر:

قال النووي -رحمه الله-: «قد أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب»[٢].

وقال أيضًا: الاعتكاف سنة بالإجماع، ولا يجب إلا بالنذر بالإجماع»[٣].

والاعتكاف _ أيها الناس _ يجوز في سائر أيام السنة، وهو في رمضان آكدُ، وفي العُشْرِ الأخير منه أفضلُ.

لما في «الصحيحين»[٤] من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ يعتكفُ في العَشْرِ الأواخر من رمضانَ، فكنت أضرب له خباءً فيصلِّي الصبحَ ثم يَدخلُه، فاستأذنتْ حفصةُ عائشةَ أن تضرب خباءً، فأذنتْ لها فضربتْ خباءً، فلما رأتْه زينبُ بنتُ جحشٍ ضربت خباءً آخرَ، فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبيةَ، فقال: «ما هذا؟» فأخبر، فقال النبيُ ﷺ: «آلبِرَّ تَرَوْنَ بِهِنَّ؟» فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشرًا من شوال.

ويُبدأ وقتُ الاعتكاف:

من بعد صلاة الفجر؛ لما في «الصحيحين»[٥] من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضانَ، فإذا صلى الغداةَ دخل مكانَه الذي

---

(١) الإجماع (١٣٦).
(٢) شرحه على مسلم (٨/ ٩٥).
(٣) المجموع (٦ / ٥٠١).
(٤) رواه البخاري (٢٠٣٣)، ومسلم (١١٧٢).
(٥) رواه البخاري (٢٠٤١)، ومسلم (١١٧٢).

اعتكفَ فيه».

وبوب له النووي -رحمه الله- «باب: متى يدخلُ من أرادَ الاعتكافَ في مُعْتَكَفِه»[1].

وأما وقتُ خروج المعتكِف من معتكَفه:

فصبيحةَ يومِ العيدِ؛ لما في «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: اعتكفْنا مع رسول الله ﷺ العشْرَ الأوسطَ، فلما كان صبيحةُ عشرين نقلْنا متاعَنا.

قال الحافظ: (اُستُدِلَّ بهذا على أن مبدأَ الاعتكافِ من أولِ النهارِ).

وللاعتكاف- أيها الناس- شروط:

وشروطه ما ذكرته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[3] عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: السُنَّةُ على المعتكِف ألا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة، ولا يَمَسُّ امرأةً، ولا يباشرُها، ولا يخرجُ لحاجةٍ إلَّا لما لابدَّ منه، ولا اعتكافَ إلا بصومٍ، ولا اعتكافَ إلا في مسجد جامع.

فقولها: (لا يعود مريضًا):

أي لا يزوره، ولكن للمعتكف أن يسأل عن المريض؛ لما في «الموطأ» بسندٍ صحيح[4] من حديث عَمْرَةَ بنت عبدالرحمن أن عائشة -رضي الله عنها- كانت إذا اعتكفت لا تسأل عن المريض إلا وهي تمشي لا تقف.

---

(١) شرحه على مسلم (٨ / ٩٨).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤٠).
(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح أبي داود»(٢١٦٠).
(٤) الموطأ (١ / ٣١٢).

وقولها: (لا يمس المرأة ولا يباشرها):

وذلك لأن الوطء في الاعتكاف محرم بالإجماع؛ لقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧].

وكذلك يحرم على المعتكف أن يُقبِّل زوجته بإجماع العلماء.

قال ابن عبدالبر -رحمه الله-:

«أجمع العلماء أن المعتكف لا يباشر ولا يُقبِّل».

وأمَّا إذا وقع المعتكف على امرأته فإن اعتكافه فسد ويستأنف[1].

وقولها: «ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد منه»: والحاجة التي لابد منها هي: الطعام والشراب إذا لم يجد من يحضرهما له، وكذلك البول والغائط، وكذلك غسل الجنابة والجمعة، وكذلك إقلاب الزوجة وغيرها.

قال الإمام ابن العربي -رحمه الله-:

(رُخِّصَ للمعتكف في حاجةِ الإنسان للضرورة الداعية وبقيَ سائرُ أفعال الاعتكاف كلُّها على أصل المنع).

وقولها: « ولا اعتكاف إلا بصوم» :

قال ابن حجر -رحمه الله-:

«ولم يُنقل عن النبي ﷺ أنه اعتكف مفطرًا قطُّ، ولم يَذكرِ اللهُ سبحانه الاعتكافَ إلا مع الصوم، ولا فعله رسولُ الله ﷺ إلا مع الصوم، فالقول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف: أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ

(١) التمهيد (٨/ ٣٢).

الإسلام أبو العباس ابن تيمية»[١].

وقولها -رضي الله عنها-: «**ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع**» قولها إنما هو عام في أي مسجد، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم.

أيها الناس: ذلك بعضُ هَدْيِ النبي ﷺ في العشر الأواخر، فلا يفوتكم ذلك الخير، بل لعل بعضنا قد لا يدركه رمضانُ القادم.

والموت غيب ولا يدري أحدنا متى الموعد.

وأستغفر الله.

---

(١) فتح الباري (٤ / ٣٢٢).



الخطبة الثانية

ليلة القدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس: تقدم الحديث معكم عن بعض هَدي النبي ﷺ في العَشر الأواخر من رمضان، وحديثي معكم الآن عن ليلة القدر التي شرفها الله على غيرها، ومَنَّ على هذه الأمةِ بجزيل فضلها، وعظيمِ خيرها، وعميم بركتها.

ومن بركتها أن هذا القرآن العظيم أنزل فيها:

قال الله -سبحانه وتعالى-:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر:١ ـ ٥].

والقدر: بمعنى الشرف والتعظيم، أو بمعنى التقدير والقضاء، لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يقدر الله فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر، ولذلك كان من قامها إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: عبادٌ من عباد الله قائمون بعبادته ليلاً ونهارًا: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩، ٢٠]، يتنزلون في ليلة القدر إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة.

و ﴿ٱلرُّوحُ﴾: هو جبريل -عليه السلام-، خصه بالذكر لشرفه وفضله.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾: يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مَخُوفٍ. لكثير من يُعتق فيها من النار، ويَسلم من عذابها.

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: يعني أن ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر؛ لانتهاء عمل الليل به[1].

وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الدخان:٣ ـ ٨] وصفها الله -سبحانه وتعالى- بأنها مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها، ومن بركتها أن هذا القرآن العظيم أُنزل فيها.

ووصفها -سبحانه وتعالى-: «بأنه يفرق كل أمر حكيم؛ يعني: يُفصَلُ من اللوح المحفوظ إلى الكَتَبَةِ ما هو كائن من أمر الله -سبحانه وتعالى- في تلك السنة من الأرزاق والآجال، والخير والشرِّ، وغير ذلك من كل أمرٍ حكيم من أوامر الله المحكمة المتقنة التي ليس فيها خَلَلٌ ولا نقصٌ ولا شفَةٌ ولا باطلٌ، ذلك تقدير العزيز العليم»[2].

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه».

---

(١) مجالس شهر رمضان لابن عثيمين (ص١٢٩).
(٢) المرجع السابق (ص١٢٩).
(٣) رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

وليلة القدر أيها الناس تكون في العشر الأواخر من رمضان ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**».

وتكون في الأوتار من العشر الأواخر بالذات أي ليالي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، ففي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «**الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى**».

وهي في السبع الأواخر أرجى: ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أُرُوا ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ** (يعني اتفقت) **فِي سَبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ**».

وأَرْجَى ما تكون ليلة القدر في ليلة سبع وعشرين.

ففي «صحيح مسلم»، و«مسند أحمد»، و«سنن أبي داود»[(٤)]، من حديث أبي بن كعب، ومعاوية أن النبي ﷺ قال: «**لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**».

أيها الناس: قد ذكر أهل العلم أن ليلة القدر تكون في وتر العشر الأواخر وأنها تنتقل

---

(١) رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).
(٢) رواه البخاري (٢٠٢١).
(٣) رواه البخاري (١١٥٨)، ومسلم (١١٦٥).
(٤) رواه مسلم (٧٦٢)، وأحمد (٥ / ١٣٢) عن أبي بن كعب موقوفًا، وأبو داود (١٣٨٦).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «أرجح الأقوال أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل».

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-: «ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام بل تنتقل فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلاً، وفي عام آخر ليلة خمسٍ وعشرين، تبعًا لمشيئة الله وحكمته ويدُلُّ على ذلك قوله ﷺ: «**الْتَمِسُوهَا فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى**»[1].

أيها الناس: علينا أن نجتهد في تلك الأيام الفاضلة بالعبادة؛ كالصلاة، وقراءة القرآن، والإكثار من الدعاء ولاسيما الدعاء الذي علمه النبي ﷺ عائشة؛ ففي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح -صححه الألباني- في «صحيح سنن ابن ماجه» من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلتُ: يا رسول الله: أرأيت إن علمت أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر، ما أقول؟ قال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[2].

---

(١) رواه البخاري (٢٠٢١).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٥٠).



الخطبة الأولى

٥. الحجُّ والعُمرة



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن الحجِّ أحدِ أركانِ الإسلامِ، ومبانيه العِظامِ، فهو الركنُ الخامسُ من أركانِ الإسلامِ، فهو ختامُ الأمرِ، وتمامُ الإسلامِ، وكمالُ الدِّينِ.

ومن أنكر فرضيَّةَ الحجِّ، فهو كافرٌ مرتدٌّ عن الإسلام، إلا أن يكون جاهلاً بذلك، كحديث عهدٍ بإسلامٍ، أو ناشئٍ في باديةٍ بعيدةٍ، لا يعرفُ من أحكام

الإسلام شيئًا، فهذا يُعذرُ بجهله، ويُعرفُ ويُبيَّنُ له الحكمُ، فإن أَصرَّ على إنكاره فهو كافرٌ، وأمَّا مَنْ تركه تهاونًا مع اعترافه بفرضيَّتِه فهذا لا يُكفَّرُ، ولكنه على خطرٍ عظيمٍ، وقد قال بعض أهل العلم بكفرِه.

وأمَّا العُمرةُ فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها واجبةٌ، لكنَّ وُجوبَها أدنى من وجُوب الحج[١].

والحجُّ لا يجب إلا مرَّةً واحدةً في العُمرِ، وكذلك العُمرةُ.

ومن أدلَّة فرضيَّة الحجِّ - أيها الناس - ما يأتي:

قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: **«بُني الإسلام على خَمْسٍ: شهادة أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والحجِّ، وصوم رَمَضَانَ»**.

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسولُ الله - ﷺ - فقال: **«أيها الناسُ، قدْ فَرَضَ اللهُ عليكمُ الحَجَّ؛ فحُجُّوا»**.

فقال رجلٌ: أكلَّ عامٍ يا رسولَ الله. فسكتَ حتى قالها ثلاثًا. فقال رسول الله - ﷺ -: **«لو قلتُ: نعم لوجَبَتْ، ولما استطعتم»**.

ثمَّ قال: **«ذروني ما تركْتُكُم، فإنما هلكَ منْ كان قَبْلَكُم بكَثْرةِ سُؤالِهم، واختلافهم**

---

(١) انظر «دروس وفتاوى في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص١٦٤) بتصرُّفٍ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، واللفظ له.

على أنبيائهم، فإذا أمرتُكم بشيءٍ، فأتوا منه ما استطعتم، وإن نهيتُكم عن شيءٍ فَدَعُوهُ».

وفضائل الحجِّ ـ أيها الناس ـ لا تكاد تُحْصرُ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سُئِلَ رسول الله ـ ﷺ ـ: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «**إيمانٌ باللهِ ورسولهِ**».

قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «**حجٌّ مَبْرورٌ**».

والحَجُّ المَبْرور ـ أيها الناس ـ: هو الذي لا يرتكب صاحبُهُ فيه معصيةً.

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**مَنْ حجَّ، فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُقْ، رَجَعَ من ذُنُوبِهِ كيومِ ولدتْهُ أُمُّهُ**».

والرَّفَثُ ـ أيّها الناس ـ: كلمةٌ جامعةٌ لكُلِّ ما يريدُهُ الرجلُ من المرأة.

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «**العُمرةُ إلى العُمرةِ كفّارةٌ لما بَيْنَهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنةُ**».

وفي «صحيح البخاري»[4] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، ألا نغزوا أو نُجَاهدُ معكم؟ قال: «**لَكِنْ أحسنُ الجِهَادِ وأَجْمَلُهُ الحَجُّ، حَجٌّ مبرورٌ**» قالت عائشةُ: فلا أدعُ الحَجَّ بَعْدَ إذ سمعتُ هذا من رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ.

وفي «صحيح مسلم»[5] من حديث عَمْرِو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيتُ النبيَّ ـ ﷺ ـ فقلتُ: ابسُطْ يَمينَكَ فلأُبايِعُكَ. فبسط يمينَهُ، فقبضتُ يدي، فقال:

---

(١) رواه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).

(٢) رواه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).

(٣) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٤) رواه البخاري (١٨٦١).

(٥) رواه مسلم (١٢١).

«ما لك يا عمرو؟». قلتُ: أردتُ أنْ أشترطَ. قال: «تشترطُ بماذا؟». قلتُ: أن يُغفرَ لي. قال: «أَمَا علمتَ أنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ، وأنَّ الهجْرةَ تَهْدِمُ ما كان قَبْلَها، وأنَّ الحجَّ يَهْدِمُ ما كان قَبْلهُ؟!».

وروىٰ الطبراني في «جامعه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[١] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أمَّا خُروجك من بيتكَ تؤمُّ البيتَ الحرامَ، فإنَّ لك بُكلِّ وطأة تَطَؤُها راحِلتُكَ، يكتُبُ اللهُ لك بها حسنةً، ويمحو عنك بها سيِّئةً.

وأمَّا وُقُوفُك بَعرفةَ، فإنَّ اللهَ ـ عز وجل ـ ينزلُ إلى السماء الدُّنيا، فيُباهي بهمُ الملائكةَ فيقولُ: هؤلاء عبادي، جاءُوني شُعْثًا غُبْرًا، مِنْ كُلِّ فجٍّ عميقٍ، يَرْجُونَ رحمتي، ويَخافون عذابي، ولم يَرَوْني، فكيف لو رَأَوْني؟!

فلو كان عليك مثْلُ رَمْلِ عَالجٍ (أي: ما تراكم من الرَّمْلِ، ودخلَ بعضُه في بعضٍ) أو مثلُ أيَّامِ الدُّنيا، أو مثْلُ قطرِ السماء ذُنوبًا ـ غسلَها اللهُ عنك.

وأمَّا رمْيُكَ الجمارَ، فإنَّه مَدْخُورٌ لك.

وأمَّا حَلْقُكَ رأسكَ، فإنَّ لك بكُلِّ شعرةٍ تسقطُ حسنةً، فإذا طُفْتَ بالبيتِ خَرَجتَ من ذُنُوبكَ كيومٍ ولدتْكَ أُمُّكَ».

ومن فضائل الحجِّ ـ أيها الناس ـ أنَّه طريقُ الغنى، وأَمانٌ من الفقرِ:

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ حسنٍ صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن الترمذيِّ»[٢] من حديث عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «تابعوا بيْنَ الحَجِّ والعُمرة؛ فإنهمُا يَنْفيانِ الفَقْر، والذُّنُوبَ، كما يَنْفي الكيرُ خَبَثَ

---

(١) رواه الطبراني في «جامعه» (٥٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦٠).

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٨١٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٦٥٠).

الحديدِ، والذهب والفضةِ، وليس للحَجَّةِ المَبْرورة ثوابٌ إلاَّ الجَنَّةُ».

وفي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ حَجَّ، فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُق غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وللحجِّ ـ أيها الناس ـ شروطٌ، فمنها:

أولاً ـ الإسلام، فلا يصحُّ الحجُّ من كافرٍ.

ثانيًا ـ البُلُوغُ، فلا يجبُ الحجُّ على الصبيِّ.

ثالثًا ـ العقلُ، فلا يجبُ الحجُّ على مجنونٍ.

رابعًا ـ الحُرِيَّةُ، فلا يجب الحج على العبدِ.

خامسًا ـ الاستطاعة لقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

وللحجِّ ـ أيها الناس ـ أربعةُ أركانٍ، وهي:

أولاً ـ الإحرام: وهو نيّةُ الدُّخولِ في النُّسُكِ.

ثانيًا ـ الوُقُوفُ بعرفَةَ.

ثالثًا ـ طوافُ الإفاضة.

رابعًا ـ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفا والمَروةِ.

ومَن ترك شيئًا من هذه الأركانِ، لم يصحَّ حجُّه، حتَّى يأتيَ به.

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٨١٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٦٥١).

وواجبات الحجِّ - أيها الناس - سبعةٌ، وهي:

أولاً - الإحرامُ من الميقاتِ.

ثانيًا - الوقوفُ بعَرفةَ إلىٰ اللَّيل.

ثالثًا - المبيتُ بمُزْدَلِفةَ ليلةَ النَّحْرِ.

رابعًا - المبيتُ بمنىً أيَّامَ التشريق.

خامسًا - رَمْيُ الجِمارِ.

سادسًا - الحلقُ أو التقصير.

سابعًا - طواف الوداع.

ومن ترك واجبًا من هذه الواجبات، فعليه بَدَلَهُ فِديةٌ، يذبحها في مكَّةَ، ويُوزِّعُها علىٰ مساكين الحرمِ، ولا يأكل منها شيئًا.

وأيَّام الحجِّ - أيها الناس - نُجملُها فيما يأتي:

أولاً - يومُ الثامن من ذي الحجَّة، ويُسمَّىٰ يومَ التَّروِيَةِ.

يُستحبُّ له أن يغتسل، ويتطيبَ، ويلبسَ الإحرامَ، فيُحرم بالحجِّ، ويشترط إن كان خائفًا، ويبيت بمنىٰ ليلةَ التاسع، ويُكْثر من التلبية، ويَقْصُر الصلاةَ الرُّباعيَّة.

ثانيًا - اليومُ التاسعُ،ويُسمّى يومَ عَرَفَةَ.

يسيرُ إليها بعد طُلوعِ الشمس، ويُصلِّي الظُّهْرَ والعَصر جَمْعًا وقصْرًا (جَمعَ تقديمٍ)، ويجتهدُ في الدعاء وقول: لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريك لهُ، له المُلكُ، وله الحمد، وهو علىٰ كُلِّ شيءٍ قدير.

ثالثًا - ليلةُ مُزْدَلِفَةَ (ليلةُ العِيد).

يدفعُ إليها بعد مغيب الشمسِ بسكينةٍ ووقارٍ، ويصلِّي بها المغرب والعشاء - متىٰ وصلَ - جمعًا بأذانٍ واحدٍ وإقامتين، قبلَ حطِّ رحالِه، وينام، ولا ينشغل بصلاةٍ سوىٰ الوِتْر، ويبقىٰ ويُصلي الفجر بها، ويقصدُ المَشعَرَ الحرامَ إن تيسَّر، ويدعو اللهَ حتىٰ يُسْفِرَ جدًّا.

رابعًا ـ يومُ العيد:

يُكثرُ من التلبية، حتىٰ يرميَ جَمْرَةَ العَقَبةِ بسبعِ حصياتٍ، فيقطعُها، ويُكبِّرُ اللهَ مع كلِّ حصاةٍ، ويذبحُ هَدْيَهُ في هذا اليومِ، ويحلقُ شعرهُ أو يُقصِّرُهُ، والحَلْقُ أفضل لغيرِ النساءِ، بلِ المرأةُ تُقصِّرُ قدرَ أنملةٍ من كُلِّ ضفيرةٍ، ويطوفُ ويسعىٰ حسب النسكِ، ويخلعُ إحرامَهُ بالتحلُّلِ الأوَّلِ.

خامسًا ـ أيام التشريق:

يرمي الجمراتِ الثلاثَ بعد الزَّوال، يبدأُ بالصُّغرىٰ، ثمَّ الوسطىٰ، ثمَّ العقبةِ الكُبرىٰ بسبع حصياتٍ لكُل جَمرةٍ، يُكبِّرُ عند كلِّ حصاةٍ، ويُسنُّ له بَعدَ الرَّمي عند الصغرىٰ والوسطىٰ أن يدعُوَ عندَهما طويلاً حسب اللَّوحاتِ الإرشاديَّةِ هناك، رافعًا يَدَيْه، ويبيتُ بمنىً هناك وجوبًا؛ ليختمَ آخرَ أعمالِ الحجِّ بطوافِ الوداع، وبذلك يتمُّ حجُّه.

وأستغفر الله.



الخطبة الثانية

العُمرة



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عن الحجِّ، والآنَ حديثي معكم عن العُمرةِ.

والعُمرةُ ـ أيها الناسُ ـ واجبةٌ على الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلة، منها: أنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ قَرَنَ بينَ الحجِّ والعُمرةِ بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وفي «صحيح البخاريِّ» مُعلَّقًا[1] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «إنَّها لقرينتها في كتاب الله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾».

وأخرج البخاري ـ أيضًا ـ مُعلَّقًا[2] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «ليس أحدٌ إلا وعليه حَجَّةٌ وعُمْرةٌ».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»[3]، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: يا رسولَ الله، هل علىٰ النساء من جهادٍ؟ قال: «**عليهِنَّ جهادٌ لا قتالَ فيه: الحجُّ والعُمرةُ**».

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٥٩٧ ـ الفتح)، ووصله الشافعي كما قال ابن حجر.

(٢) رواه البخاري بصيغة الجزم (٣/ ٥٩٧ ـ الفتح)، ووصله ابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم، كما قال ابن حجر.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٦٥)، وقال الألباني في «الإرواء» (٤/ ١٥١): إسنادهُ صحيح.

قال ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**عليهنَّ جهادٌ لا قتالَ فيه**»: «وإعلامُهُ أنَّ الجهادَ الذي عليهنَّ الحجُّ والعُمرة بيانُ أنَّ العُمرةَ واجبةٌ كالحجِّ؛ إذ ظاهر قوله: «عليهنَّ» أنَّه واجبٌ، إذ غيرُ جائزٍ أنْ يُقال: على المرءِ ما هو تطوُّعٌ غير واجب»[1].

وأخرج الإمام أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] من حديث الصُّبَيِّ بْنِ مَعْبَدٍ قال: «أتيت عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إني أسلمتُ، وأنا حريصٌ على الجهاد، وإني وجدتُ الحجَّ والعُمرة مكتوبَيْنِ عليَّ، فأتيت رجلاً من قومي، فقال: اجمعهما واذبح ما استيسر من الهَدْيِ، وإنِّي أهللتُ بهما معًا. فقال عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ: هُديتَ لسُنَّةِ نبيِّك ـ ﷺ ـ».

وأخرج البخاري[3] من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**أتاني الليلةَ آتٍ منْ ربِّي ـ وهو بالعقِيقِ ـ: أنْ صلِّ في هذا الوادي المُبارك، وقُل: عُمْرةٌ في حَجَّةٍ**».

قال النووي ـ رحمه الله ـ[4]: «وهي واجبةٌ على المذهب الصحيح، ولا تجبُ هي ولا الحجُّ في العُمر إلا مرَّةً واحدةً».

وفضائل العمرة ـ أيها الناس ـ كثيرةٌ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[5] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «**العُمرةُ إلى العُمرةِ كفَّارةٌ لِمَا بَيْنَهُما، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنَّةُ**».

---

(١) انظر «صفة العمرة» لأشرف بن عبد المقصود (ص١٤).
(٢) رواه أبو داود (١٧٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٥٨٢).
(٣) رواه البخاري (٧٣٤٣).
(٤) «الإيجاز في المناسك» (ص٤٠).
(٥) تقدَّم تخريجه.

وفي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[١] من حديث عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: **«تابعُوا بَيْنَ الحجِّ والعُمْرة؛ فإنَّ المتابعة بيْنَهُما تَنفي الفَقْرَ والذُّنوبَ، كما ينفي الكِيرُ خَبَثَ الحديد»**.

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«عُمْرةٌ في رمضان تَعْدِلُ حَجَّةً معي»**.

قال الإمام ابن الأعرابيِّ - رحمه الله -: «حديث العُمرة هذا صحيح، وهو فضلٌ من الله ونعمةٌ، فقد أَدْرَكَتِ العُمرةُ منزلةَ الحجِّ بانضمام رَمَضَانَ إليها»[٣].

والمُعتمرُ - أيها الناس - منْ وَفْدِ الله - سبحانه وتعالى -:

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[٤] من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبيِّ - ﷺ - قال: **«الغازي في سبيل الله - عزَّ وجلَّ -، والحاجُّ، والمُعْتَمِرُ وَفْدُ الله، دَعَاهم فأَجَابُوهُ، وسألُوهُ فأعطَاهُم»**.

اللهمَّ اغفر لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسررنا وما أعلنَّا، وما أنت أعلمُ به منَّا، إنك أنت المُقدِّمُ والمُوخِّرُ، لا إله إلا أنت.

---

(١) أخرجه ابن ماجَهْ في «سننه» (٢٨٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٢٣٣٤).

(٢) رواه البخاري (١٧٧٢)، ومسلم (١٢٥٦).

(٣) نقله عنه ابن ماجَهْ في «سننه» (٣/ ٦٨).

(٤) رواه ابن ماجَهْ في «سننه» (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٢٣٣٩).

أركـــان الإيمـــان



الخطبة الأولى

١. الإيمانُ بالله



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّـا بعـدُ، أيها الناسُ، حديثي معكم حول أصلٍ من أصولِ الإيمان، بل أصلُ الأصول، والطريقُ للوصول، ألا وهو الإيمان بالله.

والإيمانُ بالله ـ أيها الناسُ ـ يتضمَّنُ أربعة أمورٍ:

١ ـ الإيمان بوجود الله.

٢ـ الإيمان بربوبيَّتِهِ.
٣ ـ الإيمان بألوهيته.
٤ ـ الإيمان بأسمائه وصفاته.

الأول ـ الإيمان بوجود الله:

وقد دلَّ على وجُوده ـ سبحانه وتعالى ـ الفِطْرةُ، والعَقْلُ، والشَّرعُ، والحِسُّ.

أمَّا الفطرةُ: فإن كلَّ مخلوقٍ قد فُطِرَ علىٰ الإيمان بخالقِهِ،

ففي «صحيح البخاري»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ما مِنْ مولودٍ إلاَّ ويُولَدُ على الفِطرةِ، فأَبَواهُ يُهَوِّدانِه، أو يُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسَانه».

وأمَّا العقلُ: فإنَّ هذه المخلوقاتِ ـ سابقها ولاحقها ـ لابُدَّ لها من خالقٍ أوجدها؛ إذ لا يُمكنُ أن توجِدَ نَفْسَها بنفسها.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

يعني: أنهم لم يُخلقوا من غير خالقٍ، ولا هم الذين خَلَقُوا أنفسهم، فتعيَّن أن يكونَ خالقُهم هو اللهَ(*) ـ سبحانه وتعالىٰ ـ(٢).

وفي «صحيح البخاري»(٣) من حديث جُبَيْر بن مُطْعِمٍ ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقرأ سُورةَ الطور، فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٥).

(٢) «شرح أصول الإيمان» (ص١٥، ١٦).

(٣) رواه البخاري (٤٨٥٤).

(*) يجوز في لفظ الجلالة في الجملة السابقة الأمران: النصب والرفع والنصب أحسن فالنصب باعتبار ضمير الفصل (هو) حَرْفًا أو اسمًا مُهْملاً (أي: لا يعمل ولا محلَّ له من الإعراب) فلفظ الجلالة بعده خبر للفعل الناسخ (يكون) والرفع باعتبار ضمير الفصل مبتدأ مبنيًا علىٰ الفتح في محلِّ رفعٍ وخبره لفظ الجلالة، والجملة من المبتدأ والخبر في محلِّ نصب خبرٍ لـ (يكون).

رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]. وكان جُبيرٌ يومَئذ مشركًا، قال: «كاد قلبي أن يطيرَ، وذلك أولُ ما وقر الإيمانُ في قلبي».

وأمَّا أدلة الشرع على وجود الله: فإنَّ الكُتب السماوية كُلها تنطقُ بذلك.

وأمَّا أدلة الحِسِّ: فذلك واضحٌ من إجابة الداعين، وغوثِ المكروبين، ما يدلُّ دلالةً قاطعةً على وجود الله -سبحانه وتعالى-، ومن ذلك مُعجزات الأنبياء التي شاهدها الناسُ، ونُقِلَتْ إلينا نقلاً صحيحًا.

الثاني - الإيمان بربوبيته - سبحانه وتعالى -: أي أنه وَحْدَهُ الربُّ لا شريكَ له ولا مُعِينَ، والرَّبُّ: مَنْ له الخلقُ، والمُلكُ، والأمرُ، فلا خالقَ إلاَّ اللهُ، ولا مَلِكَ إلاَّ هو، ولا أَمْرَ إلاَّ له.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

أيها الناس، إنَّ ربوبيةَ اللهِ لخلقِهِ **على نوعين:**

النـوعُ الأولُ - ربوبية عامَّة، شاملة لجميع المخلوقات، وهي أنَّ الله -سبحانه وتعالى- هو المتفرِّدُ بخلقِها، ورزقِها، وتدبيرها.

النوع الثاني - ربوبية خاصَّة، وهي خاصَّة بأولياء اللهِ وأصفيائِهِ، وهي تربيته لهم بهدايتهم للدِّين والإيمانِ.

قال ابن سَعْدِيٍّ - رحمه الله - في تفسيره:

«وتربيتُهُ -تعالى- لخلقه نوعان: عامَّةٌ وخاصَّةٌ.

فالعامَّة: هي خَلْقُهُ للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتُهم لما فيه مصالحُهم، التي فيها بقاؤُهم في الدُّنيا.

والخاصَّةُ: تربيتُهُ لأوليائِهِ، فيربّيهم بالإيمان، ويُوفِّقُهم له، ويُكمِّلُهُ لهم، ويدفعُ عنهمُ الصَّوارفَ والعوائق الحائلة بينهم وبينهُ.

وحقيقتُها: تربيةُ التوفيق لكُلِّ خيرٍ، والعِصمةِ من كُلِّ شرٍّ.

ولعلَّ هذا المعنى هو السرُّ في كونِ أكثرِ أدعيةِ الأنبياء بلفظ الربِّ، فإنَّ مطالبَهُم كُلُّها داخلةٌ تحت ربوبيَّتِهِ الخاصَّةِ»[١].

أيها الناسُ، هنا سؤال يفرضُ نفسهُ هو:

هل توحيدُ الرُّبوبية يكفي العبد في حصول الإسلام؟

الجواب: لا، فهذا التوحيدُ لا يكفي العَبدَ في حصول الإسلام، بلْ لابُدَّ أنْ يأتي مع ذلك بلازمهِ من توحيد الألوهيَّة؛ لأنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر في كتابه الكريم عن المشركين أنهم مُقرُّون بهذا التوحيد وحدهُ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

ومع هذا كلِّه من إقرار المشركين بأنَّ الله هو الخالقُ الرزاق المُدبِّرُ، لم ينفعهم

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٣٩).

ذلك، ولم يُدخلهم في الإسلام؛ لأنَّهم اتخذوا من دون الله آلهةً أُخرىٰ، وزعَموا أنَّها تُقرِّبهم إلىٰ الله زُلفىٰ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾** [الزمر: ٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: **﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾** [يونس: ١٨]

فتبيَّن لكم ـ أيها الناس ـ أنَّ الكفار يعرفون اللهَ ويعرفون رُبوبيَّتَهُ، ويعرفون مُلكَهُ ويعرفون قَهْرَهُ، ولم تُدخِلْهُم تلك المعرفةُ في الإسلام.

أيها الناس، لابُدَّ أنَّكم قد عرفتُم توحيد الربوبيَّةِ، وأنَّه لا يكفي العبدَ في حصول الإسلام؛ لأنَّه لابد أنْ يأتيَ بلازمِهِ، وهو توحيد الأُلوهيةِ.

وفيما يأتي الحديث عن توحيد الألوهية:

وتوحيد الأُلوهية ـ أيها الناس ـ هو إفراد الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالعبادة كُلِّها، فلا يُعبَدُ غيرُهُ، ولا يُدْعَىٰ سِواهُ، ولا يُستغاثُ ولا يُستعانُ إلا به، ولا يُنْذَرُ ولا يُنْحَرُ إلا له.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: **﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

أيها الناسُ، إنَّ توحيد الأُلوهيَّةِ هوالذي أنكره المُشركون، واستعظموه؛ لأن مِنْ لوازمه بُطلان عبادةِ آلهتهم ووسائطهم.

فهو أوَّل الدين وآخرهُ، وباطنهُ وظاهرهُ، وهو أوَّلُ دعوةِ الرُّسل وآخرها، وهومعنىٰ قوله: لا إله إلاَّ اللهُ؛ ولأجل هذا التوحيد خُلقتِ الخليقةُ، وأُرسلتِ

الرسلُ، وأُنزلتِ الكتبُ، وفيه افترق الناسُ إلىٰ مؤمنين وكفَّارٍ، وسُعداءَ أهل جنَّةٍ وأشقياءَ أهل النار[1].

وأدلة توحيد الألوهية كثيرةٌ، لا تكاد تُحصرُ، منها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

«وكُلُّ ما اتُّخذَ إلهًا مع الله، يُعبدُ من دونه، فألوهيَّتُهُ باطلةٌ. قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وتسميتُها آلهةً لا يُعطيها حقَّ الأُلُوهيَّة. قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في اللاَّتِ، والعُزَّىٰ، ومَنَاةَ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣]. وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عن يُوسُفَ أنه قال لصاحبي السِّجنِ: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

ولذلك كانت الرسلُ ـ عليهم السلام ـ يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]. ولكن أبىٰ ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهةً، يعبدونهم مع الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ويَستنصرون بهم، ويستغيثون.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٦).

وقد أبطل اللهُ - سبحانه وتعالى - اتِّخاذ المُشركين هذه الألهة ببرهانين عَقليَّين:

الأول - أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيءٌ من خصائص الأُلوهية، فهي مخلوقةٌ، لا تَخْلُقُ، ولا تجلبُ نَفْعًا لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملِكُ لهم حياةً ولا موتًا، ولا يملكون شيئًا من السموات، ولا يُشاركون فيه.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإنَّ اتِّخاذها آلهة من أَسْفَهِ السَّفَهِ، وأبطل الباطل.

والثاني - أنَّ هؤلاء المُشركين كانوا يُقِرُّون بأنَّ اللهَ - تعالىٰ - وَحْدَهُ الربُّ الخالق الذي بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه، وهذا يستلزمُ أنْ يُوحِّدوه بالأُلوهية، كما وحَّدوه بالرُّبوبية، كما قال تعالىٰ -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقال الله تعالى ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١ـ٣٢]»[1].

وأستغفر الله.

---

(١) «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (٢١، ٢٣).




الخطبة الثانية

الإيمان بأسماء الله وصفاته

الحمد لله ربِّ العالمين، وأُصلي وأُسلم علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد، أيها الناسُ، تقدَّم الحديث معكم عن الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيَّتِهِ، والإيمانِ بأُلوهيَّتِهِ، والآن حديثي معكم حولَ الإيمانِ بأسمائِهِ وصفاتِهِ.

أيها الناسُ، إنَّ الإيمان بأسماء الله وصفاته: هو إثباتُ ما أثبتَهُ اللهُ لنفسه في كتابه، وسنَّةِ رسوله ـ ﷺ ـ من الأسماء والصفاتِ علىٰ الوجهِ اللائقِ به، من غير تحريفٍ (أي: تفسير النصوص بالمعاني الباطلة)، ولا تعطيلٍ (أي نفيٍ للمعنىٰ الحقِّ الذي دلَّ عليه الكتاب والسنَّةُ)، ولا تكييفٍ (أي: أنْ يُعتقدَ أنَّ صفة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ كيفية كذا، أو يُسْألَ عنها بكيف؟)، ولا تمثيلٍ (أي: اعتقاد أنَّ صفات الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ مثلُ صفات المخلوقين).

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابن سَعديٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسيره هذه الآية: «هذا بيانٌ لعظيم جلاله، وسَعَة أوصافِهِ، بأنَّ له الأسماء الحسنىٰ: أي له كُلُّ اسم حسنٍ، وضابطُهُ: أنَّه كلُّ اسمٍ دالٍّ علىٰ صفة كمالٍ عظيمةٍ، وبذلك كانتْ حُسنىٰ، فإنَّها لو دلَّتْ علىٰ غير صفةٍ، بل كانتْ علمًا مَحْضًا، لم تكن حُسنىٰ، وكذلك لو دلتْ علىٰ صفةٍ ليستْ بصفة كمالٍ، بل إمَّا صفة نقصٍ، أو صفة منقسمة إلىٰ المدحِ والقدحِ لم تكن حسنىٰ،

فكلُّ اسمٍ من أسمائه دالٌّ على جميع الصِّفة التي اشتُقَّ منها، مُسْتغرقٌ لجميع معناها.

وذلك نحو «العليم» الدالِّ على أنَّ له عِلمًا مُحيطًا عامًّا لجميع الأشياء، فلا يخرجُ عن علمِه مثقالُ ذرَّةٍ في الأرض ولا في السماء.

وكـ «الرحيم» الدالِّ على أنَّ له رحمةً عظيمةً واسعةً لكُلِّ شيء.

وكـ «القدير» الدالِّ على أنَّ له قُدرةً عامَّةً، لا يُعجِزُها شيءٌ، ونحو ذلك.

ومن تمام كونِها «حُسنى» أنَّه لا يُدعى إلا بها؛ ولذلك قال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وهذا شاملٌ لدعاء العبادة، ودعاء المسألة؛ فيُدْعى في كلِّ مطلوبٍ بما يُناسِبُ ذلك المطلوب، فيقول الداعي - مثلاً -: اللهمَّ اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتُبْ عليَّ يا توَّابُ، وارزُقني يا رزَّاقُ، والْطُفْ بي يا لطيفُ، ونحو ذلك.

وقوله - تعالى -: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]:

أي عقوبةً وعذابًا على إلحادهم في أسمائه، وحقيقةُ الإلحاد: المَيلُ بها عمَّا جُعِلَتْ له: إمَّا بأنْ يُسمَّى بها مَنْ لا يستحقُّها - كتسمية المشركين بها لآلهتهم -، وإمَّا بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده اللهُ ولا رسولُهُ، وإمَّا أنْ يشبَّهَ بها غيرُها، فالواجب أن يُحذر الإلحادُ فيها، ويُحذَّرَ المُلحدون فيها»[1].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال ابن سعديٍّ - رحمه الله -: «أي: ليس يُشْبِهُه - تعالى - ولا يُماثله شيءٌ من

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٣٠٩).

مخلوقاته: لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأنَّ أسماءه كُلها حُسنىٰ، وصفاتَهُ صفاتُ كمالٍ وعَظَمةٍ، وأفعالهُ - تعالىٰ - أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيءٌ لانفراده وتوحُّده بالكمال من كُلِّ وجهٍ. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنُّن الحاجات ﴿الْبَصِيرُ﴾ يرىٰ دَبيبَ النَّملة السَّوداء، في اللَّيلة الظَّلْماء، علىٰ الصَّخرة الصمّاء، ويرىٰ سَرَيانَ القُوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدًا، وسَرَيانَ الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآيةُ - ونحوُها - دليلٌ لمذهب أهل السنَّة والجماعة في إثبات الصِّفات، ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها ردٌّ علىٰ المُشبِّهة في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وعلىٰ المُعطلة في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾»[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - أنه قال: «**إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا - مائةً إلا واحدًا - مَنْ أحْصاها دَخل الجنَّةَ**».

ومعنىٰ أحصاها - أيها الناس -: أي حفِظَها، وفَهِمَ معانيها ومدلولها، وأثنىٰ علىٰ الله بها، وسأله بها، واعتقدها.

والجنَّةُ - أيها الناسُ - لا يَدخلها إلا المؤمنون، فَعُلِمَ أنَّ ذلك أعظمُ يَنْبُوعٍ ومادَّةٍ لحصول الإيمان وقوته وثباته، ومعرفةُ الأسماء الحسنىٰ بمراتبها الثلاث: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاء الله بها دعاء الثناء والعبادة ودعاء المسألة - هي أصلُ الإيمان، والإيمانُ يرجعُ إليها؛ لأن معرفتها تتضمَّنُ أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيدَ الأُلوهية، وتوحيد الأسماء والصِّفات.

---

(١) المرجع السابق (ص٧٥٤).
(٢) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٠٦٣).

وهذه الأنواع هي روحُ الإيمان وأصلُهُ وغايتُهُ، فكلما ازداد العبدُ معرفةً بأسماء الله وصفاتِه ازداد إيمانهُ، وقَوِيَ يقينُهُ، فينبغي للمؤمنِ أن يَبْذُلَ مقدوره ومستطاعهُ في معرفة الله بأسمائه، وصفاتِه، وأفعالِه من غير تعطيلٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تحريفٍ، ولا تكييفٍ، بل تكونُ المعرفةُ مُتلقَّاةً من الكتاب والسُّنة، وما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ، فهذه هي المعرفةُ النافعةُ التي لا يزال صاحبها في زيادةٍ في إيمانِه وقوَّة يقينِه، وطُمَأْنينةٍ في أحواله، ومحبَّةٍ لربِّه، فمن عرفَ اللهَ بأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه أحبَّه لا مَحالةَ[1] .

فنسألُ اللهَ الذي لا إلهَ إلاَّ هو بأسمائه الحُسنىٰ، وصفاتِه العُلىٰ - أنْ يُفقِّهَنا في الدِّين، ويُثبِّتَنا علىٰ الحقِّ المبين، ويجعلنا هُداةً مهتدين.

---

(١) انظر «مدارج السالكين» (١٧١٣)، و«التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» لابن سَعْديٍّ (ص٣٩)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦٤)، و«شرح أسماء الله الحسنىٰ» للقحطانيِّ (٤، ٥).




الخطبة الأولى

٢. الإيمان بالملائكة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعد، أيها الناس، إنَّ الإيمانَ بالملائكةِ أصلٌ من أصول الإيمان، لا يتم إيمانُ العبد إلا به[1]

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ

(١) انظر «عالم الملائكة» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد أكثرتُ النقل عنه في هذه الخطبة.

آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديث جِبْريلَ الطويلِ، وفيه يقول النبيُّ - ﷺ - مُجيبًا لجبريلَ حِينَ سألهُ عن الإيمان: «أن تُؤمنَ بالله، وملائكته، وكُتُبِه، ورسُلِه، واليومِ الآخِرِ، وتُؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشرِّه».

والملائكةُ - أيها الناسُ - عالمٌ غَيْبيٌّ، مخلوقون عابدون لله - تعالىٰ -، وليس لهم من خصائص الرُّبوبيَّة والأُلوهية شيءٌ، خلقهمُ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - من نورٍ.

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: قال رسولُ الله - ﷺ -: «خُلِقَتِ الملائكةُ مِنْ نورٍ، وخُلِقَ الجانُّ من مارِجٍ من نارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لكُم».

أيها الناسُ، إنَّ مِن الإيمان بالملائكة الإيمانَ بما علِمنا من صفاتهم،

وفيما يأتي ذكرُ بَعضِ صفاتهم:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ - في ملائكة النَّار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وممَّا جاء في صفة جبريلَ:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩، ٢١]. والمُرادُ بالرسول الكريم هنا: جبريل، وذي العرش: ربُّ العزَّةِ والجلالِ.

---

(١) رواه البخاري (٥٠) و (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) و (١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٦).

وروىٰ الإمام أحمد بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[١] من حديث عبد الله بن مسعودٍ قال: «رأىٰ رسولُ الله ـ ﷺ ـ جبريلَ في صُورتِهِ، وله ستُّمائةِ جَنَاحٍ».

ومَّا جاء في وصفِ حَمَلةِ العَرْشِ:

روىٰ الإمام أبو داود بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «تخريج المشكاة»، و«السلسلة الصحيحة»[٢] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «**أُذِنَ لي أنْ أُحدِّثَ عن أحَدِ حَمَلَةِ العَرْشِ، ما بَيْنَ شَحمةِ أُذُنِهِ وعاتِقِهِ مَسيرةُ سَبْعِمائةِ عامٍ**».

وللملائكة أجنحةٌ، كما أخبرنا الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، فمنهم مَنْ له جَناحانِ، ومنهم من له ثلاثةٌ أو أربعة، ومنهم مَنْ له أكثرُ من ذلك.

قال اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: ١].

قال ابن سَعديٍّ ـ رحمه الله ـ في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**أُوْلِي أَجْنِحَةٍ**﴾: «تطير بها، فتسرعُ تنفيذ ما أُمِرَتْ به. ﴿**مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾ أي: منهم مَنْ له جَناحان، وثلاثةٌ، وأربعةٌ بحسب ما اقتضتهُ حكمتُهُ»[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٦٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣/ ١٢١)، و«الصحيحة» (١/ ٧٢).

(٣) «تفسير ابن سعدي» (ص٦٨٤).

ومما جاء في وَصْف جمالهم أنَّ الله - سبحانه وتعالى - خَلَقَهُم على صورٍ جميلةٍ كريمةٍ، كما قال - تعالى - في جبريلَ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٥، ٦].

قال ابن سعدي - رحمه الله - في قوله تعالى -: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: «أي: قوة، وخُلُقٍ حسنٍ، وجمالٍ ظاهرٍ وباطنٍ»(١).

وقد استقر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقُبح، ولذلك تراهُم يُشبِّهون الجميل مِنَ البشرِ بالمَلَك.

قال الله - سبحانه وتعالى - حاكيًا عن بعض النِّسوة: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

ومما جاء في تفاوت الملائكة في الخلق والمقدار:

قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤].

وفي «صحيح البخاري»(٢) من حديث رِفاعةَ بن رافعٍ أنَّ جبريلَ جاء إلى النبيِّ - ﷺ - فقال: «ما تعدُّون منْ شَهِدَ بدراً فيكم؟» قال: «خِيارَنا». قال: «وكذلك مَنْ شَهِدَ بدراً مِنَ الملائكةِ، هُم عندنا خيارُ الملائكةِ».

والملائكة - أيها الناس - لا يُوصفون بالذكورة حيث أنه لم يرد نص في ذلك، ولا بالأُنُوثة، حيث ورد الذم على ذلك كما أنهم لا يأكلون، ولا يشربون. قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

وأخبرنا اللهُ - سبحانه وتعالى - أنَّ الملائكة جاءوا إبراهيم في صورة بشر، فقدَّم لهم الطعام، فلم تمتدَّ إيديهم إليه، فأوجَسَ منهم خِيفة، فلمَّا كشفوا عن

---

(١) المرجع السابق (ص٨١٨).

(٢) رواه البخاري (٣٩٩٥).

حقيقتهم، زال خوفُه.

قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨].

ومَّما جاء في وصف عدد الملائكة:

الملائكةُ - أيها الناس - خلقٌ كثيرٌ، لا يعلمُ عددهم إلاَّ اللهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - في البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «فإذا هو يَدْخُلُهُ في كُلِّ يومٍ سبعون ألفَ مَلَك، لا يَعُودُونَ إليه آخِرَ ما عَلَيهِمْ».

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يُؤتى بجهنَّم يَوْمَئذٍ، لها سَبْعونَ ألفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونها».

وأخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٣)] من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أَطَّتِ السماءُ، ويُحَقُّ لها أنْ تَئطَّ، والذي نفسُ محمَّدٍ بيده، ما فيها مَوضعُ شِبْرٍ إلاَّ وفيها جَبْهَةُ مَلَكٍ ساجدٍ، يُسبِّح اللهَ بحمْده».

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤). (٢) رواه مسلم(٢٨٤٢).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٢٠).

أيها الناس، لقد أعطى اللهُ الملائكة القُدرة على أن ليتشكَّلوا بغير أشكالهم،
فقد أرسل اللهُ جبريلَ إلىٰ مَرْيَمَ في صورةِ بشرٍ، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٦-١٩].

وإبراهيم جاءتهُ الملائكة في صورة بشرٍ، وجاءوا إلىٰ لُوطٍ في صورة شباب حِسانِ الوُجُوه.

وكان جبريلُ ـ عليه السلام ـ يأتي الرسولَ ـ ﷺ ـ في صفات مُتعددة،
فتارةً يأتي في صورةِ دِحْيةَ بن خَلِيفَةَ الكَلْبيِّ، وهو صحابيٌّ، كان جميلَ الصُّورةِ، وتارةً في صورةِ أعرابيٍّ، وقد شاهده كثيرٌ من الصحابة.

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: بَيْنَمَا نحنُ جُلُوسٌ عندَ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ، إذْ طَلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعرِ، لا يُرىٰ عليه أثرُ السَّفرِ، ولا يَعْرِفُهُ منَّا أحدٌ حتىٰ جلس إلىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ، فأسندَ رُكْبَتَيْهِ إلىٰ رُكْبَتَيْه. . . ».

وقد أخبر الرسولُ ـ ﷺ ـ فيما بعدُ أنَّ السائلَ جبريلُ، جاء يُعلِّمُ الصحابةَ دينَهُم.

والملائكة ـ أيها الناس ـ مَطْبُوعون على طاعة الله، ليس لديهم القُدرة على العِصيان.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

(١) رواه مسلم (٨).

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

أيها الناسُ، لقد اختلف العلماءُ حولَ أيهما أفضل الملائكةُ أمْ صالحو البشر؟

وتحقيق القول: ما ذكره ابن تيمية من أنَّ صالحي البشر أفضلُ باعتبار كمال النِّهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنَّةَ، ونالوا الزُّلْفَىٰ، وسكنوا الدَّرجاتِ العُلىٰ، وحَيَّاهُمُ الرحمنُ، وخَصَّهم بمزيدِ قُربِهِ، وتجلَّىٰ لهم، يستمتعون بالنظرِ إلىٰ وجهِهِ الكريم، وقامتِ الملائكةُ في خدمتهم بإذْنِ ربِّهم.

والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإنَّ الملائكة الآنَ في الرَّفيقِ الأعلىٰ، مُنزَّهُون عمَّا يُلابسُهُ بنُو آدَمَ، مُسْتَغْرِقون في عبادةِ الرَّبِّ، ولا ريبَ أنَّ هذه الأحوال الآنَ أكملُ من أحوالِ البَشَر.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وبهذا التفصيل يتبيَّنُ سِرُّ التفضيلِ، وتتَّفقُ أدلةُ الفريقين كُلٌّ منهم علىٰ حقِّهِ»[1].

وأستغفر الله.

---

(١) انظر «الفتاوىٰ» (١١/ ٣٥٠)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٣٦٨)، و«شرح الطحاوية» (ص٣٣٨).



الخطبة الثانية

علاقة الملائكة بذرية آدم



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسلين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، سبق الحديثُ معكم عن الإيمانِ بالملائكة، وذِكْرِ الصِّفاتِ الخَلْقيةِ للملائكةِ، وما يتعلَّقُ بها، والآن حديثي معكم عن علاقة الملائكة بذُرِّيَّةِ آدَمَ.

أيها الناسُ، لا شكَّ أنَّ علاقة الملائكة بذُرية آدم علاقةٌ وثيقةٌ، فهم يقومون عليه عندَ خَلْقِه، ويكلفون بحفظِه بَعدَ خُرُوجه إلى الحياة، ويأتُونَهُ بالوَحْي من الله، ويُراقبون أعمالَهُ وتصرُّفاتِه، ويَنْزِعُونَ روحهُ إذا جاء أَجَلُهُ.

فمن أعمالهم حراستُهم لابن آدمَ:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١٠، ١١].

وقد ذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ المُعَقِّبَاتِ من الله: همُ الملائكةُ، جَعَلَهُمُ اللهُ؛ ليحفظوا الإنسان من أمامِهِ، ومِنْ ورائِهِ، فإذا جاء قَدَرُ اللهِ الذي قدَّر أن يصل إليه ـ خَلوا عنه.

ومن أعمالهم أنهم يُبلِّغون وَحْيَ اللهِ إلى رُسُلِه وأنبيائه:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

ومن أعمالهم حِفظُ أعمال بني آدم:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ـ١٢].

أيها الناسُ، لقد وكَّلَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بكلِّ إنسان ملكين حاضرين، لا يُفارقانه، يُحصيانِ عليه أعمالَهُ وأقوالَهُ. قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ـ١٨].

وصاحب اليمين يكتبُ الحسناتِ، والآخرُ السيئاتِ،

ففي «معجم الطبراني الكبير» بإسنادٍ حَسَنٍ[1]، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» من حديث أبي أُمامة أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ صاحبَ الشِّمالِ لَيرفَعُ القَلَمَ ستَّ ساعاتٍ عَنِ العَبْدِ المُسلمِ المُخطئِ، فإنْ نَدِمَ، واستغفر اللهَ منها أَلقاها، وإلا كُتِبَتْ واحدة».

والملائكة ـ أيها الناسُ ـ يُحِبُّون المُؤمنين

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ اللهَ ـ تباركَ وتعالى ـ إذا أحبَّ عَبْدًا نادى جِبْرِيلَ: إنَّ اللهَ قدْ أحبَّ فُلانًا فأحِبَّهُ، فيحبُّهُ جِبْرِيلُ، ثمَّ يُنادي جبريلُ في السماء: إنَّ اللهَ قد أحبَّ فُلانًا فأَحِبُّوه، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ويُوضعُ له القَبُولُ في أهل الأرض».

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩٧).

(٢) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

والملائكة تُصلِّي على المؤمنين:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والصلاةُ من الله ـ تعالىٰ ـ ثناؤُه علىٰ العبدِ عند الملائكة، وأمَّا الصلاةُ من الملائكة فبمعنىٰ الدُّعاء للناسِ، والاستغفارِ لهم وتصلي عليهم بعد كل صلاة كما في الحديث: «ما لم يؤذ ما لم يحدث» في «الصحيحين».

وهُم ـ أي الملائكةُ ـ يستغفرون للمؤمنين، ويَحْضُرون مجالسَ العِلْمِ، ويَشْهدون جَنَازةَ الصَّالحين، ويُبلِّغون الرَّسولَ ـ ﷺ ـ عَنْ أُمَّتِه السَّلامَ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ من فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٥]. وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧: ٩]. وممَّا يدل علىٰ حُضورهم مجالس العِلْمِ.

ما جاء في «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ـ ﷺ ـ: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بيُوت الله، يَتْلون كتابَ الله، ويتدارسُونَهُ بَيْنَهُم ـ إلا نَزَلَتْ عليهمُ السكينةُ، وَغَشِيَتهُم الرَّحمةُ، وحَفَّتْهُمُ الملائكةُ، وذكرهُم اللهُ فيمن عندَهُ». وممَّا يدلُّ علىٰ شهودهم جَنازة الصَّالحين، ما روىٰ الطبراني في «جامعه» بإسنادٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٢)] من

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) روىٰ الطبراني في «جامعه» (٢٣٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩٨٧).

حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ في سعد بن معاذ: «هذا الذي تحرَّك لهُ العَرْشُ، وفُتحَتْ له أبوابُ السَّماء، وشَهِدَهُ سَبْعون ألفًا من الملائكة، ولقدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثمَّ فُرِّجَ عَنهُ».

ومِمَّا يدل على أنَّهم يُبلِّغون الرسولَ ـ ﷺ ـ عن أُمَّتِه السَّلام.

ما رواه الإمام أحمدُ في «مسنده»، والنسائي في «سننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»(١) من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ لله ملائكةً سيَّاحين في الأرض، يُبلِّغوني عن أُمتي السَّلام».

أيها الناسُ، قبل أنْ أُودِّعَ مقامي هذا، أُحب أنْ أُذكِّركم أنَّ الملائكة عبادُ الله، اختارهم واصطفاهم، ولهم مكانةٌ عند ربِّهم، ويجبُ علينا أنْ نُحبَّ جميعَ الملائكةِ، فلا نُفَرِّق في ذلك بَيْنَ مَلَكٍ ومَلَكٍ؛ لأنهم جميعًا عبادُ الله، عاملون بأمره، تاركون لنَهيهِ.

ويجب علينا ـ أيها الناسُ ـ أن نعلمَ أنَّ أعظمَ ما يُؤذي الملائكة الذُّنوبُ والمعاصي، والكُفرُ والشِّرك، وأنَّ أعظم ما يُرضيهم أن يُخلِصَ المَرْءُ دينَهُ لربِّه، ويتجنَّبَ كُلَّ ما يُغضِبُهُ.

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦].

---

(١) تقدم تخريجه.



الخطبة الأولى

الإيمانُ بكتبِ الله



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بعدُ، أيها الناسُ، إنَّ الإيمان بكتبِ الله رُكْنٌ من أَرْكانِ الإيمان، لا يتمُّ إيمانُ العبدِ إلا به.

والمُرادُ بكتبِ اللهِ الكتبُ التي أَنْزَلَها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على بَعْضِ رُسُلِهِ رحمةً للخلق، وهدايةً لهم.

والإيمانُ بالكتب - أيها الناسُ - يتضمَّنُ أربعةَ أمورٍ:

الأوَّل - الإيمانُ بأنَّ نزولَها من عندِ الله حقًّا.

الثاني - الإيمانُ بما عَلِمنا اسْمَهُ منها باسمِهِ: كالقُرآنِ الذي نزل على نبينا محمَّدٍ - ﷺ -، والتوراةِ التي أُنزلتْ على مُوسى - ﷺ -، والإنجيلِ الذي أُنزل على عيسى - ﷺ -، والزَّبورِ الذي أُوتيه داود - ﷺ -، وأمَّا ما لم نعلمِ اسمهُ، فنؤمنُ به إجمالاً.

الثالث - تصديق ما صحَّ من أخبارها: كأخبار القُرآنِ، وأخبارِ ما لم يُحرَّفْ أو يُبَدَّلْ من الكتبِ السابقة.

الرابع - العمل بأحكام ما لم يُنْسَخْ منها، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمتَهُ أم لم نفهمها، وجميعُ الكتبِ السابقة منسوخة بالقرآنِ العظيم. قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

أي: حاكمًا عليه، وعلى هذا فلا يجوزُ العملُ بأيِّ حُكْمٍ من أحكامِ الكتبِ السابقةِ، إلاَّ ما صحَّ منها، وأقرَّهُ القُرآنُ»[1]

وأدلَّةُ الإيمانِ بكتبِ الله - أيها الناس - أكثرُ من أنْ تُحصرَ، فمنها:

قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٢-٤].

---

(١) انظر «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (ص ٣٠، ٣١).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ـ١٩٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وفي «صحيح البخاري»[١] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «إنَّما بقاؤُكُمْ فيمَنْ سَلَفَ مِنَ الأُمَمِ كما بَيْنَ صلاةِ العَصْرِ إلى غُروبِ الشَّمس، أُوتيَ أَهلُ التَّوراة التَّوْراةَ، فعملوا بها، حتى انتصف النَّهارُ، ثمَّ عَجَزُوا، فأُعْطُوا قِيْراطًا قِيْراطًا، ثمَّ أُوتيَ أهلُ الإنْجيلِ الإنجيلَ، فعملوا به، حتى صُلِّيت العَصْرُ، ثمَّ عجزوا، فأُعطوا قيراطًا قيراطًا، ثمَّ أُوتيتُمُ القُرآنَ، فعملْتُمْ به، حتى غربت الشمسُ، فأُعْطِيْتُم قيراطين قيراطَيْن.

فقال أهلُ الكتابِ: هؤلاء أَقَلُّ منَّا عَمَلاً، وأكثرُ أَجرًا؟!.

قال اللهُ: هَلْ ظلمتُكُمْ مِنْ حقِّكُمْ شيئًا؟. قالوا: لا. قال: فهو فَضْلي، أُوْتيه مَنْ أشاءُ».

وفي «صحيح البخاري» ـ أيضًا ـ[٢] من حديث أبي ـ هريرة رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «خُفِّفَ على داود ـ عليه السلامُ ـ القُرْآنُ، (أي: القراءةُ)، فكان يأمُرُ بدوابِّه فَتُسْرَجُ، فيقرأ القُرآنَ قبْلَ أنْ تُسْرَجَ دوابُّهُ، ولا يأكلُ إلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِه».

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٦٧) و(٧٥٣٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٤١٧).

والقرآن الكريم ـ أيها الناس ـ أطولُ الكتبِ السماويَّة وأشملها.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث واثلة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أُعْطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبْعَ الطِّوالَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المِئينَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المَثَانيَ، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ**».

والكتب السماويَّةُ ـ أيها الناسُ ـ كُلُّها أُنزلتْ في شَهْرِ رمضانَ.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث واثلة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أُنزلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ أوَّلَ ليلة منْ شهر رَمَضَانَ، وأُنزلت التَّوراةُ لستٍّ مَضَتْ منْ رَمَضَانَ، وأُنزلَ الإنجيلُ لثلاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ منْ رمَضَانَ، وأُنزلَ الزَّبورُ لثمانِ عَشْرَةَ خَلَتْ من رَمَضَانَ، وأُنزلَ القرآنُ لأربعٍ وعِشرين خَلَتْ منْ رَمَضَانَ**».

أيها الناسُ، كما يجب علينا الإيمان بالكتبِ السابقة، فإنَّه يجب علينا ألا نُصدِّق أهل الكتابِ ولا نُكَذِّبَهُم.

ففي «صحيح البخاري»[(٣)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أهلُ الكتاب يَقْرَءُونَ التَّوراة بالعِبْرانيَّة، ويُفَسِّرُونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا تُصدِّقوا أهل الكتابِ ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾** [العنكبوت: ٤٦].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «تخريج الترغيب» (٢/ ٢١٧)، و«الصحيحة» (١٥٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٩).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩٧)، و«الصحيح» (١٥٧٥).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٣٦٢).

أيها الناس، نحن لا نُصدِّق أهل الكتاب؛ لأنّهم حرَّفوا وبدَّلوا، ولا نُكَذِّبهم؛ حتىٰ لا يُخبِرونا بحقٍّ فنكُذِّبهم، أو بباطلٍ فنصدِّقهم.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «إرواء الغليل»[1] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنَّ عمر بن الخطاب أتىٰ النبيَّ - ﷺ - بكتابٍ، أَصَابهُ من بعضِ أهلِ الكُتُبِ، فقرأهُ للنبيِّ - ﷺ -، فَغَضِبَ، فقال: **«أَمُتَهَوِّكُون فيها يابْنَ الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتُكُم بها بيضاء نقيَّة، لا تسألوهم عن شيءٍ، فيخبروكم بحقٍّ، فتكُذِّبوا به، أو بباطلٍ فتُصدِّقوا به، والذي نفسي بيده، لو أنَّ موسى - ﷺ - كان حيًّا، ما وسِعَهُ إلاَّ أنْ يتَّبعني»**. ومعنىٰ مُتَهوِّكون: أي مُتَحيِّرون.

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - قال: «يا مَعْشَرَ المسلمين، كيف تسألون أهلَ الكتابِ، وكتابُكمُ الذي أُنزل علىٰ نبيِّه - ﷺ - أَحدثُ الأخبارِ باللهِ، تَقْرَءُونهُ لم يُشَبْ؟! وقد حدَّثكُمُ اللهُ أنَّ أهلَ الكتابِ بدَّلوا ما كتب اللهُ، وغيَّروا بأيديهمُ الكتابَ، فقالوا: هو من عِندِ اللهِ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلاً.

أفلا ينهاكم ما جاءكم مِنَ العلمِ عنْ (مُسَاَلَمَتِهِمْ)؟!، ولا - واللهِ - ما رأينا منهم رجلاً - قطُّ - يسألُكُم عَنِ الذي أُنزِلَ عليكم».

وأستغفر الله.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٥).



الخطبة الثانية

القـــرآن الكــريم



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين.

أمَّا بعدُ،

أيها الناسُ، سبق الحديث معكم حول الإيمان بكتبِ الله، وأنَّ نزولها من عند الله حـقًّـا، وأنه لا يجوزُ أنْ نُصدِّقَ أهلَ الكتابِ أو نكُذِّبَهم؛ لئلاَّ نكُذِّبَهم بحقٍّ، أو نصدِّقهم بباطل، ولأن الله - سبحانه وتعالى - أخبرنا عن أهل الكتاب أنهم غيَّروا وبدَّلوا في كتب الله، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

والآن حديثي معكم - أيها الناسُ - عن القُرآنِ الكريم كتاب الله الذي أنزله على خير خلقِه محمَّدٍ - ﷺ -، كما أَنْزَلَ غيرَهُ من الكتب على مَنْ سبق مِنَ الرُّسُلِ.

فالقرآنُ الكريم - أيها الناس - نَسَخَ بأحكامِه سائرَ الأحكامِ في الكتبِ السماويَّة السابقةِ، كما خَتَمَ برسالةِ صاحبِه كُلَّ رسالةٍ سابقةٍ.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي حاكمًا عليه، ومشتملاً على ما اشتملت عليه الكُتبُ السابقة.

والقرآنُ الكريم - أيها الناس - هو الكتابُ الوحيدُ الذي ضَمِنَ اللهُ سلامتَهُ من النَّقْصِ والزِّيادة، ومِنَ التبديلِ والتغيير، وبقاءَهُ حتى يرْفَعَهُ إليه.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال ابن سَعْديٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسيره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ «أي: القرآنَ الذي فيه ذكرىٰ لكلِّ شيءٍ من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر مَنْ أراد التذكر، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: في حالِ إنزاله، وبعدَ إنزاله، ففي حالِ إنزاله حافظون له مِن استراق كُلِّ شيطانٍ رجيمٍ، وبعدَ إنزاله، أودَعَهُ اللهُ في قلبِ رسولِه، واستودعه فيه، ثمَّ في قلوبِ أُمَّتِهِ، وحفظَ اللهُ ألفاظه من التغيير فيها، والزِّيادةِ، والنّقص، ومعانِيَهُ مِن التبديل، فلا يُحرِّفُ مُحَرِّفٌ معنىً من معانيه، إلاَّ وقيَّض اللهُ له مَنْ يُبيِّنُ الحقَّ المُبينَ، وهذا مِنْ أعظمِ آياتِ اللهِ ونعمِهِ علىٰ عبادِه المُؤمنين، ومِنْ حِفْظِهِ أنَّ الله يحفظُ أَهْلَهُ مِنْ أعدائهم، ولا يُسلِّطُ عليهم عدُوًّا يجتاحهُم»[1].

وفضائل القرآن ـ أيها الناس ـ أكثر من أن تُحْصَرَ، فمنها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٤٢٩).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١].

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي أُمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «اقْرءوا القُرآنَ؛ فإنَّه يأتي يومَ القيامَةِ شفيعًا لأصحابِه».

وفي «صحيح مسلم» ـ أيضًا ـ(٢) من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يقول: «يُؤْتى يومَ القيامـةِ بالقُرآنِ، وأهله الذين كانوا يعملُـون به في الدُّنيا، تَقْـدُمُهُ (أي تـتـقـدَّمُـهُ) سُورةُ البَـقَرةِ وآلُ عِمْرانَ، تُحـاجَّانِ عَنْ صاحِبِهِمَا».

وفي «صحيح البخاري»(٣) من حديث عُثمانَ بن عفَّانَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول اللهِ ـ ﷺ ـ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعلَّمَ القُرآنَ، وَعَلَّمهُ».

وفي «الصحيحين»(٤) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «الذي يقرأ القُرآنَ،وهو ماهِرٌ به (أي: مُجيدٌ لَفْظَهُ على ما ينبغي،

---

(١) «صحيح مسلم» (٨٠٤).
(٢) «صحيح مسلم» (٨٠٥).
(٣) رواه البخاري (٥٠٢٧).
(٤) رواه البخاري (٨/ ٥٣٢)، ومسلم (٧٩٨)، واللفظ له.

بحيث لا يتشابَهُ ولا يقفُ في قراءته) مع السَّفَرة الكِرامِ البَرَرة،والذي يقرأُ القُرآنَ، ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ ـ لهُ أجران».

والسَّفرةُ الكِرامُ: هُمُ الملائكةُ الرسُلُ إلى الرسُلِ ـ صلواتُ الله وسلامه عليهم ـ .

ومعنى البَرَرةِ: أي المُطيعين، فهم معهم في منازلهم في الآخرة. وقوله: «يتتعتع فيه»: أي يتردَّدُ في قراءته، ويتبلَّدُ فيها لسانُهُ.

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث عمر بن الخطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ الله يَرْفَعُ بهذا الكتابِ أقوامًا، ويَضَعُ بِهِ آخَرِيْنَ».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «لا حَسَدَ (أي: لا غِبْطَةَ) إلاَّ في اثْنَتينِ: رَجُلٌ آتاهُ اللهُ القُرآنَ، فهو يقومُ به آناءَ اللَّيلِ، وآناءَ النَّهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالاً، فهو يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيلِ، وآناءَ النهارِ». والآناءُ: السَّاعاتُ.

وأخرج الترمذي بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3] من حديث عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرأَ حَرْفًا مِنْ كتابِ اللهِ فله به حَسَنةٌ، والحسنةُ بِعَشْرِ أمثالِها، لا أقولُ: ﴿ألم﴾ حرفٌ، ولكنْ: ألف حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ».

وأخرج الترمذي بسندٍ حسنٍ[4] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ

---

(١) رواه مسلم (٨١٧).
(٢) رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٩١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).
(٤) أخرجه الترمذي (٧٩١٥).

عن النبي - ﷺ - قال: «يُقالُ لصاحِبِ القُرآن: اقرأ وارتق (أي في درج الجنَّة بقدرِ ما حَفظَتَهُ من آي القُرآنِ) ورتِّلْ، كما كُنتَ تُرتِّلُ في الدُّنيا، فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تَقْرَؤُها».

﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].



الخطبة الأولى

٤. الإيمان بُرسُل الله



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، إنَّ الإيمان بالأنبياءِ والرُّسُلِ أَصْلٌ من أُصول الإيمان، لا يتمُّ إيمانُ المُسلم إلا به.

فنحن نؤمنُ بأنَّ اللهَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ اصطفىٰ من النَّاس رُسُلاً، وأوحىٰ إليهم بشرعه، وعَهِدَ إليهم بإبلاغه لقطعِ حُجَّة الناس عليه يومَ القيامة، أرسلهم

بالبينات، وأيَّدهم بالُمعجزات، ابتدأهم بنبيِّه نُوحٍ، وخَتَمهُمْ بمحمَّدٍ ـ ﷺ ـ[1] .

والأدلة على أنَّ الإيمان بالرُّسُل أصلٌ من أُصول الإيمان ـ أكثرُ من أنْ تُحْصَرَ، فمنها:[2]

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٤] .

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾ [النساء: ١٣٦] .

ومدحَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ رسولهُ محمداً ـ ﷺ ـ، والمؤمنين الذين تابعوه لإيمانهم، ولعدم تفريقهم بينَ الرُّسُل .

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنَّ الإيمان ببعض الرسُل، والكُفر ببعضٍ كُفرٌ بهم جميعًا؛ لأنَّ الرسُل حَمَلَةُ رسالةٍ واحدة، ومُرسِلُهُم واحدٌ، ودُعاةُ دينٍ واحدٍ، يُبشِّرُ الُمتقدِّمُ منهم بالمتأخِّر، ويصدقُ الُمتأخِّرُ الُمتقدِّمَ[3] .

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ**

---

(١) انظر «منهاج المسلم» للجزائري (ص٢٥) .

(٢) انظر «الرُّسل والرسالات» للأشقر، فقد استفدت منه كثيراً .

(٣) المرجع السابق (ص٢٤، ٢٥) .

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

وذمَّ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرُّسُل، وكُفْرهم ببعض، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١].

وأدلة السُّنَّة ما جاء في «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في جوابِ جِبْريلَ حيثُ سَأَلَهُ عن الإيمانِ، فقال له: «أَنْ تُؤمِنَ باللهِ، ومَلاَئكَتِه، وكُتُبِهِ ورُسُلِه، واليومِ الآخرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه».

أيها الناسُ، بعدَ أن عَلمنا أنَّ الإيمانَ بالرُّسُلِ أصلٌ من أُصولِ الإيمان، علينا أنْ نعرف شيئًا من صفاتِ الرسُلِ، ووظائفهم، ومُهمَّاتِهم.

فمن صفاتهم ـ أيها الناسُ ـ أنّهم بشرٌ مِثْلُنا، يأكلون الطعام، ويمشُون في الأسواقِ، لكنَّ اللهَ اختارهم تكريمًا وتفضيلاً.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ [الفرقان: ٢٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

ومن صفاتهم أنَّهم يتعرضون للبلاء، بل إنهم أشدُّ الناسِ بلاءً.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وأخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ، وحسَّن إسنادَهُ الألباني في «صحيح سنن الترمذي»[(١)] من حديث سعد بن أبي وقَّاصٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟. قال: «الأنبياءُ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، فَيُبْتَلى الرَّجلُ على حسبِ دينه، فإن كان دينُهُ صُلْبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كان في دينِهِ رقةٌ ابتُلي على حَسَبِ دينِهِ، فما يبْرحُ البلاءُ بالعبدِ، حتى يَتْرُكَهُ يمشي على الأرضِ، وما عليه خطيئةٌ».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما رأيتُ أحدًا أشدَّ عليه الوَجَعُ مِنْ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ».

ومن صفاتهم ـ أيها الناس ـ أنه ليس لهم من خصائصِ الأُلُوهيةِ والملائكيةِ شيءٌ، فهم لا يدَّعون شيئًا من صفاتِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ولكنَّهم يُمثِّلون الكمال الإنسانيَّ؛ لأنَّ الله اختارهم، واصطفاهم لنفسه.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ومن صفاتهمُ الكمالُ في الخِلقةِ الظاهرةِ، وفي الأخلاق.

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «إنَّ الأنبياء في خَلقِهم وخُلُقِهم على غاية

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجَهْ (٤٠٢٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وكذا قال الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٨٦).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

الكمالِ، وإنَّ مَنْ نَسَبَ نبيًّا إلى نقصٍ في خلقٍ، فقد آذاهُ، ويُخشى على فاعله الكُفْرُ»(1)

وأيضًا الأنبياء خيرُ الناسِ نسبًا.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦].

ومن صفاتِهمُ الذُّكورةُ، فلم يبعَثِ اللهُ - سبحانه وتعالى - رسُولاً من النساء.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

والأنبياء والرُّسُلُ - أيها الناسُ - جمٌّ غفيرٌ، فقد كَثُرَ الأنبياء والرُّسُلُ في تاريخ البشريةِ كثْرةً هائلةً، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «مشكاة المصابيح»(2) من حديث أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ الله كَمِ المُرسلونَ؟ قال: «**ثَلثُمائة وبِضْعةَ عَشَرَ جمًّا غفيرًا**» وفي رواية أبي أُمامة قال أبو ذرٍّ: قلتُ: يا رسولَ الله، كم وفاء عدَّة الأنبياء؟. قال: «**مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا، الرُّسلُ من ذلك ثَلثُمائة وخمسةَ عَشَرَ جَمًّا غفيرًا**».

وهذا العدد الكبير للأنبياءِ والرُّسُلِ - أيها الناسُ - يَدُلُّنا على أنَّ الذين نعرفُ أسماءهم من الرُّسلِ والأنبياءِ قليلٌ، وأنَّ هناك أعدادًا كثيرةً لا نعرفها.

---

(1) «فتح الباري» (٦/ ٤٣٨).

(2) رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢/ ١٢٢).

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم خمسةً وعشرين نبيًّا ورسولاً، فذكر في مواضع متفرِّقةٍ آدمَ، وهودًا، وشُعيبًا، وإسماعيلَ، وإدريسَ، وذا الكِفلِ، ومحمَّدًا ـ صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين ـ.

قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: ٦١].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وذكر ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ثمانيةَ عَشَرَ نبيًّا في موضعٍ واحدٍ في سُورة الأنعام، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

ولقد أخبرنا الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: أنَّه فضَّلَ بَعْضَ النبيِّين علىٰ بَعْضٍ، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأفضلُ الرُّسُلِ والأنبياء خمسةٌ: مُحمَّدٌ، ونُوحٌ، وإبراهيمُ، ومُوسىٰ، وعيسىٰ ـ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم ـ، وهؤلاءِ هُم أُولو العزمِ من الرُّسُلِ وأفضل أولي العزم محمد ـ ﷺ ـ، وقد ذكرهمُ اللهُ في كتابه، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

ولنعلم ـ أيُّها الناسُ ـ أنَّه قد جاءت أدلةٌ تنهى عنِ التفضيل بينَ الأنبياء.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا تُخيِّروا بينَ الأنبياء**».

قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «هذه الأحاديث لا تُعارضُ النُّصوص القُرآنية التي تدلُّ علىٰ أنَّ اللهَ فضَّلَ بَعْضَ الأنبياء علىٰ بعضٍ، وبعضَ المرسلين علىٰ بَعْضٍ، وينبغي أن يُحْملَ النّهيُ الذي ورد في الأحاديث علىٰ النَّهي عن التفضيل، إذا كان علىٰ وجهِ الحميَّةِ والعصبيةِ والانتقاص، إذا كان هذا التفضيلُ يؤدِّي إلىٰ خُصومةٍ أو فتنةٍ»[(٢)] وممَّا يدل علىٰ ما ذهب إليه الطحاوي: ما جاء في «صحيح البخاري»[(٣)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: استبَّ رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من

---

(١) رواه البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤).
(٢) «شرح الطحاوية» (ص١٧٠).
(٣) رواه البخاري (٣٤٠٨) و (٦٥١٧).

اليهود، فقال المُسلم: والذي اصطفىٰ محمَّدًا - ﷺ - علىٰ العالمين - في قسمٍ يُقْسمُ به.

فقال اليهوديُّ: والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ العالمين، فرفعَ المسلمُ عند ذلك يدهُ، فَلَطمَ اليهوديَّ، فذهب اليهوديُّ إلىٰ النبيِّ - ﷺ -، فأخبره الذي كان من أمْرِهِ وأمرِ المُسلمِ، فقال: «لا تُخيِّروني على مُوسى؛ فإنَّ الناسَ يَصْعَقُونَ، فأكونُ أوَّلَ مَنْ يفُيقُ، فإذا أنا بموسى باطشٌ بجانبِ العَرْشِ، فلا أَدْري أكان فيمن صَعِقَ، فأفاق قبلي، أو كان ممَّنِ استثنى اللهُ». وفي روايةٍ عند البخاريِّ: «لا تُفضِّلُوني على الأنبياءِ». وفي روايةٍ: «لا تُخيِّروني على الأنبياءِ».

قال ابن حجر عن بعض أهل العلم أنَّه قال: «الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب، وتفضيل بعض الأنبياء علىٰ بعضٍ بالمخايرة؛ لأنَّ المخايرة إذا وقعتْ بين أهل دينين، لا يأمنُ أن يخرجَ أحدهما إلىٰ الازدراء بالآخر، فيُفضي إلىٰ الكُفر، فأمَّا إذا كان التمييز مستندًا إلىٰ مقابلةِ الفضائلِ لتحصيلِ الرُّجحانِ، فلا يدخلُ في النهي»[1].

وأستغفر الله.

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٤٦).



الخطبة الثانية

وظائف الرُّسل ـ عليهم السَّلام ـ



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المُرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديثُ معكم حولَ الإيمان بالرُّسُلِ، مع ذكر شيءٍ من صفاتهم، والآن حديثي معكم حول وظائفِ بالرُّسلِ ومُهمَّاتهم.

فمن وظائفهم ـ أيّها الناسُ ـ البلاغ المبين، فهم سُفراءُ الله إلى عبادِه، وحَملةُ وحيِه، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ**﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ**﴾ [آل عمران: ٢٠].

ومن وظائفهم الدَّعوةُ إلى الله.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

ومن وظائفهم التبشير والإنذار.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾ [الكهف: ٥٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

ومن وظائفهم إصلاحُ النفوس وتزكيتُها.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ومن وظائفهم إقامةُ الحُجة.

لا أحد أحبُّ العُذرِ إليه من الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ؛ لذلك أرسلَ الرُّسُل، وأنزلَ الكتب؛ كي لا يبقىٰ للناسِ حُجَّة في يوم القيامة.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤].

ومن وظائفهم سياسةُ الأُمَّة.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كانت بنو إسرائيل تَسوسُهم الأنبياءُ، كلما هَلَكَ نبيٌّ خلفهُ نبيٌّ، وإنه لا نبي بعدي، وسيكونُ خُلفاءُ،

فيكثُرونَ» قالوا: فما تأمُرنا؟ قال: «فُوا ببيعة الأوَّل فالأوَّل، وأعطوهم حقَّهم الذي جعلَهُ الله لهُمْ، فإنَّ الله سائلهم عمَّا استرعاهم»(١).

أيها الناسُ، قبل أنْ أُودِّعَ مقامي هذا، أُحبُّ أنْ أُذكِّركُم أنْ الدِّين الذي دَعَتْ إليه الرُّسُلُ جميعًا واحدٌ، هو الإسلامُ، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿إنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذا نوحٌ يقول لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

والإسلام: هو الدين الذي أَمَرَ اللهُ به أبا الأنبياءِ إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ويُوصي كلٌّ من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلاً: ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وأبناء يعقوب يُجيبون أباهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وموسى يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

والحواريُّون يقولون لعيسى: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وحين سمع فريقٌ من أهل الكتاب القرآنَ: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٧١)، ومسلم (٦/ ١٧).

٥. الإيمانُ باليومِ الآخرِ:



الخطبة الأولى

أ. القبرُ أوّلُ منازلِ الآخرةِ



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعد، أيها الناسُ، لا شكَّ أنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ أصلٌ من أُصولِ الإيمانِ، لا يتمُّ إيمانُ المسلم إلاَّ به لأدلة كثيرة، فمنها:

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ١٦٢].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في حديث جبريل الطويل، وسؤالِه النبيَّ ـ ﷺ ـ عن الإيمانِ، بَعدَ أن سألهُ عن الإسلام، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «أنْ تُؤمنَ باللهِ، وملائكته، وكُتُبِهِ، ورُسُلِه، واليومِ الآخرِ، وتُؤمنَ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه».

أيها الناسُ، إنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ لا يقتصرُ على يومِ القيامةِ، بل يدخلُ في ذلك الإيمان بعذاب القبر ونعيمِه.

قال شيخُ الإسلام ـ ابنُ تيمية ـ رحمه الله ـ:

«من الإيمان باليومِ الآخرِ الإيمان بكُلِّ ما أخبر به النبيُّ ـ ﷺ ـ ممَّا يكونُ بَعْدَ المَوتِ»(٢).

وممَّا يدلُّ على أنَّ عذابَ القبْرِ ونعيمَهُ يدخلُ في الإيمانِ باليومِ الآخرِ قولُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣١، ٣٢].

قال العلامة محمدُ بن صالح العُثيمين ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ﴾ حالَ توفيهم: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «تعليقات على العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (ص٥).

﴿الْجَنَّةَ﴾، وهم وإن لم يدخلوا الجنَّة التي عَرضُها السَّموات والأرضُ، لكنْ دخلوا القَبْرَ الذي فيه نعيم الجنة.

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٩].

وهذا يكون إذا بلغتِ الرُّوح الحُلْقُومَ، وهذا هو نعيمُ القَبْرِ، بل إنَّ الإنسانَ يُبشَّرُ بالنعيم قبلَ أن تخرجَ روحُهُ، يُقال لروحه: اخرجي أيَّتها النَّفس المُطمئنَّةُ، اخرجي إلىٰ مغفرةٍ من الله ورضوانٍ، فتفرحُ الروحُ بذلك، فتخرجُ خُروجًا سهلاً ميسَّرًا»(١).

وعذابُ القبرِ ونعيمُهُ ـ أيها الناس ـ ثابتٌ بالكتابِ والسنَّة:

فمن القرآن قولُ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

قال العلامة ابن سعديٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: شدائده، وأهوالِه الفظيعة، وكُرَبِه الشَّنيعة ـ لرأيتَ أمرًا هائلاً، وحالةً لا يَقْدِرُ الواصفُ أنْ يَصِفَهَا.

﴿وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ إلىٰ أولئك الظالمين المحتضَرين بالضَّربِ والعذابِ، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم، وتعصِّيها للخروج من الأبدان:

(١) «دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص٢٢٣، ٢٢٤).

﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الشديدَ الذي يُهينكم ويُذلُّكُم، والجزاءُ مِنْ جِنس العمل؛ فإنَّ هذا العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ من كذبكم، وردِّكُمُ للحقِّ الذي جاءت به الرُّسُلُ، ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: ترفَّعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها، وفي هذا دليلٌ على عذاب البرزخ ونعيمه، فإنَّ هذا الخطابَ والعذاب المُوَجَّهَ إليهم إنما هو عند الاحتضار، وقُبيلَ الموتِ وبَعْدَهُ»(١).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

قال الحسنُ البَصْريُّ ـ رحمه الله ـ ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: «عذاب الدُّنيا، وعذاب القبر»(٢).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «الجمهور على أنَّ هذا العرض يكون في البَرْزَخ، وهو حُجَّةٌ في تثبيت عذاب القبر»(٣).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وفي «صحيح البخاري»(٤) من حديث البراء بن عازبٍ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «إذا أُقْعِدَ المُؤْمن في قَبْرِهِ أُتِيَ، ثمَّ شهِدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ محمّداً رسولُ الله، فذلك

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٢٦٥).
(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٣).
(٣) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٣).
(٤) «صحيح البخاري» (١٣٦٩).

قوله: ﴿يثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾. وفي روايةٍ أخرىٰ: «﴿يثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلتْ في عذابِ القَبْرِ».

وأمَّا أدلَّة عذاب القبرِ ونعيمِه من السُّنَّة المُطهرة - أيها الناسُ - فأكثرُ من أنْ تُحْصرَ، فمنها:

روىٰ أحمدُ في «مسنده»، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز»[1] من حديث البراء بن عازبٍ - رضي الله عنه - قال: «خَرَجْنَا مع النبيِّ - ﷺ - في جنازةِ رجلٍ من الأنصارِ، فانتهينا إلىٰ القبرِ، ولمَّا يُلحدْ، فجَلَسَ رسولُ الله - ﷺ - [مُسْتَقْبِلَ القِبْلَة]، وجَلَسْنا حولَهُ، وكأنَّ علىٰ رءوسِنا الطَّيرَ، وفي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ في الأرض، [فجعلَ ينظُرُ إلىٰ السَّماءِ، وينظُرُ إلىٰ الأرضِ، وجَعلَ يرفعُ بَصَرَهُ، ويَخْفِضُهُ ثلاثًا]، فقال: «استعيذوا بالله منْ عَذَابِ القَبْرِ» مرَّتين أو ثلاثًا [ثمَّ قال: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بك من عذابِ القَبْرِ - ثلاثًا -]، ثمَّ قال: «إنَّ العَبْدَ المُؤمنَ إذا كان في انْقِطَاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة - نَزَلَ إليه ملائكةٌ من السَّماءِ بيضُ الوُجوه، كأنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمسُ، معهم كَفَنٌ من أكفانِ الجنَّة، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنة، حتى يجلسوا منه مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يَجيءُ مَلَكُ الموتِ - عليه السلام -، حتى يجلسَ عندَ رأسِهِ، فيقولُ: أيَّتها النَّفسُ الطيِّبةُ (وفي

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود (٢/ ٢٨١)، والحاكم (١/ ٣٧، ٤٠)، والطيالسي (٧٥٣)، والآجري في «الشريعة» (٣٦٧، ٣٧٠)، وروىٰ النسائي (١/ ٢٨٢)، وابن ماجَهْ (١/ ٤٦٩، ٤٧٠) القسم الأول منه إلىٰ قوله: «وكأن علىٰ رؤسنا الطير»، وهو رواية أبي داود، وثمة رواية لأبي داود (٢/ ٧٠) بأخصر منه، وكذا أحمد (٤/ ٢٩٧)، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي، وهو كما قال، وصححه ابن القيم في «أعلام الموقعين» (١/ ٢١٤)، و«تهذيب السنن» (٤/ ٣٣٧).

وهنا تنبيه مهمٌّ: وهو أن العلامة المحدث الألباني - رحمه الله - هو الذي جمع رواية هذا الحديث، وساقه سياقًا واحدًا، ضامًّا إليه جميع الزوائد والفوائد التي وردت في جميع طرقه الثابتة في كتابه «أحكام الجنائز» (ص١٩٨ - ٢٠٢).

رواية: المُطْمَئِنَّةُ)، اخْرُجي إلى مَغْفرة منَ الله ورضوان. قال: فتَخْرُجُ تسيلُ كما تسيلُ القَطْرة منْ فيِّ السِّقاء، فيأخذُها، (وفي رواية: حتى إذا خرجتْ روحُهُ، صلَّى عليه كُلُّ مَلَك بَيْنَ السماء والأرض، وكُلُّ مَلَك في السَّماء، وفُتحتْ له أبوابُ السَّماء، ليس منْ أهلِ باب إلا وهُم يدْعون اللهَ أنْ يُعرَجَ بروحه منْ قبَلهم)، فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يَده طَرْفةَ عَيْن حتى يأخُذُوها، فَيجْعَلُوها في ذلك الكَفَن،وفي ذلك الحَنُوط، [فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]. ويَخْرُجُ منها كأطيب نَفحْة مسك وُجدَتْ على وَجْه الأرض. قال: فَيَصعدونَ بها، فلا يمرون بها يعني على ملأٍ من الملائكة، إلاَّ قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلان ـ بأحسنِ أسمائه التي كانوا يُسَمُّونه بها في الدُّنيا ـ حتى يَنْتَهُوا بها إلى السماء الدُّنيا، فَيَسْتَفْتِحون له، فيُفْتَح لهم، فَيُشيعُهُ منْ كُلِّ سماء مُقَرَّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: اكتبوا كتابَ عبْدي في علِّيِّين، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٩ - ٢١]. فيُكْتَبُ كتابُهُ في عِلِّيِّين]، ثمَّ يقالُ: أعيدُوهُ إلى الأرض؛ فإنِّي [وعدتهم أنِّي] منها خلقتهم،وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أُخرى، قال: فـ[يُرَدُّ إلى الأرض، و] تعاد روحه في جَسَده، [قال: فإنَّهُ يسمعُ خَفْقَ نعال أصحابه، إذا ولَّوا عنه] [مُدْبرين]، فيأتيه مَلَكان [شديدا الانتهار]، فـ [يَنْتَهرانه، و] يُجْلسانه، فيقولانِ له: مَنْ ربُّكَ؟. فيقول: ربِّيَ اللهُ. فيقولانِ له: ما دينُكَ؟. فيقولُ: دينيَ الإسلامُ. فيقولانِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعثَ فيكم؟. فيقولُ: هو رسولُ الله ـ ﷺ ـ.

فيقولان له، وما عَمَلُكَ؟. فيقولُ: قرأتُ كتابَ الله، فآمنتُ به، وصدَّقتُ.

فينتهرهُ فيقولُ: مَنْ ربُّك؟،وما دينُك، مَنْ نبيُّكَ؟ وهي آخر فتنة تُعرضُ على المُؤمن، فذلك حينَ يقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. فيقولُ: ربِّيَ اللهُ، ودينيَ الإسلامُ،ونبيِّي محمَّدٌ ـ صلى الله عليه

وسلم ـ فينادي مُناد في السماء: أنْ صَدَقَ عبْدي، فأفرشُوه من الجنة،وألبسوهُ من الجنَّة،وافتحوا له باباً إلى الجنَّة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسحُ له في قبره مدَّ بَصَره. قال: ويأتيه [وفي رواية: يُمثلُ له] رجلٌ حسنُ الوجه،حسنُ الثِّياب، طيِّبُ الرِّيحِ، فيقول: أبشرْ بالذي يَسُرُّكَ، [أبشر برضوان من الله وجنَّات فيها نعيمٌ مُقيمٌ]، هذا يومُك الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقولُ له: [وأنتَ فَبَشَّرَكَ اللهُ بخير] مَنْ أنتَ؟، فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالخير! فيقولُ أنا عملُك الصَّالحُ، [فوالله، ما عَلمتُكَ إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاكَ اللهُ خيراً]، ثمَّ يُفْتَحُ له بابٌ من الجنَّة،وبابٌ من النَّار، فيقالُ: كذا هذا منزلُك لو عَصَيْتَ اللهَ، أبْدلكَ اللهُ به هذا، فإذا رأى ما في الجنَّة، قال: ربِّ، عجِّلْ قيامَ السَّاعة؛ أرجعُ إلى أهلي ومالي، [فيقال له: اسكُن].

قال: وإنَّ العَبدَ الكافر [وفي رواية: الفاجرَ] إذا كان في انقطاعٍ من الدُّنيا، وإقبال من الآخرة ـ نزلَ إليه من السماء ملائكةٌ [غلاظٌ شدادٌ]، سُودُ الوُجُوه، معهمُ المسُوحُ [من النَّار]، فَيَجْلسون منه مدَّ البصرِ، ثمَّ يجيء مَلَكُ الموت، حتى يجلسَ عند رأسه، فيقولُ: أيَّتُها النَّفسُ الخبيثةُ، اخرجي إلى سخط من الله وغَضَب. قال: فتفرَّقُ في جَسَده، فينتزعها كما ينتزعُ السَّفُّودُ [الكثير الشعبِ] من الصُّوف المبلول، [فتُقطعُ معها العروقَ والعصَبُ]،[فيلعنهُ كلُّ مَلك بينَ السماء والأرض، وكلُّ ملك في السماء، وتُغلقُ أبواب السماء، ليس من أهلِ بابٍ إلا وهم يَدْعُون الله ألاَّ تَعرُجَ روحُهُ منْ قبَلهم]، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفةَ عَين، حتى يَجْعَلُوها في تلك المُسُوحِ،ويَخرج منها، كأنتن رِيحِ جيفة وُجِدتْ على وجه الأرض، فيصعدُون بها، فلا يمرُّون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانُ بْنُ فلان ـ بأقبح أسمائه التي كانَ يُسمَّى بها في الدنيا ـ حتى ينتهى به إلى السماء الدُّنيا، فَيُستفتحُ له، فلا يُفتَحُ له، ثمَّ قرأ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فيقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَهُ في سجِّين، في الأرضِ السُّفلَى، [ثمَّ يقالُ: أعيدوا عبْدي إلى الأرض؛ فإنِّي وعدتُهُم أنِّي منها خَلَقْتهُم، وفيها أُعيدُهم، ومن أُخرِجُهم تارةً أُخرى]، فَتُطْرحُ رُوحُهُ [منَ السماءِ] طَرْحًا، [حتى تقعَ في جَسَدِه].

ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتُعادُ روحُهُ في جَسَدِه. [قال: فإنَّهُ لَيَسْمع خَفْقَ نعَالِ أصحَابه، إذا ولَّوا عنه]، يأتيه مَلَكانِ [شديدا الانتهار، فَيَنْتَهِرانه، و] يُجلسانه، فيقولانِ له: مَنْ ربُّكَ؟.

[فيقول: هَاه هَاه، لا أدري. فَيَقُولانِ لهُ: ما دينُك؟ فيقولُ: هاه هاه، لا أدري].

فيقولان: فما تقولُ في هذا الرَّجُلِ الذي بُعثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيُقالُ: مُحمَّدٌ، فيقولُ: هاه هَاه، لا أدري، [سمعتُ الناسَ يقولون ذاك قال: فيُقالُ: لا دَرَيْتَ]، ولا تَلَوْتَ!]، فيُنادي مُنادٍ من السماء: أن كَذَبَ، فأفرشُوا له منَ النَّار، وافْتَحُوا له بابًا إلى النار، فيَأتيه منْ حرِّها وسَمُومِها، ويُضيَّقُ عليه قَبْرُهُ، حتَّى تَخْتلفَ فيه أضلاعُهُ، ويأتيه (وفي رواية: ويُمثلُ له) رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثِّياب، مُنْتنُ الرِّيح، فيقولُ: أبْشرَ بالذي يَسُوءُك، هذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ فيقولُ: [وأنتَ فَبَشَّرك اللهُ بالشَّرِّ] مَنْ أنتَ؟، فوجهُك الوجْهُ يجيءُ بالشَّرِّ! فيقولُ: أنا عملُك الخبيثُ، [فوالله، ما عَلمتُك إلا كُنتَ بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله]، فجزاك اللهُ شرًّا، ثمَّ يُقيَّضُ له أعمى أصمُّ أبْكَمُ، في يده مرْزَبَّةٌ، لو ضُربَ بها جَبلٌ كان تُرابًا، فيضربُهُ ضَرْبَةً، حتى يَصيرَ بها تُرابًا، ثمَّ يُعيدُهُ اللهُ كما كان، فيضربُهُ ضَرْبةً أُخرى، فيصيحُ صيحةً، يسمعُهُ كلُّ شيءٍ إلا الثَّقَلَين، ثمَّ يُفْتَحُ له بابٌ من النار، ويُمَهَّدُ مِن فُرُشِ النارِ]، فيقولُ: ربِّ، لا تُقمِ السَّاعةَ»

وأستغفر الله.



الخطبة الثانية

القبرُ أوَّلُ منازلِ الآخرةِ



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ عذاب القبرِ، ونعيمَهُ ثابتٌ بالكتابِ والسُّنةِ، فيجبُ علينا الإيمانُ بذلك.

قال شارح الطَّحاوية[1]: «قد تواترت الأخبارُ عَنْ رسولِ ـ ﷺ ـ في ثُبوتِ عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا تتكلَّمْ في كيفيَّتِه؛ إذ ليس للعَقْلِ وقوفٌ علىٰ كيفيَّتِه؛ لكونِه لا عَهْدَ له به في هذه الدَّارِ، والشَّرْعُ لا يأتي بما تُحيلُهُ العُقولُ، ولكنّه قد يأتي بما تُحارُ فيه العقولُ، فإنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إلىٰ الجَسدِ ليس علىٰ الوَجْهِ المَعْهُودِ في الدُّنيا، بل تُعادُ الرُّوحُ إليه إعادةً غيرَ الإعادةِ المألوفةِ في الدُّنيا».

أيُّها الناسُ، ألا ما أفظعَ عَذابَ القَبْرِ!، فقد أخرج ابن ماجَهْ بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح» سنن ابن ماجَهْ[2] من حديث هانئ مولىٰ عُثمان قال: كان عُثمانُ بن عفَّانَ ـ رضي الله عنه ـ إذا وقفَ علىٰ قبرٍ بكىٰ، حتىٰ يُبلَّ لحيتَهُ، فقيل له: تذكرُ الجنَّةَ والنَّارَ فلا تبكي، وتذكرُ القبرَ فتبكي؟!. فقال: إني سمعتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يقولُ: «**القَبرُ أوَّلُ منازلِ الآخرةِ، فإنْ نَجَا منْهُ فما بَعْدَهُ أيْسَرُ منه، وإنْ لم يَنْجُ منه فما بَعْدَهُ أشَدُّ منه**».

قال: وسمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «**ما رأيتُ مَنظَرًا ـ قطُّ ـ إلاَّ والقبرُ أفظعُ منهُ**».

---

(١) «شرح الطحاوية» (ص ٤٥٠).

(٢) رواه ابن ماجَهْ في «سننه» (٤٢٦٧)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٣٤٤٢)، و«المشكاة» (١/ ٤٨).

أيُّها الناسُ، لقد ضجَّ الصحابةُ بالبكاء ـ وهم خيرُ القرونِ ـ حين قام رسولُ الله ـ ﷺ ـ فيهم خطيبًا مذكِّرًا لهم بفتنة القبر.

ففي «صحيح البخاري»، و«سنن النسائي»[1] من حديث أسماء بنتِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنهما ـ قالت: «قام رسولُ الله ـ ﷺ ـ خطيبًا، فذكر فتنةَ القَبْرِ، التي يَفْتَتِنُ فيها المَرْءُ، فلمَّا ذَكَرَ ذلك ضجَّ المسلمون ضجَّةً» وزاد النَّسائيُّ: «حَالَتْ بَيْني وبَينَ أنْ أَفْهَمَ كلامَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، فلمَّا سكنتْ ضَجَّتُهم، قلتُ لرجلٍ قريبٍ مني: أَيْ بارك اللهُ لك، ماذا قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ آخرَ قَوْلِهِ؟ قال: «**قَدْ أُوحيَ إليَّ أنَّكم تُفتنون في القُبُورِ قريبًا مِنْ فِتْنةِ الدَّجَّالِ**».

أيُّها الناسُ، استعيذوا بالله من عذابِ القبرِ، فإنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ كان يستعيذُ بالله مِنْ عذابِ القبرِ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ.

ففي «صحيح البخاري»[2] من حديث أُمِّ المُؤمنين عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ:

أنَّ يَهُوديَّةً دخلتْ عليها، فذكرتْ عذابَ القبرِ، فقالتْ لها: أعاذكِ اللهُ مِنْ عذابِ القبر! . فسألتْ عائشةُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ عَنْ عذابِ القَبْرِ، فقال: «**نعم، عذابُ القبر حَقٌّ**» قالت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ: «فما رأيتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ بَعْدُ صلَّى صلاةً إلا تعوَّذَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ».

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذابِ القبرِ، اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذابِ القبرِ، اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذابِ القَبْرِ.

اللهمَ إنَّا نعوذُ بك من العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبنِ، والهَرَمِ، والبُخلِ، ونعوذُ بك من عذابِ القبْرِ، ومِنْ فِتنةِ المحيا والممات.

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٣)، وسنن النَّسائيُّ (٢٠٦٢).
(٢) «صحيح البخاري» (١٣٧٢).




الخطبة الأولى

ب. القيامة

إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيَّها الناسُ، إنَّ الإيمانَ بيومِ القيامة من أُصولِ الإيمان، فيومُ القيامةِ هو اليوم الآخرُ، الذي لا يتمُّ إيمان المَرءِ المُسلمِ إلاَّ به[1].

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) انظر «اليوم الآخر القيامة الكبرى» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد استفدت منه كثيرًا.

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديثِ جبريلَ الطَّويلِ، وسُؤالِهِ النَّبيَّ - ﷺ - عن الإيمان، بَعدَ أنْ سألهُ عن الإسلامِ، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «أنْ تُؤْمنَ باللهِ، وملائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخرِ، وتُؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه».

أيها الناسُ، إنَّ الساعةَ آتيةٌ لا مَحَالةَ، وذلك يومَ يُنْفخُ في الصُّورِ، فتَنْهي هذه النَّفْخةُ الحياةَ في الأرضِ والسماءِ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وهي - أيها الناسُ - نفخةٌ هائلةٌ مُدَمِّرةٌ يسمعُها المَرْءُ، فلا يستطيع أن يُوصيَ بشيءٍ، ولا يقدرُ علىٰ العودةِ إلىٰ أهلِه.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩-٥٠].

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «ولَتَقُومَنَّ الساعةُ، وقد نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُما بَيْنَهما، فلا يَتَبايَعَانه، ولا يطويانه، ولَتَقُومنَّ الساعةُ، وقد انصرفَ الرَّجُلُ بلَبَنِ لِقْحَتِه، فلا يَطْعَمُهُ، ولَتَقُومنَّ الساعةُ، وهو يُلِيطُ حَوْضَهُ، فلا يَسْقي فيه، ولَتَقُومنَّ الساعةُ، وقدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فيه، فلا يَطْعَمُها».

إنَّ هذا الحديثَ - أيها الناسُ - ليُبيِّنُ لنا بجلاءٍ سُرْعَةَ هلاكِ النَّاسِ، حينَ تقومُ الساعةُ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٧١٢١)، واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٤).

والصُّورُ ـ أيها الناسُ ـ: قرنٌ يُنْفَخُ فيه، كما أخبرنا بذلك النَّبيُّ ـ ﷺ ـ.

ففي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»، وحسنه الألباني[1] من حديث عبد الله ابن عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ـ ﷺ ـ فقال: ما الصُّورُ؟.

قال: **«الصُّورُ: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيْهِ»**.

وقد أخبرنا الرَّسولُ ـ ﷺ ـ أنَّ صاحبَ الصُّورِ مُسْتعدٌّ دائمًا للنفخِ فيه ـ مُنذُ أن خَلَقَهُ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ.

فقد أخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ صحيح، ووافقه عليه الذهبيّ، والألباني في «الصحيحة»[2] من حديث أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«إنَّ طَرْفَ صاحبِ الصُّورِ ـ مُنذُ وُكِّلَ به ـ مُستعدٌّ، ينظرُ نَحْوَ العَرْشِ مخافةَ أن يُؤمرَ قبلَ أن يَرْتَدَّ إليه طَرْفُهُ، كأنَّ عَيْنَيْه كوكبانِ دُرِّيَّانِ»**.

وفي هذا الزَّمان ـ أيها الناسُ ـ أصبح إسْرافيلُ أكثرَ استعداداً للنَّفخِ في الصُّورِ.

فقد أخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «الصحيحة» لشواهده[3] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«كيف أنْعَمُ، وقد التقَمَ صاحبُ القَرْنِ القَرنَ، حَنَى جَبْهَتَهُ، وأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتظرُ أنْ يُؤمَرَ أنْ يَنْفُخَ، فَيَنْفُخ»**.

قال المسلمون: فكيف نقولُ يا رسول اللهِ؟. قال: **«قولوا: حسْبُنا اللهُ، ونِعْمَ الوكيلُ، وتوكَّلنا على اللهِ ربِّنا»**.

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠): حسن صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٧).

(٣) أخرجه الترمذي (١/ ٧٠/ ٣١٦)، وصححه الألباني لشواهده في «الصحيحة» (١٠٧٩).

اليومُ الذي تكونُ فيه النَّفْخةُ - أيها الناسُ - هو يومُ الجُمُعة.

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «خيرُ يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمسُ يومُ الجُمُعة: فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنَّةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقومُ السَّاعةُ إلاَّ في يومِ الجُمُعة».

وفي كُلِّ يومِ جُمُعةٍ تكونُ المَخلوقات كُلُّها خائفةً مُشْفِقة إلاَّ الجنَّ والإنس

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[٢]، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «خَيْرُ يومٍ طَلَعَتْ فيه الشَّمسُ يومُ الجُمُعة: فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه هَبَطَ، وفيه تيبَ عليه، وفيه مات، وفيه تقومُ السَّاعةُ، وما منْ دابَّةٍ إلاَّ وهي مُصِيْخَةٌ (أي مُنتظرة قيامَ الساعة) يومَ الجُمُعة، منْ حِيْنِ تُصْبِحُ، حتى تَطْلُعَ الشَّمسُ شفقًا من السَّاعة إلاَّ الجنَّ والإنسَ».

والذي يظهرُ - أيها الناس - أنَّ إسرافيل يَنْفخ في الصُّورِ مرَّتين: الأولى يحصلُ بها الصَّعقُ، والثانيةُ يَحصُلُ بها البَعْثُ.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وسمَّى اللهُ - سبحانه وتعالى - النَّفخةَ الأولى بالرَّاجفة، والنَّفخة الثانيةَ بالرَّادفة

قال - سبحانه وتعالى -: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧].

---

(١) رواه مسلم (٨٥٤).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٢٤)، وقال الألباني في «المشكاة» (١٣٥٩): حسن صحيح.

وبعدَ النَّفخةِ الثانيةِ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين.

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ثمَّ يُنْفَخُ في الصُّور، فلا يَسْمَعُهُ أحَدٌ إلاَّ أصغى ليتًا، ورَفَعَ ليتًا، - قال: - وأوَّلُ مَنْ يسمعُهُ رجلٌ يَلُوطُ حَوضَ إبله - قال: - فَيَصْعَقُ، ويَصْعَقُ الناسُ، ثمَّ يُرسلُ اللهُ - أو قال: يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا، كأنَّه الطَّلُّ أو الظِّلُّ، (نعمان أحدُ رواةِ الحديثِ هو الشاكُّ) فَتَنْبُت منه أجسادُ الناسِ، ثمَّ يُنْفَخُ فيه أُخرى، فإذا هم قيامٌ يَنْظَرون».

والإنسانُ - أيَّها الناسُ - يَتَكَوَّنُ من عظْمٍ صغير، عندما يُصيبُهُ الماءُ ينمُو نُمُوَّ البَقْلِ، والعظمُ هوعَجْبُ الذَّنَبِ، وهو عظمُ الصُّلبِ المُستديرُ الذي في أصلِ العَجُزِ، وأصلِ الذَّنَبِ.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ما بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، ثمَّ يَنْزِلُ اللهُ من السماء ماءً، فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، وليس مِنَ الإنسانِ شيءٌ إلاَّ يَبْلَى إلاَّ عظمًا واحدًا، وهوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة».

وفي لفظ مسلمٍ: «إنَّ في الإنسان عَظْمًا، لا تَأكُلُهُ الأرضُ أبدًا، فيه يُرَكَّبُ يومَ القيامة» قالوا: أيُّ عظمٍ هو يا رسولَ اللهِ؟ قال: «عَجْبُ الذَّنَبِ».

وأول من يُبْعَثُ وتنشقُّ عنه الأرض - أيَّها الناس - هو نبيُّنا محمَّدٌ - ﷺ -

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠).
(٢) رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).
(٣) رواه مسلم (٢٢٧٨).

رسـول الله ـ ﷺ ـ: «أنا سيِّدُ ولَدِ آدمَ يومَ القيامةِ، وأوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنهُ القَبْرُ، وأوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مُشَفَّعٍ».

ويُحْشَرُ العبادُ ـ أيها الناسُ ـ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً (أي: غَيْرَ مختونين).

ففي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: خَطَبَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ فقال: «**يأيُّها الناسُ، إنكُمْ مَحْشُورون إلى الله حُفَاةً عُراةً غُرْلاً**» ثمَّ قرأ: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

قال ابن عُثيمين ـ رحمه الله ـ: «وما يدخلُ في الإيمان باليومِ الآخرِ البَعْثُ، فالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يَبْعثُ الأجسادَ يومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً.

حُفاةً: ليس عليهم نِعالٌ ولا خِفاف (أي: ليس عليهم لباسُ رِجْلٍ).

عُراةً: ليس عليهم لباسُ بَدَنٍ. غُرْلاً: أي غيرَ مختونين.

وفي بعض الأحاديث: (بُهْمًا) أي: ليس معهم مالٌ، بل كُلُّ واحدٍ وَعَمَلُهُ

والبعثُ ـ أيها الناسُ ـ هُنا إعادةٌ، وليس تجديدًا،

كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ**﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ولأنه لو كان خلقًا جديدًا، لكان الجسدُ الذي يعملُ السيِّئات في الدُّنيا سالمًا من العذابِ، ويُؤْتىٰ بجسدٍ جديدٍ فَيُعَذَّبُ، وهذا خلافُ العدلِ، فالنَّصُّ والعَقْلُ قدْ دلاَّ علىٰ أنَّ البَعْثَ ليس تجديدًا، ولكنَّه إعادةٌ.

ولكنْ يبقى النظرُ، كيف تكونُ إعادته، والإنسان ربَّما يموتُ، فتأكلُهُ السِّباعُ،

---

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

ويتحوَّلُ من اللَّحم إلىٰ الدَّمِ في الحيوانِ الآكلِ، وَرَوثٍ، وما أشبَهَ ذلك؟!

فيُقالُ: إنَّ اللهَ علىٰ كُلِّ شيءٍ قديرٌ، يقولُ للشيء: كُنْ، فيكونُ، فيأمرُ اللهُ هذه الأجسادَ، التي تفرَّقتْ، وأُكِلتْ، وطارتْ بها الرِّياحُ - أنْ تعودَ فتعودُ»[1].

والأرضُ التي يُحْشَرُ عليها الناسُ يومَ القيامة أرضٌ أخُرى غيرُ هذه الأرض.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾** [إبراهيم: ٤٨].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث سَهْلِ بن سَعْدٍ - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقولُ «**يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ، كقُرْصةِ النَّقيِّ** - قال سَهْلٌ أو غيرُهُ: - **ليس فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ**»

ومعنىٰ عَفْراءَ: أي خالصةُ البَياضِ ومعنىٰ النَّقيِّ: أي الدّقيقُ.

ومعنىٰ المَعْلَم: أي العلامةُ التي يُهْتَدَىٰ بها إلىٰ الطريق.

وأفادنا الرَّسولُ - ﷺ - أنَّ الوقتَ الذي يتمُّ منه هذا التبديلُ هو وقتُ مُرورِ الناسِ علىٰ الصراطِ، أوقَبلَ ذلك بقليلٍ.

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: سألتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - عن قوله - عزَّ وجلَّ -: **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾** [إبراهيم: ٤٨]. فأين يكونُ الناسُ يا رسولَ اللهِ؟. قال: «**على الصِّراط**».

---

(١) «دروس وفتاوىٰ في الحرم المكِّيِّ» لابن عثيمين (ص٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٩١).

وفي «صحيح مسلم» - أيضًا -[1] من حديث ثوْبانَ أنَّ حِبْرًا من أحبار اليهودِ سأل رسولَ اللهِ - ﷺ - فقال: أين يكونُ الناسُ يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ؟. فقال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «**هُمْ في الظُّلمَةِ دُوْنَ الجِسرِ**». والمرادُ بالجِسْرِ: الصِّراطُ.

وأستغفر الله.

---

(١) رواه مسلم (٣١٥).



الخطبة الثانية
أهوال يوم القيامة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حولَ النَّفخِ في الصُّورِ، والبَعْثِ والنُّشُورِ، والآنَ حديثي معكم عن بَعْضِ أهوالِ يوم القيامةِ.

أيها الناسُ، يومُ القيامةِ يومٌ عظيمٌ أَمْرُهُ، شديدٌ هَوْلُهُ، لا يُلاقي العبادُ مثْلَهُ، فالمُرْضعةُ تَذْهلُ عن وليدِها، والحامل تضعُ حَمْلَهَا، وحالُ الناسِ كحالِ السكارىٰ الذين فقدوا عُقُولَهُم.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

وأخبرنا الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أنَّ أرضنا الثابتةَ، وما عليها من جبالٍ صُمٍّ راسيات ـ تُحْمَلُ يومَ القيامةِ، عندما يُنْفَخُ في الصُّورِ، فتُدكُّ دَكَّةً واحدةً.

قال ـ سبحانه ـ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٣، ١٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

وعندَ ذلك ـ أيها الناسُ ـ تتحولُ هذه الجبالُ الصلبةُ القاسية إلى رَمْل ناعم، كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

وفي يوم القيامة تُزالُ الجبالُ من مواضعِها، وتُسَوى الأرضُ، حتىٰ لا يكونَ مُوضعٌ مرتفعٌ، ولا مُنْخَفِضٌ

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

ومعنىٰ بارزة: أي ظاهرة، لا ارتفاع فيها، ولا انخفاضَ

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ـ١٠٧].

وأمَّا البحارُ ـ أيَّها الناسُ ـ فإنَّها تُفجَّرُ في ذلك اليوم، فإذا فُجِّرتْ تُسْجَرُ، وتشتعلُ ناراً.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وأمَّا السماءُ الجميلةُ ـ أيها الناسُ ـ فإنَّها تَنفطرُ وتتشقَّقُ،وتَمُورُ مَوَرانًا ليس من مصادر الفعل خطأ (مار) مَوْرًا طبقًا للآية.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١، ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

وأمَّا الشمسُ ـ أيها الناسُ ـ فإنَّها تُجْمعُ وتُكَوَّرُ، ويذْهبُ ضَوْءُها.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

وأمَّا القمرُ فإنَّه يَخْسِفُ، ويَذْهَبُ ضَوْءُهُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧، ٨].

وأمَّا النجوم فإنَّ عِقْدَها يَنفَرِطُ، فتتناثرُ وتنكدرُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢].

أيُّها الناسُ ذلك بعضٌ ممَّا جاء في وَصفِ القيامةِ.

وممَّا قيل في وَصْفِ ذلك اليوم العظيم مِنَ الشِّعْرِ:

مَثِّلْ لنفسِكَ أيُّها المَغْرورُ ... يومَ القيامةِ، والسماءُ تَمُورُ

إذ كُوِّرَتْ شمسُ النَّهارِ وأُدْنِيَتْ ... حتى عَلَى رَأسِ العِبادِ تَسيرُ

وإذا النجومُ تساقطتْ وتناثرتْ ... وتبدَّلتْ بَعْدَ الضِّياءِ كُدُورُ

وإذا البِحارُ تَفجَّرتْ مِنْ خوفِها ... ورأَيْتَها مِثْلَ الجحيمِ تَفُورُ

وإذا الجِبالُ تَقَلَّعتْ بأُصُولِها ... فرأيتَها مِثْلَ السحابِ تسيرُ

وإذا العِشَارُ تَعَطَّلتْ وتخرَّبَتْ ... خَلَت الدِّيارُ، فما بها مَعْمُورُ

وإذا الوُحُوشُ لَدَى القيامةِ أُحشِرَتْ ... وتقولُ للأملاكِ: أَيْنَ نَسيرُ

وإذا تُقاةُ المُسلمين تَزَوَّجتْ ... مِنْ حُورِ عِينٍ، زانَهُنَّ شُعُورُ

وإذا المَوْءُودةُ سُئِلتْ عَنْ شَأْنِها ... وبأيِّ ذَنْبٍ قتْلُها ميسُورُ

وإذا الجليلُ طَوَى السَّماءَ بيَمِينِه ... طيَّ السِّجلِّ كِتابَهُ المَنْشُورُ

وإذا الصَّحائفُ نُشِرَتْ، فتطايرتْ ... وتَهَتَّكَتْ للمُؤْمنين سُتُورُ

وإذا السَّماءُ تَكَشَّطتْ عَنْ أهْلِها ... ورأيتَ أفْلاكَ السَّماءِ تَدُورُ

وإذا الجحيمُ تَسَعَّرتْ نيرانُها   فَلَها على أهلِ الذُّنوبِ زَفيرُ
وإذا الجنانُ تزَخْرَفَتْ وتَطَيَّبتْ   لِفتىً على طُولِ البلاءِ صَبُورُ
وإذا الجَنينُ بأُمِّه مُتَعَلِّقٌ   يَخْشَى القِصاصَ، وقَلْبُهُ مَذْعُورُ
هذا بلا ذَنْبٍ يَخافُ جنينَهُ   كيف المُصِرُّ على الذُّنوبِ دُهُورُ؟!

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهمَّ أصلحْ لنا دينَنا الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِنا، وأصلحْ لنا دنْيانا التي فيها مَعَاشُنا، وأصلحْ لنا آخرَتَنا التي فيها مَعَادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كُلِّ خيرٍ، واجعلِ المَوْتَ راحةً لنا من كُلِّ شرٍّ.



الخطبة الأولى

ج. حالُ العُصاةِ يومَ القيامةِ



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليوم عَنْ حالِ عُصاةِ المُؤمنين يومَ القيامةِ،

وقبل الحديث أُنَبِّهُ إلى ما قرَّرَهُ أهلُ السُّنَّة والجماعة أنَّه لا يجوزُ تكفيرُ أَحَدٍ منْ أهلِ القِبْلَة بذنبٍ يرتكبُهُ، إلا مَنْ جاءَ تكفيرُهُ بالكتابِ والسُّنَّة، وقامتْ عليه الحُجَّةُ، وانتفتْ في حقِّهِ عَوَارضُ الإكراهِ، أو الجَهْلِ، أو التَّأويل، ممَّا يَسُوغُ فيه

ذلك، كما أنه لا يجوزُ الشَّكُّ في كُفْرِ مَنْ حَكَمَ اللهُ - سبحانه وتعالى - ، أو رسولُهُ - ﷺ - بكُفْرِهِ من المشركين، واليَهُودِ، والنَّصارىٰ، وغيرهم.

ومن هُنا يُعْلَمُ - أيها الناسُ - أنَّ أَهْلَ التوحيدِ الذين لم يُشركوا بالله شيئًا، ولم يأتُوا بناقضٍ من نواقض الإسلام، ولكن اقترفوا ما اقترفوه من الذُّنوبِ والمعاصي - هم بذلك تحتَ مشيئةِ الله : إنْ شاءَ عذَّبهم، وإن شَاءَ غَفَرَ لهم.

كما قال الله - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء : ٤٨].

أيُّها الناسُ، إنَّ من الناسِ مَنْ قارف ذُنوبًا، تُوقِعُهُ في أهوالٍ ومشقَّاتٍ يومَ القيامةِ، لكنَّها لم تُوجِبْ لهمُ الخُلُود في النَّارِ، إنْ دَخَلُوها.

أيُّها الناسُ، لقد دلَّتْ نُصُوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ أنَّ عُصاةَ المُؤمنين الذين لم يتوبوا من تلك المعاصي - مُدْرِكُهُمُ البلاءُ في ذلك اليومِ العظيمِ، فمن ذلك :[(١)]

حال المُتكاسل عَنِ الصَّلاةِ والمُتَهاونِ بها:

أيُّها الناسُ، ليس مقصودنا الحديث عَنْ تاركِ الصَّلاةِ، فذلك قد كفَّره جمْعٌ من أهل العلمِ - وهو الصحيح -

لما في «سنن التِّرمذي، والنسائي» بسند صحيح[(٢)] من حديث بُرَيْدَةَ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «**العَهْدُ الذي بَيْنَنا وبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَها فَقَدْ كَفَرَ**».

ولما في «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث جابرٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله

(١) انظر «من أحوال الناس بعد الموت» للشايع (ص٢٧، ٢٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) رواه مسلم (٨٢).

ـ ﷺ ـ: «إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ».

وإنما حديثُنا معكم ـ أيُّها الناسُ ـ عن حالِ المُتهاونِ بالصَّلاةِ بتأخيرها عَنْ وقتِها، أو النوم عنها، أو التقصير في أدائِها على الوَجْهِ المأمور به، فذلك مُتَوَعَّدٌ بالعقاب؛

لما في «صحيح البخاري»[1] من حديث سَمُرةَ بن جُندبٍ ـ رضي الله عنه ـ في حديثِ المنامِ الطَّويلِ، وفيه قولُهُ ـ ﷺ ـ: «وإنَّا أَتَينا على رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وإذا آخَرُ قائمٌ عليه بصَخْرة، وإذا هو يَهْوِي بالصَّخْرة لرأسه، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ (أي يَشْدَخُهُ ويَشُقُّهُ)، فَيَتَهَدْهَدُهُ (أي يَتَدَحْرَجُ) الحجرُ هَاهُنا، فيَتْبَعُ الحَجَرَ، فيأخذُهُ، فلا يَرْجِعُ إليه، حتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كما كان، ثم يعُودُ عليه، فيَفْعَلُ به مِثْلَما ما فَعَلَ به المرَّةَ الأولى»

وجاء في تفسيرِهِ أنَّه: «الرَّجُلُ يأخذُ القرآنَ، فيرفُضُهُ، وينامُ عَنِ الصلاةِ المكتوبة»

وأمَّا حالُ مانعِ الزَّكاة:

فإنَّه يُعذَّبُ بمالِهِ يوم القيامةِ، فإنْ كان مالُهُ من الذَّهبِ والفِضَّةِ؛ جُعِلَ صَفائحَ من نارٍ، ثمَّ عُذِّب به صاحبُهُ، وإن كان المالُ حَيوانًا، أُرسِلَ على صاحبِهِ، فعُذِّبَ به.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ آتاه اللهُ مالاً، فلم يُؤَدِّ زكاتَهُ، مُثِّلَ لهُ يَوْمَ القيامة شُجاعًا أَقْرعَ

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٣).

(أي: الحيَّةَ الذَّكَرَ المُتساقط شَعْرُ رأسِهِ لكثرةِ سُمِّه)، له زَبيبتان (أي نُقْطتان سَوْدَاوان فوقَ عَيْنَيه)، يُطَوَّقُهُ يومَ القيامة، ثمَّ يأخذُ بلهزَمَيه ـ يعني شِدْقَيْه ـ، ثمَّ يقولُ: أنا مالُكَ، أنا كَنْزُكَ، ثمَّ تلاَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللـه ـ ﷺ ـ: «ما منْ صاحبِ ذهبٍ ولا فضةٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها ـ إلاَّ إذا كانَ يَوْمُ القيامة، صُفِّحَتْ له صفائحُ من نارٍ، فأُحْمِيَ عليها في نارِ جهنَّمَ، فيُكْوى بها جَنْبُهُ، وجَبِينُهُ، وظَهْرُهُ، كُلَّما بَرَدَتْ أُعيدَتْ له، في يومٍ كان مقْدارُهُ خمسين أَلْفَ سنةٍ، حتى يُقضَى بَيْنَ العبادِ، فَيُرَى سبيلُهُ: إمَّا إلى الجنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ».

قيل: يا رسول اللهِ، فالإبلُ؟

قال: «ولا صاحبُ إبلٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها ـ ومنْ حقِّها حَلْبُها يومَ وِرْدِها ـ إلاَّ إذا كان يومُ القيامةِ، بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقرٍ (أي: بُسطَ لها بصَحْراءَ مُستويةٍ) أَوفَرَ ما كانتْ، لا يَفْقدُ منها فَصيلاً واحدًا (والفصيلُ: ولدُ النَّاقةِ، إذا فُصِلَ عن أُمِّه)، تطؤُهُ بأَخْفَافِها، وتَعَضُّهُ بأفواهها، كُلَّما مرَّ عليه أُولاَها، رُدَّ عليه أُخْرَاها، في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين أَلفَ سنةٍ، حتى يُقضى بينَ العبادِ، فيُرى سبيلُهُ: إمَّا إلى الجنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ».

قيل: يا رسولَ اللهِ، فالبقرُ والغَنَمُ؟

قال: «ولا صاحبُ بَقرٍ، ولا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها، إلاَّ إذا كان يومُ القيامةِ، بُطحَ لها بقاعٍ قرْقرٍ، لا يَفقدُ منها شيئًا، ليس فيها عَقْصَاءُ (أي: مُلْتويةُ القَرنين)، ولا جَلْحَاءُ (أي التي لا قَرنَ لها)، ولا عَضْبَاءُ (أي مكسُورةُ القَرْنِ)، تَنْطحُهُ بقُرونها،

(١) تقدم تخريجه.

وتَطؤُه بأظْلافها، كُلَّما مرَّ عليه أولاها، ردَّ عليه أخراها، في يوم كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنة، حتى يُقضى بَيْنَ العبادِ، فيرى سبيلهُ: إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار».

وأمَّا حالُ أكَلة الرِّبا: فقد وصفَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ حالهُمْ بأنَّهم يُبعثون يومَ القيامةِ في حالٍ مُنكرةٍ:

فقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أي: إنهم لا يقومون من قبورهم ـ يومَ القيامة ـ إلا كما يقومُ المَصروعُ حالَ صَرعِهِ، وتخبُّطِ الشيطانِ له، وذلك أنه يقومُ قياماً مُنْكَراً.

وفي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث سمرةَ بن جُندبٍ ـ رضي الله عنه ـ في حديث المنام الطويل، وفيه قولهُ ـ ﷺ ـ: «**فأتينا على نَهَرٍ ـ حسبت أنه كان يقول: ـ أَحمرَ مثلِ الدَّمِ وإذا في النَّهرِ رجلٌ سابحٌ يسبحُ، وإذا على شطِّ النهرِ رجلٌ، قد جمَعَ عندَهُ حجارةً كثيرةً، وإذا ذلك السَّابحُ يسْبحُ ما يَسْبَحُ، ثمَّ يأتي ذلك الذي قد جَمَعَ عندهُ الحجارةَ، فَيَفغَرُ له فَاهُ، فَيُلْقِمهُ حجراً، فينطلقُ يَسْبحُ، ثمَّ يَرجعُ إليه، كُلَّما رجعَ إليه، فَغَرَ لهُ فاهُ، فألْقَمهُ حَجراً**».

وذكر في تفسيره أنَّه: «**آكلُ الرِّبا**».

قال ابن هُبَيْرَةَ ـ رحمه الله ـ كما في «فتح الباري»[(٢)]: «إنَّما عُوقِبَ آكلُ الرِّبا بسباحتِهِ في النَّهرِ الأحمرِ، وإلقامِهِ الحجارةَ؛ لأنَّ أصل الرِّبا يجري في الذَّهب، والذَّهب أحمرُ، وأمَّا إلقامُ المَلكِ له الحَجرَ، فإنَّه إشارةٌ إلى أنَّه لا يُغني عنه

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤٥).

شيئًا، وكذلك الرِّبا، فإنَّ صاحبَهُ يتخيَّلُ أنَّ مالَهُ يزدَادُ، واللهُ مِنْ ورائِهِ يَمحقُهُ».

وأمَّا حالُ الزُّناةِ والزَّواني: فحالهم أشنعُ،

ففي «صحيح البخاري»[1] من حديث سمرةَ بن جُندبٍ - رضي الله عنه - في حديث المنامِ الطويلِ، إذ يقولُ - ﷺ -: «**فأتَيْنا على مثْلِ التَّنُّورِ** (وفي روايةٍ له: **أعلاه ضيِّقٌ، وأَسْفَلُهُ واسعٌ يَتوَقدُ تحتَهُ نارًا**) - قال: وأحسبُ أنَّه كان يقولُ: **فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ فاطَّلعنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ مِنْ أسفَلَ منهم، فإذا أتاهُم ذلك اللَّهبُ ضَوْضَوا** (أي: صاحوا)...» وجاء في تفسيرِهِ أنَّهم: «**الزُّناة والزُّواني**».

قال الحافظ ابن حجرٍ - رحمه الله - كما في «الفتح»[2]: «مُناسبةُ العُرْيِ لهم لاستحقاقهم أن يُفضحوا؛ لأنَّ عادتَهُم أن يستتروا في الخلوَةِ، فعُوقِبوا بالهَتكِ، والحكمةُ في إتيانِ العذابِ مِنْ تَحتِهِمْ كَونُ جِنايتهمْ مِنْ أعضائهِمُ السُّفْلى».

- وممَّا جاء في حال المُغتابين، والنمَّامين:

ما أخرج الإمام أحمدُ في «مُسندهِ»، وأبو داود في «سننه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**لمَّا عُرِجَ بي، مَررتُ بقومٍ لهم أَظْفَارٌ مِنْ نُحاسٍ، يَخْمِشُونَ** (أي: يَجْرحون) **وُجُوهَهُم وصُدُورَهُم، فقلتُ: مَنْ هؤلاءِ يا جبْريلُ؟**

قال: هؤلاء الذين يأكُلونَ لُحومَ الناسِ، ويَقَعُونَ في أعْراضِهِمْ»

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤٣).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود (٤٨٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢١٣)

ومما جاء في حال الكذّابِ يوم القيامة:

ما أخرجه البخاري في «صحيحه»[(١)] من حديث سمُرة بن جُندبٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ في حديث المنام الطويل، قال: «فأتينا على رجلٍ مُسْتَلق لقَفَاهُ، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكلُّوبٍ منْ حديد (أي: حديدة مُعْوَجَّة الرَّأسِ)، وإذا هو يأتي أحدَ شقَّيْ وَجْهِه، فيُشَرْشِرُ (أي: يُقطِّعُ) شدْقَهُ (أي: زاوية فمِه) إلى قفاهُ، ومَنْخِرَهُ إلى قَفاهُ، وعَيْنَهُ إلى قَفَاهُ ـ قال: ـ ثمَّ يتحوَّل إلى الجانبِ الآخرِ، فيَفعلُ به مثلَما فَعلَ بالجانبِ الأوَّل، فما يَفرُغُ من ذلك الجانبِ، حتى يَصِحَّ ذلك الجانبُ كما كان، ثمَّ يعودُ عليه فيفعل مثلَما فعل المرَّةَ الأُولى». وجاء في تفسيره أنَّه: «الرَّجلُ يَغدو من بيتِه، فيكذبُ الكَذْبةَ، تبْلغُ الآفاقَ».

ومَّا جاء في حالِ مَن يتجسَّسُ على الناسِ، ويستمعُ إليهم، وهم له كارهون:

ما أخرجه البخاري في «صحيحه»[(٢)] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «مَن استمعَ إلى حديث قومٍ ـ وهُم له كارهونَ، أو يَفرُّون منه ـ صبَّ في أُذُنِه الآنُكُ (أي: الرصاصُ المذابُ) يوم القيامةِ».

ومما جاء في حالِ المصوِّرين يوم القيامة:

ما في «الصحيحين»[(٣)] من حديث عبد الله بن عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول اللهِ ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ الذين يصنعونَ هذه الصُّورَ يُعَذَّبونَ يَوْمَ القيامة، يُقالُ لهم:

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) رواه البخاري (٧٠٤٢).

(٣) رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٣/١٦٦٨).

أَحْيُوا ما خَلَقْتُم».

وفي «الصحيحين» - أيضًا - [١] من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول اللهِ - ﷺ - يقولُ: «إنّ أشدَّ الناسِ عذابًا عندَ اللهِ يومَ القيامةِ المُصوِّرونَ».

وأستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).



الخطبة الثانية

حالُ العصاةِ يومَ القيامة



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسَلينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديث عن بعضِ أحْوالِ عُصاةِ المُؤمنين يومَ القيامةِ، وفيما يأتي ذِكرُ بعضِ أحوالِهم، فمن ذلك:

ـ حال من يسألُ الناسَ وعندهُ ما يُغنيه:

ففي «سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني [1] من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«مَنْ سَأَلَ ـ وله ما يُغْنِيْهِ ـ جاءتْ مسألتُهُ يومَ القيامةِ خُدُوشًا ـ أوْ خُمُوشًا، أو كُدُوحًا ـ في وجْهِهِ»** قيل: يا رسول الله، ما يُغْنِيهِ؟. قال: **«خَمْسونَ دِرْهمًا، أو قيمتُها منَ الذَّهَبِ»**.

ـ ومِمَّا جاء في حالِ المتكبِّرين:

أخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «المشكاة» [2] من حديث عمرو بن شُعيبٍ عن أبيه عن جدِّهِ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: **«يُحْشرُ المتكبِّرون أمثالَ الذَّرِّ يومَ القيامة، في صُورِ الرِّجالِ، يَغْشاهُمُ الذُّلُّ منْ كُلِّ مكان، يُساقون إلى سجنٍ في جهنَّم، يُسمَّى بُولَسَ، تعلوهم نارُ الأنيارِ، يُسْقَوْنَ منْ عُصارةِ**

---

(١) رواه أبو داود (١٦٢٦) والترمذي (٦٥٠) والنسائي (٥/ ٩٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٢) وصححه الألباني في «المشكاة» (٥١١٢).

أهلِ النّار، طينة الخَبال».

والذَّرُّ ـ أيُّها الناسُ ـ: هي صغارُ النمل التي لا يعَبأُ بها أحدٌ، فتوطأُ مِن غيرِ شُعورٍ.

ـ ومِمَّا جاء في حالِ الحاكمِ أو المَسْئُولِ الذي يَحْتَجِبُ عنِ الرَّعيةِ:

ما أخرج الإمامُ أحمد في «مسنده» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»[١] من حديث مُعاذ بن جبلٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**مَن وليَ منْ أمرِ المُسلمين شيئًا، فاحتجَبَ عَنْ أولي الضَّعفةِ والحاجةِ ـ احتجبَ اللهُ عنهُ يومَ القيامة**».

ـ ومِمَّا جاء في حالِ مَنْ يتناولُ المُسكراتِ: كالخمرِ وغَيرِه:

ما أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[٢] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**كُلُّ مُسْكرٍ حرامٌ، إنَّ على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عهدًا لمنْ يَشْرَبُ المُسكرَ أن يَسْقيهُ من طينة الخَبَال**». قالوا: يا رسول اللهِ، وما طينةُ الخَبالِ؟ قال: «**عَرقُ أهْلِ النَّارِ ـ أو عُصارةُ أهل النَّارِ ـ**».

ـ ومما جاء في حالِ الذين يغتصبون حقوق النَّاسِ من أرضٍ، أو غيرها:

ما جاء في «الصحيحين»[٣] من حديث سعيد بن زيدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ ظَلَمَ منَ الأرضِ شيئًا، طُوِّقَهُ من سبْع أرضينَ**».

وأخرج البخاريُّ[٤] من حديث ابن عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**مَنْ أخذَ منَ الأرضِ شيئًا بغيرِ حقِّهِ، خُسِفَ به يومَ القيامةِ إلى سبْعِ أرضينَ**».

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣٨)، وانظر «الصحيحة» (٢/ ٢٠٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٢).
(٣) رواه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).
(٤) رواه البخاري (٢٤٥٤).

ـ ومما جاء في حال المُنْتَحِرِ (قاتلِ نفسه):

ما في «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ تردَّى (أي: ألقىٰ بنفسه) من جبلٍ، فقتلَ نفسهُ، فهو في نارِ جهنَّمَ، يتردَّى فيه خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومَنْ تحسَّى سُمًّا (أي: يشربُهُ ويتجرَّعهُ في تَمهُّلٍ)، فقتل نفسهُ، فسُمُّهُ في يده يتحسَّاهُ في نارِ جهنَّمَ خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومَنْ قتلَ نفسَهُ بحديدة، فحديدتهُ في يدِه، يَجَأُ بها في بطْنِه (أي: يطعُنُ) في نارِ جهنَّم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا».

وروىٰ البخاري في «صحيحه»[(٢)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «الذي يَخْنقُ نفسهُ، يَخنقُها في النَّارِ، والذي يَطعنُها يَطْعنُها في النَّارِ».

تلك بعض أحوال عُصاة المؤمنين يومَ القيامةِ.

وهناك أناسٌ لا يُكلِّمهمُ اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم، ولا يُزكيهم، ولهم عذابٌ أليم.

فمن هؤلاء: الذين يَنقُضُونَ ما عاهدوا الله عليه، ويشترون بأيمانهم ثمنًا قليلاً، فيحلفون الأيمان الكاذبة لمصلحةٍ عاجلةٍ:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

ومن هؤلاء: المُسبلُ إزارهُ: أي الذي يُطيلُ ملابسَهُ، سواء كانتْ إزارًا، أو بنطلونًا، أو ما أشبه ذلك، ويجعلُها تُجاوزُ كعْبيهِ نحو الأرضِ.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٥).

والمنَّانُ، والذي يَحْلِفُ كذبًا؛ ليجعلَ لسلعَتِه -أو ما يبيعُهُ- رَواجًا وقبولاً.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ». قال: فقرأها رسولُ الله -ﷺ- ثلاثَ مِرارٍ.

قال أبو ذرٍّ: خابوا وخسروا!، مَنْ همْ يا رسولَ اللهِ؟. قال: «المُسبلُ، والمنَّانُ، والمُنْفِقُ سلعتَهُ بالحِلف الكاذبِ».

ومن هؤلاء: العاقُّ لوالديه، والمرأةُ التي تُقلِّدُ الرجالَ، وتتشبَّهُ بهم في لباسٍ -كالبنطلون الذي هو من خصائصِ الرِّجالِ، أو غيره- أو هيئةٍ، والدَّيوثُ: هو الذي لا غَيْرةَ له على أهلِه، أو يَرى الخبثَ فيهم ويُقِرُّهُ.

ففي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن النسائي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحية»[2] من حديث عبد الله بن عمروٍ -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ اللـه -ﷺ-: «ثلاثةٌ لا يَنظُرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ: العاقُّ لوالديه، والمرأةُ المُترجِّلةُ المُتشبِّهةُ بالرِّجال، والديوثُ. وثلاثةٌ لا يَدْخلُون الجنَّةَ: العاقُّ لوالديه، والمُدْمِنُ الخمْرِ، والمنَّانُ بما أعطى»

أيُّها الناسُ، تلك بعضُ أحوالِ عُصاةِ المُؤمنين يوم القيامةِ، فعلينا بالابتعادُ عَنْ كلِّ ما يكونُ سببًا لذِلتِنا وهَوَانِنا، وأنْ نتوبَ إلى اللهِ توبةً صادقةً مِنْ كُلِّ ما يُغضبُ اللهَ وسبحانك اللهمَّ وبحمدِكَ، أشهدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

---

(١) رواه مسلم (١٠٦).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٣٤)، والنسائي (٥/ ٨٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٧٤).



الخطبة الأولى

د. وصف الجنة



إن الحمدَ لله، نَحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عنْ وَصْفِ الجنَّة، بل عن شيءٍ من وصفِ الجنَّةِ، فالجنَّةُ ـ أيُّها الناسُ ـ فوقَ ما يَخْطرُ بالبالِ، أو يَدُورُ في الخيالِ، وإنَّ مَوْضعَ سَوطٍ منها لهو خيرٌ من الدُّنيا وما فيها.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولَ الله

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٢٠)، ومسلم (١٣/ ٢٦).

ـ ﷺ ـ: «لقَابُ قَوْسِ أحدِكُم في الجنَّة خيرٌ مِمَّا طلعتْ عليه الشمسُ أو تغرُبُ».

والقابُ: قَدْرُ ما بَيْنَ المَقْبِضِ والسِّيَةِ مِنَ القَوْسِ.

عباد الله، يقول ربُّنا ـ جلَّ في علاه ـ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: أَعددْتُ لعباديَ الصالحين مالا عَينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرٍ**».

عباد الله، مهما قلنا في جنَّةِ النعيم، ودار المتقين، والفوز العظيم ـ فلا يزال وصفنا لها قاصرًا، فحسبُنا وصفُ الله لها؛ فهو الذي خَلَقها بيدِهِ، وجعلها مقرًّا لأحبابِهِ، وطهَّرها مِن كُلِّ عيبٍ، وضرب بنعيمها المَثَلَ،

فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

عبادَ الله، هل أتاكم خبرُ أبوابِ الجنَّة، ودرجاتِها، وأبنيتِها، وطعامِ أهلِها وشرابِهِم، وما فيها من النعيم المقيم، وفوق ذلك النظر إلىٰ وجه الله الكريم ـ سبحانه وتعالىٰ ـ؟!

عباد الله، **إن للجنَّة ثمانيةَ أبوابٍ، كما جاء في «الصحيحين»**[٢] من حديث

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٨)، ومسلم (١٧/ ١٦٦).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٢٠)، ومسلم (١٣/ ٢٦).

سهل بن سعد - رضي الله عنه - عن النَّبي - ﷺ - قال: «**في الجنَّةِ ثمانيةُ أبوابٍ، فيها بابٌ يُسمَّى الريَّانَ، لا يدخلُهُ إلاَّ الصائمون**».

وفي «الصحيحين»[(١)] - أيضًا - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**من أنفقَ زوجينِ منْ ماله في سبيل الله، دُعيَ من أبواب الجنَّة كلِّها، وللجنة ثمانيةُ أبوابٍ: فمن كان من أهل الصلاة، دُعي من باب الصلاة، وإن كان من أهل الصيامِ، دُعي من بابِ الصِّيامِ، ومنْ كان من أهل الصَّدقة، دُعي من بابِ الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد، دُعِيَ من باب الجهاد**». فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: «والله، ما على أحدٍ من ضرورةٍ من أيِّها دُعيَ، فهل يُدعىٰ أحدٌ منها كلِّها؟». قال: «**نعم، وأرجو أن تكونَ منهم**».

عباد الله، إن للجنَّة درَجات، ما بينَ الدَّرجة والدَّرجة كما بينَ السماء والأرض، قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى**﴾ [طه: ٧٥]

وفي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إنَّ في الجنَّة مائةَ دَرجة، أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيل الله، ما بينَ الدَّرجتينِ كما بينَ السماء والأرضِ، فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوه الفِرْدَوسَ؛ فإنَّه أوسَطُ الجنَّة، وأعلى الجنَّة - أُراهُ قال: - وفوقَهُ عَرشُ الرحمنِ، ومنه تفجَّرُ أنهارُ الجنة**»

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي سعيد الخُدريِّ - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «**إنَّ أهل الجنَّة لَيَتَراءَونَ أهل الغُرَفِ من فوقهمْ، كما تراءَونَ الكوكبَ**

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٢٨)، ومسلم (١٠٢٧).
(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٥١).
(٣) رواه البخاري في «الفتح» (٧/ ١٣٧)، ومسلم (٢٨٣١).

الدُّرِّيَّ الغـابرَ في الأفُقِ - أي الذاهب في السـمـاء - من المشـرقِ أو المغربِ لتـفاضلِ مابَيْنَهُمْ».

والجنَّة عبادَ الـله - مبنيَّة بناءً حقـيقةً، فلا يتوهَّمْ متوهِّمٌ أنَّ ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي موسى الأشعريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن للمؤمن في الجنَّة لَخَيْمةً من لُؤْلُؤَة واحدة مُجَوَّفة، طُولُها في السماء ستُّونَ ميلاً، للمؤمن فيها أَهْلُونَ، يَطُوفُ عليهمُ المؤمنُ فلا يَرى بعضُهم بعضًا».

وفي الصحيحين (٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتى جبْريلُ النبيَّ - ﷺ - فقال: «يا رسولَ الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناءٌ فيه إدامٌ أوطعامٌ أو شرابٌ فإذا هي أتتكَ فاقرأْ عليها السَّلام من ربِّها ومنّي، وبشِّرْها ببيتٍ في الجنة منْ قصبٍ، لا صخبَ فيه ولا نصَبَ».

والمقصود ها هنا قصب اللُّؤلؤِ المجَوَّف، كما قال بعضُ أهل العلم.

والمراد بالصَّخَبِ: الصوت المختلط المرتفع.

والمراد بالنَّصبِ: المشقَّة والتعب.

وفي «الصحيحين»(٣) من حديث أنس بنِ مالك - رضي الله عنه - أن النبيَّ - ﷺ -

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٨)، ومسلم (١٧/ ١٧٥).
(٢) رواه البخاري (٧/ ١٣٣)، ومسلم (١٥/ ١٩٩).
(٣) رواه البخاري (٦/ ٣١٨)، ومسلم (١٥/ ١٦٣).

قـال : «أُدْخلتُ الجنَّة، فإذا أنا بقصرٍ من ذهب، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ . قالوا: لشابٍّ من قُرَيْشٍ. فظننتُ أنِّي أنا هو، فقلتُ: ومَنْ هوَ؟ قالوا: لعمرَ بنِ الخطَّابِ».

عبـاد الله ، إنَّ النفـوسَ لـتحبُّ أن تعـرف طعـامَ أهل الجنَّة ، فطعـامـهم من كـلِّ مـا لذَّ وطاب ، ألا إنَّه كما قـال ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهمـا ـ : «ليس في الدنيا شيءٌ ممَّا في الجنَّة إلا الأسماء ، فليس العسل كالعسل ، وليس الخمرُ كالخمر ، وليس العنبُ كالعنبِ» .

قـال الله ـ سبحـانه وتعـالى ـ : ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة : ٢٠ ـ ٢١] .

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة : ٣٢ ـ ٣٣] .

أي لا تكون في وقتٍ دونَ وقتٍ ، ولا تمنعُ ممَّن أرادها

وقـال الله ـ سبحانه وتعـالى ـ : ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان : ١٤] .

قال ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ : «إذا همَّ أن يتناول من ثمرها ، تدلَّتْ له ، حتى يتناول ما يُريدُ» .

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «يأكلُ أهلُ الجنة فيها، ويشربونَ، ولا يتغوَّطونَ ولا يمتخطونَ، ولا يبولون، ولكنْ طعامُهم ذلك جُشَـاءٌ ـ أي: يخرجُ منهم بالتجشِّي ـ كرَشْحِ المِسْك، يُلْهَمُونَ التسبيح والتكبيرَ، كما يلْهمونَ النَّفَسَ».

---

(١) مسلم (٢٨٣٥).

ذلك طعام أهل الجنَّة،

وأمَّا شرابهم فكما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ۝ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ [الإنسان: ٥-٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾ [الإنسان: ١٥-١٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨: ٧٢].

عباد الله، ذلك طعامهم وشرابهم،

فماذا عن ثيابهم؟

يقول ربُّنا ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١].

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: أُهديَ لرسول الله ـ ﷺ ـ ثوبُ حريرٍ، فجعلوا يعجبون مِنْ لِينِه!، فقال رسولُ الله ـ

(١) البخاري (٦/ ٣١٩).

ﷺ -: «تعجبون مِنْ هذا؟! لمناديلُ سعد بن مُعاذ في الجنَّة أحسنُ منْ هذا».

فانظر - يا عبد الله - المِنديلُ الذي يمسَحُ به يديه في الجنَّةِ أحسنُ من حُللِ المُلُوكِ!.

أيُّها الناسُ، ذلك بعض نعيم الجنَّة،

وأهل الجنَّة بين أصناف هذه النعم يترددون، وهم من زوالها آمنون،

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي سعيدٍ، وأبي هريرةَ - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «يُنادى مُناد: يأهلَ الجنَّة، إنَّ لكم أن تَصحوا، فلا تسقمُوا أبدًا، وإن لكم أن تَحْيوا، فلا تموتُوا أبداً، وإن لكم أنْ تشبُّوا، فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإن لكم أن تَنْعَمُوا، فلا تبْأسُوا أبدًا، فذلك قول الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿وَنُودُوا أن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]».

وفي «صحيح مسلم»[2] - أيضًا - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ يدخلِ الجنَّة يَنعَمُ، ولا يَبْأسُ، ولا تَبْلَى ثِيابُهُ، ولا يَفنَى شَبابُهُ»

ذلك بعض نعيمهم، لكن ماذا عن صفة أهل الجنة؟

روى الترمذي في «سننه»[3] بسندٍ حسنه الألباني - من حديث معاذ بن جبلٍ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «يدخلُ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا، كأنَّهم مُكْحلون، أبناء ثلاث وثلاثينَ».

ومعنى «جُرْدًا»: أي بدون شعرٍ على أجسادهم. ومعنى «مُرْدًا»: بدون لِحًي.

وفي «الصحيحين»[4] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال

---

(١) مسلم (١٧/ ١٧٥).
(٢) مسلم (٣/ ١٤٠).
(٣) الترمذي (١٠/ ١٤) في صفة الجنة.
(٤) البخاري (٦/ ٣١٩)، ومسلم (١٧/ ١٧٢).

رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ أوَّلَ زُمرة يدخلُونَ الجنَّة على صُورة القمرِ ليلةَ البَدْر، والذين يَلُونهم على صُورةِ أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً، لا يَبُولونَ، ولا يتغوَّطون، ولا يَمْتخِطُونَ، ولا يتفلونَ، أمشاطُهُمُ الذهبُ، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ، ومَجَامِرُهُمُ الأُلوَّةُ (أي: عُودُ الطِّيب)، وأزواجهمُ الحورُ العِينُ، أخلاقُهُمْ على خَلْقِ رجلٍ واحدٍ على صورةِ أبيهم آدمَ، ستُّونَ ذِراعًا في السماء».

ووصف الرسول ـ ﷺ ـ أخلاقهم بقوله ـ كما في «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ: «لا اختلافَ بينهم، ولا تباغضَ، قلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحد، يُسبِّحونَ اللهَ بُكْرةً وعَشِيًّا».

وذلك مِصْداقُ قولهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وأستغفر الله.

---

(١) البخاري (٦/ ١٣٨)، ومسلم (١٧/ ١٧٣).



الخطبة الثانية
وصف الحور العين



الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلِّم على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناس، سبق أن تحدَّثنا معكم عن شيءٍ من وصف الجنَّة، نعم، عن شيءٍ من وصف الجنَّة، فلو خطبنا في وصف الجنة السنةَ بعدَ السنةِ، ما استطعنا أن نصفها لكم، وحديثي معكم الآن عن شيء من وصف الحُور العِينِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤].

والحُور: جمعُ حَوراء، وهي المرأة بيِّنةُ الحور، والحورُ: شِدَّة بياضِ العين في شدَّة سوادها، ولا تُسمَّى المرأة حَوْراءَ حتى يكون مع حَورِ عينها بياضُ الجلدِ ورِقَّته، فيُحارُ فيها الطَّرْفُ.

والعِينُ جمعُ عَيْنَاءَ، وهي الضَّخْمةُ العَيْنِ من النساءِ مع حُسنٍ وملاحةٍ.

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٨ـ٤٩].

قال مجاهد ـ رحمه الله ـ: «قَصَرنَ أبصارهُنَّ، وقلوبَهُنَّ، وأنفسهُنَّ على أزواجهِنَّ، فلا يُرِدْنَ غيرَهُم»[١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

---

(١) «حادي الأرواح» (ص٢٨٧).

قال مجاهد ـ رحمه الله ـ في معنى «مُطَهَّرة»: «أي: لا يَبُلْنَ، ولا يتَغوَّطْنَ، ولا يَمْذِينَ، ولا يَمنِينَ، ولا يَحِضْنَ، ولا يَبْصُقْنَ، ولا يتَنَخَّمْنَ، ولا يَلِدْنَ»(١).

وفي «صحيح البخاري»(٢) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لَرَوحةٌ في سبيلِ الله أو غَدْوَةٌ ـ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولَقَابُ قوسِ أحدكم من الجنَّة أو موضعُ قِيد ـ يَعني سَوطهُ ـ خيرٌ من الدنيا وما فيها،ولو أن امرأةً من أهلِ الجنَّة اطَّلعتْ إلى أهلِ الأرضِ، لأضاءتْ ما بَيْنَهُما، ولَمَلأَتْهُ رِيحًا، ولَنَصيفُها ـ يعني خِمارَها ـ على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها».

وفي «الصحيحين»(٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ أول زُمرة تدخلُ الجنَّةَ على صُورةِ القمرِ ليلةَ البدْر، والتي تليها على أضواءِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ، لكُلِّ امرئٍ منهم زوجتانِ اثْنَتانِ، يُرى مُخُّ سُوقِهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزبُ».

عباد الله، تلك بعض صفات أهل الجنة، لكن هناك في الجنة ما هو أعظم من ذلك، إنها لذةُ النظر إلى وجه الله الكريم، فما أُعطيَ أهلُ الجنَّة شيئًا أعظمَ منهُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ـ٢٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وهذه الزيادة: هي النظر إلى وجه الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والحُسنى: هي الجنَّة،

(١) المرجع السابق (ص٢٨٤).
(٢) البخاري (٢/ ١٣٦)، ومسلم (١٥٠٠).
(٣) البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤).

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث صُهيب بن سنانٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ: ﴿للذينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّة الجنة، وأهلُ النَّارِ النارَ، نادى مُناد: يأهلَ الجنَّة، إنَّ لكم عند الله موعداً، يُريدُ أن يُنْجِزَكُمُوه. قالوا: ما هذا المَوعدُ؟! ألمْ يُثْقلْ مَوَازيننا، ويُبيِّضْ وُجُوهَنا، ويُدخلنا الجنَّة، ويُجِرنا من النَّارِ؟! قال: فَيرْفَعُ الحِجابَ، ويَنْظرون إلى وجْهِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ، فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم مِنَ النَّظَرِ إليهِ».

وهذا ـ عباد الله ـ نهايةُ النعمة وغاية الحسنىٰ، وتلك النعم كُلُّها عند هذه النِّعمة ـ أي عند نعمةِ النظر إلىٰ وجْهِ ربِّنا سبحانه وتعالىٰ ـ تُنْسىٰ؛ فلذَّةُ النظرِ إلىٰ وجهِ ربِّنا فوقَ كُلِّ لذَّةٍ.

عباد الله، تلك بعض صفات الجنَّةِ، وهي لا تُنالُ بالتشهِّي والأملِ، ولكنْ بالجدِّ والعملِ، فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ فإنكم إليه راجعون.

اللهمَّ إنَّا نسألُك مُوجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مَغْفرتِك، والسلامة من كلِّ إثمٍ، والغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والفوزَ بالجنَّةِ، والنَّجاةَ من النَّارِ.

اللهمَّ إنَّا نسألك لذَّة النَّظرِ إلىٰ وجهك، والشَّوق إلىٰ لقائِكَ في غيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فِتنةٍ مُضِلَّةٍ.

---

(١) مسلم (٣/ ١٧).



الخطبة الأولى

هـ ـ وَصفُ النار



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ علاجَ ضعفِ الإيمانِ يتضمَّنُ التذكيرَ بالجنَّةِ والنَّارِ، فإنَّ النُّفوسَ قد تصلحُ بالتبشيرِ والتحذيرِ.

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتُم قليلاً،**

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٥٠).

ولبكيتمْ كثيرًا». قالوا: وما رأيتَ يا رسولَ الله؟!. قال: «رأيتُ الجنَّةَ والنَّارَ».

وقد أنذر اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بالنار، وأمرَ المؤمنين بأخذ الوقاية من التعرُّض لها، وبيَّنَ خَطَرها، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٢-٣٧].

وقال الحسنُ البصْريُّ ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآيات: «والله، ما أُنذرَ العبادُ بشيءٍ أَدْهىٰ منها».

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث عديٍّ بن حاتمٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اتقوا النارَ» قال: وأشاح، ثمَّ قال: «اتَّقوا النَّارَ». ثمَّ أعرضَ وأشاحَ ثلاثًا، حتىٰ ظننا أنه ينظرُ إليها، ثمَّ قال: «اتَّقوا النار ولو بشقِّ تَمْرة، فمَنْ لم يجدْ فبكلمة طيِّبة».

أيُّها الناس، النارُ موردُ الناسِ كُلِّهم أجمعين، كما قال ربُّنا ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

عبادَ الله، نحن من الوُرود على يقين، ومن النجاة في شَكٍّ، فهلاَّ استعددنا للنجاة، كما كان سَلَفُنا الصالحُ في غايةِ الخَوفِ والإشفاقِ والحذرِ منَ اللهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وعظيم عقابِهِ، وأليمِ عذابِهِ؟!

عباد الله، هل أتاكم خبرٌ عن عذاب الله لمن عصاه؟!، هل أتاكم خبرُ نارِ الله المُوقدة؟!، هل أتاكم خبرُ عُمقِ جهنَّمَ وشدَّةِ حرِّها؟!.

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٤٠٠)، ومسلم (١٠١٦).

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كنَّا مع رسول - ﷺ - إذْ سمعَ وَجْبةً - أي: صوتَ سقطةٍ - فقال النبيُّ - ﷺ -: «تدرونَ ما هذا؟». قلنا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قال: «هذا حجرٌ رُمِيَ به في النار مُنْذُ سبعين خريفًا - أي: عامًا - فهو يَهْوِي في النارِ الآنَ،حتَّى انتهى إلى قَعْرِها، فسمعْتم وَجبتَها».

وفي «مسندِ أحمد»، و«سنن الترمذيِّ»[(٢)] من حديث عتبةَ بن غزوان قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ الصَّخْرَةَ العظيمةَ لتُلقى في شَفيرِ جهنَّمَ - أي طَرَفِها -، فتَهْوِي فيها سبْعينَ عامًا، ما تُفْضي إلى قَرارِها».

عبادَ اللهِ، قد يُتخيَّل لأحدنا أنَّ نارَ اللهِ المُوقدة كنار الدُّنيا، كلاَّ.

فما نار الدنيا إلا جُزْءٌ من سبعين جُزءًا من نار جهنَّم،

كما في «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ناركُم جُزءٌ من سبْعينَ جُزْءًا من نار جهنَّم» قيلَ: يا رسولَ اللهِ، إنْ كانتْ لكافيةً!. قال: «فُضِّلَتْ عليهنَّ بتسْعةٍ وستِّين جُزْءًا، كلُّهنَّ مثْلُ حَرِّها».

وجهنم سبعة أبواب، كما قال ربُّنا - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

قال بعض أهل العلم: ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعيرُ، ثمَّ سقرُ، ثمَّ الجحيمُ، ثمَّ الهاويةُ.

عباد اللهِ، تلك أبوابُ النارِ.

لكن كيف طعامهم، وشرابهم،وملابسهم؟

أمَّا طعامهم - عبادَ اللهِ - فكما قال ربُّنا - سبحانه وتعالى -: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٤). (٢) «مسند أحمد» (٤/ ١٧٤)، والترمذي (١٠/ ٤٥).

(٣) رواه البخاري مع الفتح (٧/ ١٤٣)، ومسلم (٢١٨٤).

مِن ضَرِيعٍ ۝ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية ٦-٧].

والضَّريع: نَبْتٌ ذو شوكٍ، لا تأكله الدَّوابُّ لخباثته، وهو سمٌّ قاتلٌ.

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣].

قال ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: «شوكٌ يأخذ بالحَلق، لا يَدْخُلُ، ولا يَخْرُجُ».

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].

وقد وصف الله - سبحانه وتعالى - شجرة الزقوم، فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٨]

والشَّوبُ: هو الخلط والمزج، أي: يُخلط الزَّقُّومُ المتناهي في القذارة والمرارةِ والحميم المتناهي في اللَّهب والحرارةِ.

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»، و«ابن ماجَهْ»[1] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أن النبيَّ - ﷺ - قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٠١، ٣٣٨)، والترمذي (١٠/ ٥٤)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٢٦).

فقال الرسول ـ ﷺ ـ: «لو أنَّ قطْرةً من الزَّقُّوم قَطَرتْ في دارِ الدُّنيا، لأفْسدتْ على أهلِ الدُّنيا معايشَهُم، فكيف بمنَ يكونُ طعامَهُ؟!».

أرأيتم ـ عبادَ الله ـ كيف أنَّ قطْرةً واحدةً من الزَّقُّوم تُفْسِدُ على أهل الأرض معايشهم؟!، والرسول ـ ﷺ ـ يأتي بالاستفهام؛ لنعقلَ عنه، فيقول: «فكيفَ بمنْ يكونُ طعامهُ؟!»، فهل من مُعتبرٍ؟!

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٦].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «الغِسلينُ: الدَّمُ والماءُ والصديدُ الذي يَسيلُ مِنْ لُحومِهم».

عبادَ الله، عَرَفنا شيئًا من طعام أهل النار،

وسوف نذكرُ بَعضَ شرابهم ـ أعاذنا اللهُ وإيَّاكم من ذلك !ـ

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧].

أي يُسقىٰ من ماءٍ صديدٍ شديدِ النَّتانة والكثافة، فيتكرَّهه ولا يكاد يبتلعه من شدة نتانته وكثافته، ويستشعر الموت من كُلِّ مكانٍ وهيهاتَ، فإنه لو مات لاستراح من العذاب، وما هو بميتٍ، فكلَّما نضج جلدُهُ أبدله الله غيره؛ ليذوق العذاب.

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

والحميم: هو الماء الحارُّ المغليُّ بنار جهنَّم، يُذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم،

كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٠-٢٢].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

عباد الله، بعد أن عرفنا طعام أهل النار وشرابهم،

تعالوْا بنا نقف على ملابسهم.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠].

فقوله تعالى -: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ أي: قمصانهم من قَطِران، تُطْلَى به جلودهم، حتى يعود ذلك الطِّلاء كالسرابيل، وخُصَّ القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نَتْنِ رائحته، ووحشة لونه، والقَطِران: قيل فيه: ما يُطْلَى به الجَمَلُ الأجرَبُ.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي مالك الأشعريِّ قال: قال رسول الله - ﷺ -: «النائحةُ إذا لم تَتُبْ قبلَ موتها، تُقامُ يومَ القيامةِ وعليها سِرْبالٌ من قطرانٍ، ودرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

فقوله: ﴿قُطِّعَتْ﴾ أي: قُدِّرتْ لهم على قدر جُثَثهم؛ لأنَّ الثياب تُقطَّع على قدر من يلبسها. وقيل: إنها من نحاسٍ قد أُذيب، فصار كالنار. والحقُّ إجراء الآية على ظاهرها.

تلك - عباد الله - ملابسهم، لكن ماذا عن فراشهم - عياذًا بالله من حالهم!؟.

---

(١) رواه مسلم (٦/ ٢٣٥).

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ [الأعراف: ٤١].

أي فراش من النار، ويَلتحفون بأَلحِفةٍ من النار.

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ**﴾ [الزمر: ١٦].

انظر ـ يا عبد الله ـ كيف أطلق القرآن الكريم الظُّلَل عليهم تهكُّمًا؟! وإلاَّ فهي مُحرقة، والظُّلَّة تقي من النار،

كما قال ربُّنا ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ**﴾ المرسلات: ٣٠-٣١].

عبادَ اللهِ، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه راجعون، واتقوا النار دار الذُّلِّ والهَوانِ.

وأستغفر الله.




الخطبة الثانية
وصف النار

الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلِّي وأسلم على عبد الله ورسوله نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصَحبه، والتابعين بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّـا بعـدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ الحديث عنِ النَّارِ يطولُ ويطولُ، وما سبق أنْ ذكرتُهُ لكم إنما هو رُءوسُ أقلام، وكما تقولُ العامَّةُ: «قطرةٌ مِنْ مَطْرةٍ».

عباد اللهِ، كيف بنا لو عرفنا **عِظَمَ أهلِ النارِ وبشاعةِ مَنظرِهِم؟!:**

ففي «الصحيحين»[(1)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «**ما بينَ مَنكبيِ الكافرِ مَسيرةُ ثلاثة أيامٍ للراكبِ المُسرعِ**».

والمَنْكِبُ: هو مَجْمَعُ عَظمِ العَضُدِ والكتِفِ.

وفي «صحيح مسلم»[(2)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**ضِرْسُ الكافرِ - أي: نابُهُ - مثلُ أُحُدٍ، وغِلظُ جلده مسيرةُ ثلاثٍ**».

وروى الترمذي - في «سننه»[(3)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إنَّ غلظَ جِلدِ الكافرِ اثنانِ وأربعون ذِراعًا، وإنَّ ضِرْسهُ مثلُ أُحدٍ، وإنَّ مجلِسهُ من جهنَّمَ كما بينَ مكَّةَ والمدينة**».

---

(1) رواه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (١٧/ ١٨٦).
(2) رواه مسلم (٢٨٥١).
(3) رواه الترمذي (٢٧١٩)، وحسن إسناده الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٦٧٥).

أيها الناسُ، **إنَّ أهل النَّارِ لا يَمُوتون؛** إذ لو ماتوا لاستراحوا من العذاب.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عبد الله بن عمرَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**يُؤتى بالموت يومَ القيامة كأنـهُ كبشٌ أَمْلحُ (أي: أسْوَدُ يعلو شَعَرَهُ بياضٌ) فيُذبَحُ بينَ الجنَّة والنار، ويقالُ: يأهل الجنَّة، خلُودٌ بلا موت،ويأهلَ النارِ، خلودٌ بلا موت، فيزدادُ أهلُ الجنَّة فرحًا، ويزدادُ أهلُ النارِ حُزنًا إلى حُزْنِهم**».

أيُّها الناسُ، تلك بعض صفات النار.

فاتقوا النار، فإنها أقربُ إلى أحدنا من شراك نَعْله،

كما في «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**الجنَّةُ أقربُ إلى أحدِكم منْ شِراكِ نَعلِه، والنَّارُ مثلُ ذلك**». والشِّراكُ: هو سَيْرُ النَّعْلِ.

أيُّها الناسُ، اتقوا النار، واتقوا الأسباب المُوصلة إلى النار، فإنها - والعياذُ بالله! - كثيرة جدًّا، وجامعُها معصيةُ الله ورسولِه - ﷺ -.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [النساء: ١٤].

عبادَ الله، لابُد أن نقيَ أنفسنا وأهلنا من النارِ، كما أمر الله - سبحانه وتعالى - فقال - عزَّ من قائلٍ -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦]

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٨).

قال العلامة ابن سعديٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «أي: يا مَنْ منَّ الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه فـ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ موصوفه بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتنابًا، والتوبة عمَّا يُسخط الله، ويُوجب العذابَ، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات، والأولاد، وغيرهم ممَّن هو تحت ولايته وتصرُّفه، ووصف الله النار بهذه الأوصاف؛ ليزجر عبادَهُ عن التهاون بأمرِهِ» (١).

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من فتنةِ النار، وعذاب النار، وما يُقرِّبُ إليها من قولٍ أو عملٍ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٧٤).



الخطبة الأولى

٦. الإيمان بالقضاء والقدر



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليوم عن الإيمان بالقَدَرِ، قُطْبِ رَحَى التوحيدِ ونِظامِهِ، ومَبْدإِ الدِّينِ القويمِ وختامِهِ، فهو أحدُ أركانِ الإيمانِ، وقاعدةُ أساسِ الإحسان (١).

---

(١) انظر «شفاء العليل» لابن القيم، و«الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت من هذين الكتابين، وأكثرت من النقل عنهما في هذه الخطبة.

وقـد دلَّ على هذا الركنِ العظيمِ منْ أركانِ الإيمانِ الكتابُ، والسنَّةُ، والإجماعُ.

أمَّا أدلَّةُ القُرآنِ فهي كثيرةٌ جداً، منها:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٢، ٢٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٤٠].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤].

أيُّها الناس، تلك بعضُ الأدلة من كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ على القدرِ،

وأمَّا من السُّنَّة ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في سُؤال جِبْريلَ ـ عليه السلام ـ الرسولَ ـ ﷺ ـ عن الإيمان، قال: «أن تؤمنَ بالله،

---

(١) تقدم تخريجه.

وملائكته، وكُتُبه، وتؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه» فقال ـ أي: جبريلُ ـ: «صدقْتَ».

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[1] عن طاوسٍ قال: «أدركتُ ناسًا من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يقولون: كُلُّ شيءٍ بقدرٍ». قال: «وسمعتُ عبد الله بنَ عُمرَ يقولُ: كُلُّ شيءٍ بقدَرٍ، حتَّىٰ العَجْزُ والكيسُ ـ أو الكَيْسُ والعَجْزُ ـ».

وأخرج الإمام مسلم[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء مُشْركو قُريشٍ، يُخاصمون رسولَ الله ـ ﷺ ـ في القدرِ، فنزلتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨ ـ ٤٩].

وأخرج الإمام مسلم[3] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «وإن أَصَابَكَ شيءٌ فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا، لكانَ كذا وكذا، ولكن قُلْ: قَدَرُ الله، وما شاء فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَملَ الشيطانِ».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في حاشية «مشكاة المصابيح»[4] من حديث الوليد ابنِ الصَّحابيِّ الجليل عُبادةَ بنِ الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: «دخلتُ علىٰ عُبادةَ، وهو مريضٌ، أَتَخايلُ فيه الموتَ، فقلتُ: يا أَبَتَاهُ، أَوْصِني، واجتهد لي.

فقال: أَجْلِسوني. فلمَّا أجْلَسُوهُ قال: يا بُنيَّ، إنَّك لن تجدَ طَعمَ الإيمانِ، ولَنْ تَبْلُغَ حقيقة العِلمِ بالله ـ تبارك وتعالىٰ ـ حتىٰ تُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشرِّهِ.

قلت: يا أَبَتَاهُ، وكيف لي أنْ أَعلمَ ما خيرُ القدرِ وشرُّهُ؟

قال: تعلم أنَّ ما أخطأكَ لم يَكُنْ لِيُصيبَك، وما أَصَابَكَ لم يكنْ لِيُخْطِئَكَ. يا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٦). (٣) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣١٧)، وصححه الألباني في «حاشية مشكاة المصابيح» (١/ ٣٤).

بُنيَّ، إنِّي سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «إنَّ أوَّل ما خلقَ اللهُ ـ تعالى ـ القلمُ، فقال لهُ: اكتبْ، فَجرَى في تلك الساعةِ بما هو كائنٌ إلى يوْم القيامةِ».

يا بُنيَّ، إنْ مُتَّ ـ ولستَ على ذلك ـ دخلتَ النَّار».

وأخرج البخاريُّ في كتابه «خلق أفعال العباد»(١) عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال: «كلُّ شيءٍ بقدَرٍ، حتى وضْعُكَ يدكَ على خَدِّكَ».

أيُّها الناس، لقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشرِّه من الله. قال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ: «وقد تظاهرت الأدلَّةُ القطعياتُ من الكتابِ، والسُّنَّةِ، وإجماع الصحابةِ وأهلِ الحلِّ والعقدِ ـ من السَّلفِ والخلفِ ـ على إثباتِ قدَرِ الله ـ سبحانه وتعالى ـ»(٢).

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «القدرُ نظامُ التوحيدِ؛ فمَنْ وحَّدَ الله، وآمَنَ بالقَدرِ، تمَّ توحيدُهُ، ومَنْ وحَّدَ اللهَ، وكذَّبَ بالقَدرِ، نَقَضَ توحيدَهُ»(٣).

وقال الحسنُ البصريُّ ـ رحمه الله ـ: «إنَّ اللهَ خلقَ خلقًا، فخلقهم بقدرٍ، وقسم الآجالَ بقدرٍ، وقسم أرزاقهم بقدرٍ، والبلاء والعافية بقدرٍ»(٤).

وقال ـ أيضًا ـ: «مَنْ كذَّب بالقدرِ، فقدْ كذَّب بالإسلام»(٥).

وقال في مرضه الذي مات فيه: «إنَّ اللهَ قدَّرَ أجلاً، وقدَّرَ مَعَهُ مرضًا، وقدَّر

(١) «خلق أفعال العباد» (ص٢٦).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/ ١٥٥).

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٢١٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٦٨١).

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٤/ ٦٨٢).

(٥) المرجع السابق (٤/ ٦٨٢).

معه مُعافاةً، فمن كذَّب بالقدرِ، فقدْ كذَّبَ بالقُرآنِ، ومن كذَّب بالقُرآنِ، فقد كذَّب بالحقِّ»[1].

أيُّها الناسُ، الإيمانُ بالقَدرِ أمرٌ معلومٌ بالفطرة قديمًا وحديثًا، ولم يقعِ الخطأُ في نَفْيِ القدرِ وإنكارِهِ عندَ المشركين من الأمم، وإنَّما وقَعَ في فهمِهِ على الوجهِ الصحيح؛ ولهذا قال اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا**﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنَّهمُ احتجُّوا بها على الشِّركِ، ثمَّ بيَّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنَّ هذا هو شأنُ مَنْ كان قبْلهم، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [الأنعام: ١٤٨].

أيُّها الناسُ، الإيمانُ بالقدرِ يقومُ على أربعةِ أركانٍ، مَن أقرَّ بها جميعًا، فإنَّ إيمانَهُ بالقَدَرِ يكونُ مُكْتمِلاً، ومنِ انتقص واحدًا، فقد اختلَّ إيمانُهُ، وهذه الأركانُ الأربعةُ هي:

١ ـ العلمُ. ٢ ـ الكتابةُ.

٣ ـ المشيئةُ. ٤ ـ الخَلْقُ.

وفيما يأتي شرحُ ذلك:

أولاً ـ العلمُ:

والعلمُ ـ أيُّها الناسُ ـ: هُو الإيمانُ بأنَّ اللهَ عالمٌ بكلِّ شيءٍ، يَعْلمُ ما كان، وما سيكونُ، وما لم يكنْ لو كان كيف يكونُ، ويعلمُ الموجودَ، والمَعدُومَ، والممكنَ

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٦٨٢).

والمستحيل، وهو - سبحانه وتعالىٰ - عالمٌ بالعباد، وآجالهم، وأرزاقهم، وحَرَكاتِهم، وسكناتِهم، وشقاوتِهم، وسعادتِهم، ومَنْ منهم مِنْ أهلِ الجنَّةِ، ومَنْ منهم مِنْ أهلِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَخلقَهم، ويخلُقَ السَّمواتِ والأرضَ.

وهذا مُقتضىٰ اتِّصافِهِ - سبحانه وتعالىٰ - بالعلمِ، ومقتضىٰ كونِهِ - سبحانه وتعالىٰ - هو العليمَ الخبيرَ السَّميعَ البَصيرَ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [سبأ: ٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام: ٥٩].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - قال: سُئِلَ النبي - ﷺ - عن أبناءِ المشركين، فقال: «**اللهُ - إذ خَلَقَهُمْ - أعلمُ بما كانوا عاملين**».

أي اللهُ أعلمُ بمَنْ يؤمنُ منهم ومَنْ يكفُر، لو بلغوا وعاشوا.

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: دُعي رسولُ الله - ﷺ - إلىٰ جنازةِ صبيٍّ من الأنصارِ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، طُوبىٰ لهذا، عُصفورٌ من عصافيرِ الجنَّةِ؛ لم يَعْمل السُّوء ولم يُدركْهُ. قال: «**أو غير ذلك، يا عائشةُ، إنَّ اللهَ**

(١) رواه البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٢٦٦٠).
(٢) رواه مسلم (٢٦٦٢).

خلقَ للجنَّةِ أهْلاً، خلقهُم لها وهُم في أصْلابِ آبائِهم، وخَلَقَ للنَّارِ أهلاً، خلقهُم لها وهُم في أصلابِ آبائهم».

ثانيًا ـ الكتابة:

والكتابةُ ـ أيُّها الناسُ ـ هي الرُّكنُ الثاني من أركانِ القدرِ، وهي: الإيمانُ بأنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ كَتَبَ ما سَبقَ بهِ علمُهُ منْ مقادير الخلائقِ إلىٰ يومِ القيامةِ في اللَّوحِ المحفوظ.

قال الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «وقد أجمع الصحابةُ، والتَّابعون، وجميعُ أهلِ السُّنَّةِ والحديث ـ علىٰ أنَّ كلَّ كائنٍ إلىٰ يومِ القيامةِ فهو مكتوبٌ في أُمِّ الكتابِ، التي هي اللوحُ المحفوظُ، والذِّكْرُ، والإمامُ المُبينُ، والكتابُ المُبينُ»(١).

والأدلةُ على هذه المرتبةِ كثيرةٌ من الكتابِ والسُّنَّة، فمنها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ حاكيًا دُعاء موسىٰ ـ عليه السلامُ ـ: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم

(١) «شفاء العليل» (ص٨٩).

بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن مُحاجَّة موسى ـ عليه السلام ـ لفرعونَ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه: ٥١-٥٢].

وأخرج الإمامُ مسلمٌ في «صحيحه»[1] من حديث عبد الله بن عمرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «كَتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يَخْلُقَ السَّمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ ـ قال: ـ وعرشُهُ على الماءِ».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسةٍ إلاَّ وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مكانَها مِنَ الجنَّةِ أوِ النَّارِ، إلاَّ وقدْ كُتِبَتْ شقيَّةً، أو سعيدةً».

وأستغفرُ الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).



الخطبة الثانية

الإيمان بالقضاء والقدر



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسلين، وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، سبق الحديث معكم عن القَدرِ، وذكرتُ رُكنيْنِ من أركانِه، هما: العلمُ، والكتابةُ، والآنَ حديثي معكم عن باقي الأركان، **وهما: المشيئةُ، والخلقُ.**

والمشيئةُ - أيُّها الناسُ -: هي الركنُ الثالثُ من أركانِ القدرِ، ويَقْتضي هذا الرُّكنُ الإيمانَ بمشيئة الله النافذة، وقُدرته الشاملة، فما شاء كانَ، وما لم يشأْ لم يكنْ، وأنَّه لا حركةَ، ولا سُكونَ، ولاهدايةَ، ولا إضلالَ - إلا بمشيئتهِ - سبحانه وتعالى -.

قال العلامةُ ابنُ القيِّم - رحمه الله -: «وهذه المرتبةُ (أي: الرُّكْنُ) قد دلَّ عليها إجماعُ الرُّسُلِ مِنْ أوَّلِهم إلى آخرِهم، وجميعُ الكُتُبِ المُنزلةِ مِنْ عندِ اللهِ، والفِطرةُ التي فَطَرَ الله عليها خلْقَهُ، وأدلَّةُ العقْلِ والبَيَان»[1].

والأدلة على هذا الركنِ من الكتاب والسُّنَّة كثيرةٌ جدًّا، فمنها:

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [القصص: ٦٨].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(١) «شفاء العليل» (ص٩٢).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ ـ: «إنَّ قُلُوبَ بني آدَمَ كُلَّها بَيْنَ إصبعيْنِ مِنْ أصابعِ الرَّحمنِ، كقلبٍ واحدٍ، يُصَرِّفُهُ حيثُ يشاء».

أيها الناسُ، إنَّ مشيئةَ اللهِ النافذةَ، وقدرتهُ الشاملة يجتمعانِ فيما كان، وما سيكون، ويفترقانِ فيما لم يَكُن، ولا هو كائن، فما شاء اللهُ كَوْنَهُ فهو كائنٌ بقُدرتهِ لا مَحالةَ، وما لم يشأْ لا يكونُ لعدمِ مشيئتِهِ له، لا لعدمِ قُدْرتِهِ عليه.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فعدمُ اقتتالهم ليس لعدمِ قُدرةِ اللهِ، ولكنْ لعدمِ مشيئتِهِ ذلك، ومِثْلُهُ قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩][١].

أيُّها الناسُ، ذلك ما تيسَّر الوُقوفُ عليه، وفيما يأتي ذِكْرُ الرُّكْنِ الرابعِ والأخير من أركان القدرِ، وهو الخلقُ:

وهذا الرُّكْنُ يقتَضي الإيمانَ بأنَّ جميعَ الكائناتِ مخلوقاتٌ لله بذواتِها، وصفاتِها، وحركاتِها، وبأنَّ كُلَّ مَنْ سِوىٰ اللهِ مخلوقٌ مُوجَدٌ مِنَ العَدَمِ، كائنٌ بعدَ أنْ لم يكن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وهذه المرتبةُ (أي الرُّكْنُ) دلَّتْ عليها الكُتُبُ السَّماويَّةُ، وأجمعَ عليها الرُّسُلُ ـ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ـ، واتَّفقت عليها الفِطَرُ القَويمةُ، والعُقُول السليمةُ».

والأدلةُ على هذه المرتبة لا تكادُ تُحْصَرُ، منها:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١، ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

(١) «شفاء العليل» (ص١٠٨).

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

وأخرج الإمام البخاريُّ في كتابه «خلق أفعال العباد» بسند صحيح، صححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديث حذيفةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ اللهَ يصنعُ كُلَّ صانعٍ وصَنْعَتَهُ».

أيُّها الناسُ، تلك هي أركانُ القدرِ - أو مراتبُ القدرِ الأربعُ - التي لا يتمُّ الإيمانُ بالقدرِ إلاَّ بها، وهأنذا أُعيدُها علىٰ مسامِعكم؛ لِتَعِيَهَا قُلوبُكم:

الركن الأول - الإيمانُ بعلم الله الشاملِ المُحيط.

الركنُ الثاني - الإيمانُ بكتابةِ اللهِ في اللَّوحِ المحفوظِ.

الركنُ الثالثُ - الإيمانُ بمشيئةِ الله النافذةِ، وقُدْرتِهِ التامَّة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكنْ.

الركنُ الرابعُ - الإيمانُ بخلقِهِ - سبحانه وتعالىٰ - لكلِّ موجودٍ، لا شريكَ له في خلقِهِ.

وأسألُ الله أنْ يرزُقَنا علمًا نافعًا، وعملاً مُتَقَبَّلاً، وصلىٰ اللهُ علىٰ سيِّدنا محمدٍ، وعلىٰ آلهِ وصحبِهِ، وسلَّم تسليمًا كثيراً.

---

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٧).



الخطبة الأولى

أخطاء في باب القدر



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ حولَ أخطاءٍ، يقعُ فيها كثيرٌ من الناس في بابِ القدرِ، وهذهِ الأخطاء منها ما في الأقوالِ، ومنها ما في الأفعالِ، ومنها ما هو في الاعتقاداتِ، ومنها ما هو في ذلك كُلِّه(١).

---

(١) انظر «الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت منه في هذه الخطبة وغيرها.

فمن الأخطاء في باب القدر تركُ الأخذ بالأسباب اتّكالاً على المكتوب المَقْدور، وهذا خطأٌ وضلالٌ؛ لأنَّ الأخذَ بالأسبابِ مِنْ تمامِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ، ونصوصُ الكتابِ والسُّنَّة حافلةٌ بالأمرِ باتّخاذِ الأسبابِ المشروعةِ في مُختلفِ شئونِ الحياةِ، فقدْ أمَرتْ بالعملِ، والسَّعي في طَلبِ الرِّزْقِ، واتخاذِ العُدَّةِ لمواجهةِ الأعداءِ، والتزوُّدِ للأسفارِ، وغَيرِ ذلك.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ**﴾ [الجُمُعة: ١٠].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾ [المُلك: ١٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأَمرَ المُسافرين للحجِّ بالتَّزَوُّد، فقال: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأمرَ بالدُّعاءِ والاستعانةِ، فقال: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ**﴾ [البقرة: ٤٥].

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**احْرِص على ما يَنْفعُكَ، واستعنْ بالله، ولا تَعْجزَنْ، وإنْ أَصابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا، لكان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدَرُ الله، وما شاء فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَملَ الشَّيطانِ**».

---

(١) تقدم تخريجه.

وقد شرح شيخ الإسلام هذا الحديث، فقال:«فأَمَرَهُ بالحِرصِ علىٰ ما يَنفعُهُ، والاستعانةِ باللهِ، ونَهاهُ عنِ العجزِ: الذي هو الاتكالُ علىٰ القدرِ، ثمَّ أَمرهُ ـ إذا أصابَه شيءٌ ـ ألاَّ ييأسَ علىٰ ما فاتهُ، بل ينظرُ إلىٰ القدرِ، ويُسلِّمُ لأمرِ اللهِ، فإنَّه هُنا لا يقدرُ علىٰ غيرِ ذلك، كما قال بعضُ العقلاءِ: الأُمورُ أمرانِ: أمرٌ فيه حيلةٌ، وأمرٌ لا حيْلةَ فيه، فما فيه حيلةٌ لا يُعجزُ عنهُ، وما لا حيلةَ فيه لا يُجزعُ منهُ»[1].

ومن الأخطاء في باب القدر ـ أيُّها الناسُ ـ **الاحتجاجُ بالقدرِ على فِعلِ المعاصي، أو تَرْكِ الواجبات،** وهذا العملُ تصحيحٌ لمذهب الكُفَّارِ الذين قال الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فهؤلاءِ المُشركون احتجُّوا علىٰ شركِهم بالقدرِ، فلو كان احتجاجُهم مَقبولاً صحيحًا، ما أذاقهمُ اللهُ بأسَهُ، بل لو كان الاحتجاجُ بالقدرِ سائغًا، ما كان هُناك داعٍ لإرسال الرُّسُلِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

أيُّها الناس، إنَّ الاحتجاج بالقَدرِ علىٰ فِعلِ المعاصي ـ أو تركِ الطَّاعات ـ احتجاجٌ باطلٌ في الشَّرعِ، والعَقلِ، والواقعِ، فلو كان القدرُ حُجَّةً علىٰ المصائب والذُّنوب، لتعطَّلتْ مصالحُ الناسِ، ولعمَّتِ الفوْضَىٰ، ولما كان هُناك داعٍ للحُدودِ، والتَّعزِيراتِ، والجزاءاتِ؛ لأنَّ المُسيء سيحتجُّ بالقدرِ، ولما احتجنا لوضع عُقوباتٍ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

للظَّلمةِ وقُطَّاعِ الطريقِ، ولا إلىٰ فتحِ المحاكمِ، ونَصْبِ القُضاةِ؛ بحجةِ أنَّ كلَّ ما وقع إنَّما وقع بقدرِ اللهِ، وهذا لا يقولُهُ عاقلٌ.

أيُّها الناسُ، إنَّ المُؤمنَ الحقَّ بقضاء اللهِ وقدَرِهِ إنَّما يحتجُّ بالقدرِ علىٰ المصائبِ، والشَّقيَّ يحتجُّ بالقدرِ علىٰ المعائبِ.

ولهذا قال شيخُ الإسلام: «يَسُوغُ الاحتجاجُ بالقدرِ عند المصائبِ التي تحِلُّ بالإنسان: كالفقرِ، والمَرضِ، وفقد القريبِ، وخَسارةِ المالِ، وقَتلِ الخَطَإِ، ونحوِ ذلك، فهذا منْ تمامِ الرِّضا باللهِ ربًّا، فالاحتجاجُ إنَّما يكونُ علىٰ المصائبِ لا المعائبِ، فالسَّعيدُ يستغفرُ منَ المعائبِ، ويصبرُ علىٰ المصائبِ،

كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

والشَّقيُّ يجزعُ عندَ المصائبِ، ويحتجُّ بالقدرِ علىٰ المعائبِ»[١].

وممَّنْ يسوغُ له الاحتجاجُ بالقدرِ التائبُ منَ الذَّنْبِ، فَلو لاَمَهُ أحدٌ علىٰ ذَنبٍ تاب منه، لساغَ له أنْ يحتجَّ بالقدرِ، فلو قيل لأحدِ التائبين: لمَ فعلتَ كذا وكذا؟، ثمَّ قال: هذا بقضاءِ اللهِ وقَدرِهِ، وأنا تُبتُ واستغفرتُ ـ لقبِلَ منه ذلك الاحتجاجُ، كما ذكر ذلك ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ[٢].

والدليلُ على أنَّه يجوزُ للتائبِ أنْ يحتجَّ بالقَدرِ ما في «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ «احتجَّ آدمُ ومُوسى،

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٤٥٤).
(٢) انظر «شفاء العليل» لابن القيم (ص٣٥).
(٣) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

فقال له موسى: يا آدمُ، أنت أبُونا، خيَّبْتَنَا، وأخرجْتنا من الجنَّة!. قال له آدمُ: أنتَ مُوسى، اصطفاكَ اللهُ بكلامه، وخطَّ لك بيده، أتلُومُني على أمر قدَّرَهُ اللهُ عليَّ، قبلَ أن يَخْلُقَني بأربعينَ سنةً؟!» فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «فَحجَّ آدمُ مُوسى، فحجَّ آدمُ مُوسى ـ ثلاثًا ـ».

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في شرحِه لهذا الحديثِ: «فآدمُ ـ عليه السلام ـ لم يحتجَّ بالقدرِ على الذَّنبِ ـ كما يظنُّ ذلك بعضُ الطَّوائفِ ـ وموسى ـ عليه السلام ـ لم يلُمْ آدمَ على الذَّنبِ؛ لأنَّهُ يَعْلَمُ أنَّ آدمَ استغفر ربَّهُ فتاب، فاجتباه ربُّه، وتاب عليه، وهَداهُ، والتائبُ مِنْ الذَّنبِ كمَنْ لا ذَنبَ لهُ، ولو أنَّ مُوسى لامَ آدمَ على الذَّنبِ لأجابَهُ: إنني أذنَبتُ، فتُبتُ، فتابَ اللهُ عليَّ، ولقال له: أنت يا مُوسى ـ أيضًا ـ قتلتَ نفسًا، وألقيت الألواحَ، إلى غيرِ ذلك، إنما احتجَّ مُوسى بالمُصيبةِ، فحجَّهُ آدمُ بالقدرِ»[1].

أيُّها الناسُ، على ضوءِ هذا الحديث العظيم فقدْ قال أهلُ العلمِ: إنَّهُ لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يلومَ التائبَ من الذَّنبِ، فالعِبرةُ بكمالِ النِّهايةِ، لا بنقصِ البدايةِ.

ومن الأخطاء في باب القدر ـ أيُّها الناسُ ـ التَّخلِّي عن مُساعدة المُحتاجين والمَنكُوبين؛ بحجَّة أنَّ ما حلَّ بهم إنَّما هو بمشيئةِ اللهِ، وهذا القولُ خطأٌ عظيمٌ، وضلالةٌ كُبرى، وقائلوه فيهم شَبهٌ ممَّن قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧].

فهذه الآية تدلُّ على أنَّ المشيئةَ ليستْ حُجَّةً لفعلِ المعاصي، أو تركِ الطَّاعاتِ

(١) انظر «الفتاوى» (٨/ ١٧٨)، و«منهاج السنة» (٣/ ٧٨ ـ ٨١)، و«الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية (ص١٨ ـ ٢٢).

أبدًا. قال العلامةُ ابن سَعْديٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «وهذا ممَّا يدلُّ علىٰ جَهْلِهِمُ العظيم ـ أو تَجاهُلِهِمُ الوَخيم ؛ فإنَّ المشيئةَ ليستْ حُجةً لعاصٍ أبدًا، فإنَّه ـ وإن كان ما شاء اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكنْ ـ فإنه ـ تعالىٰ ـ مكَّن العبادَ، وأعطاهم من القوَّةِ ما يَقْدِرون علىٰ فِعْلِ الأمرِ، واجتنابِ النَّهي، فإذا تركوا ما أُمِرُوا به، كان ذلك اختيارًا منهم، لا جَبرًا لهم وقَهرًا»[1].

ومن الخطإ في بابِ القَدرِ ـ أيُّها الناسُ ـ تركُ الدُّعاء، بحجَّة أنَّ اللهَ يعلمُ حاجةَ العبدِ، قبلَ أنْ يسألَهُ، وأنَّه لو شاء لأعطاه مسألتَهُ بغير سُؤالٍ، وأنَّه لن يُصيبَهُ إلا ما كُتِبَ له، وهذا القولُ قولٌ باطلٌ؛ لأنَّه مُنافٍ للإيمانِ بالقَدرِ، وتعطيلٌ للأسبابِ، والدُّعاءُ شَأْنُهُ عظيمٌ؛ فبه يُرَدُّ القدرُ، وبه يُرفَعُ البَلاءُ؛ فهو ينفعُ ممَّا نَزلَ، وممَّا لم يَنزِلْ.

فقد أخرج الإمامُ أحمدُ في «مسندِهِ» بسندٍ حسن، حسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديث سَلمانَ الفارسيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يَردُّ القضاءَ إلاَّ الدُّعاءُ».

وأخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[3] من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «الدُّعاءُ ينفعُ ممَّا نزلَ، وممَّا لم يَنْزِلْ؛ فعليكم ـ عبادَ اللهِ ـ بالدُّعاءِ».

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» لعبد الرحمن السعدي (ص٦٩٧).

(٢) «مسند أحمد» (٥/ ٢٧٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٨٧)، وانظر «الصحيحة» (١٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٩)، وانظر «المشكاة» (٢٢٣٤).

وأخرج الحاكمُ في «مُستدركه» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[١] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: قال رسولُ الله - ﷺ -: **«لا يُغني حَذرٌ منْ قدر، والدُّعاءُ يَنْفعُ ممَّا نزلَ، وممَّا لم يَنزلْ، وإنَّ البلاءَ لينزل، فيتَلقَّاهُ الدُّعاءُ، فيَعْتَلِجانِ إلى يوم القيامة»**. ومعنى يَعْتَلِجانِ: يتصارعانِ ويتقاتلانِ.

أيُّها الناسُ، إنَّ الأخذَ بالأسبابِ مِنْ تمامِ الإيمانِ بالقدرِ، والدُّعاء مِنَ الأسبابِ التي بها يرَدُّ القضاء.

قال العلامة ابنُ عُثيمين - رحمه الله -: «الدُّعاءُ من الأسبابِ التي يَحصُلُ بها المدْعُوُّ، وهو - في الواقع - يَرُدُّ القضاءَ، ولا يرُدُّ القضاءَ - يَعني له وجَهانِ - فمثلاً: هذا المريضُ، قدْ يَدْعُو الله - تعالى - بالشفاءِ، فيشفَى، فهُنا لولا هذا الدعاءُ لبقي مريضًا، لكن بالدُّعاءِ شُفي، إلاَّ أنَّنا نقولُ: إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - قد قضى بأنَّ هذا المرضَ يشفى مِنهُ المريض بواسطة الدُّعاءِ، فهذا هو المكتوبُ، فصار الدُّعاء يرُدُّ القدرَ ظاهريًا، حيثُ إنَّ الإنسانَ يَظُنُّ أنَّه لولا الدُّعاءُ لبقي المَرضُ، ولكنَّه في الحقيقة لا يردُّ القضاءَ؛ لأنَّ الأصلَ أن الدُّعاءَ مكتوبٌ، وأن الشِّفاءَ سيكونُ بهذا الدُّعاءِ، هذا هو القدرُ الأصليُّ الذي كُتبَ في الأزلِ، وهكذا كلُّ شيءٍ مَقرونٌ بسببٍ، فإنَّ هذا السببَ جعلهُ اللهُ - تعالى - سببًا يحصُلُ به الشيء، وقدْ كتبَ ذلك في الأزَلِ قبلَ أن يحدُثَ». اهـ[٢].

ومن الأخطاء في باب القدر - أيُّها الناسُ - **الاعتراضُ على الأقدار**، كقولِ بَعْضِهم - إذا أُصيبَ بمصيبةٍ -: ماذا فعلتُ يا ربِّ؟، أو أنا لا أستحقُّ ذلك. وكذلك ما

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٣٩)، وانظر «المشكاة» (٢٢٣٤).

(٢) «المجموع الثمين» (١/ ١٥٧).

يُقالُ - إذا أُصيبَ شخصٌ بمصيبةٍ -: فُلانٌ مسكينٌ، لا يستحقُّ ما جرىٰ له، لقدْ ظلمتْهُ الأقدارُ، إلىٰ غير ذلك من الاعتراضِ علىٰ قدرِ اللهِ، ومِنَ الجهلِ بحكمتِهِ - سبحانه وتعالىٰ -، فلا يجوزُ إطلاقُها؛ لأنَّ للهِ ما أَخذَ، وله ما أعطىٰ، وله الحكمة البالغة في شَرْعِهِ، وخَلْقِهِ، وفعْلِهِ.

قال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ومن الأخطاء في باب القدر - أيُّها الناسُ - **الدُّعاءُ بـ**«اللهمَّ إنِّي لا أسْأَلُك ردَّ القَضاءِ، ولكنْ أسألُك اللُّطفَ فيه» فهذا الدُّعاء يجْري كثيراً علىٰ الألسنةِ، وهو دُعاءٌ لا ينبغي؛ لأنَّهُ شُرِعَ لنا أن نسأل اللهَ ردَّ القضاءِ، إذا كان فيه سُوءٌ.

وقد بوَّبَ البُخاريُّ - رحمه الله - باباً في «صحيحه»، قال فيه: «باب: مَن تعوَّذَ باللهِ مِن دَرَكِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القضاءِ، وقولِهِ - تعالىٰ -: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١-٢].

ثمَّ ساق حديث أبي هُريرةَ[1] - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «**تَعوَّذُوا باللهِ مِنْ جَهدِ البلاء، ودَرَكِ الشَّقاء، وسُوءِ القضاء، وشماتَةِ الأعْداء**».

وفي روايةٍ قال سُفيانُ: «الحديثُ ثلاثٌ، زِدْتُ أنا واحدةً، لا أدري أيَّتُهُنَّ هيَ؟».

وأستغفر الله.

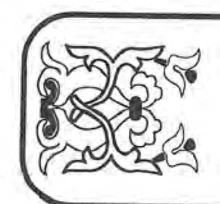
---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٧) و(٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).



الخطبة الثانية

أخطاءٌ في باب القدر



إنَّ الحمد لله نحمدُهُ، ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومِنْ سيِّئات أعمالِنا مَنْ يَهدِ اللهُ فلا مُضلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ مسائلَ القدرِ مِن الأمورِ المُهمَّةِ، التي يجبُ على العبدِ أن يُحقِّقَها تمامًا، حتى يَصلَ فيها إلى درجةِ اليقين.[1] ومعرفةُ الأخطاءِ في بابِ القدرِ يَقُودُ إلى فَهم القدرِ على الوجهِ الصحيح، وقد سبق ذكرُ بعضِ الأخطاءِ في بابِ القَدرِ، وفيما يأتي ذِكْرُ بعضِها:

فمن الأخطاء في باب القدر - أيُّها الناسُ - قولُ كلمة (لو) عندما تحِلُّ مُصيبةٌ، وذلك إذا كان الحاملَ عليها الحُزنُ، والضَّجرُ، والجزعُ، وضعفُ الإيمانِ بالقَدرِ، كحالِ مَنْ يقولُ إذا نزلتْ به مُصيبةٌ: كخسارةِ مالٍ، أو تَلفِ زَرْعٍ، أو فقْدِ أنفُسٍ، أو غير ذلك - يقول: لو أنِّي فعلتُ كذا وكذا، ما كان كذا وكذا، أو لكان كذا وكذا.

فهذه المقولةُ خطأٌ؛ وذلك أنَّ العبدَ مأمورٌ عند المصائبِ بالصَّبرِ، والاسترجاع، والتوبةِ، وقولُ (لو) لا يُجدي عليه إلاَّ الحُزنَ والتَّحسُّر، مع ما يُخافُ على توحيدِهِ مِنْ نوعِ المُعاندةِ للقدرِ، الذي لا يكادُ يَسْلَمُ منها مَنْ وقعَ منه هذا، إلاَّ ما شاءَ اللهُ[2].

---

(١) انظر «المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين» (١/ ١٥٢).

(٢) انظر «تيسير العزيز الحميد» (ص٦٦١).

ولهذا نعىٰ اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ المنافقين مقولتَهُمْ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ومقولتهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨].

فردَّ اللهُ عليهم ـ وعلىٰ أمثالِهم ـ بقولِهِ: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وأرشدنا نبيُّنا ـ ﷺ ـ إلىٰ الأخذ بالأسباب، وأنْ نَحرِصَ علىٰ ما يَنفعُنا، ومتىٰ أتتِ الأُمورُ علىٰ خِلافِ ما نُريدُ، أرشدنا إلىٰ التسليم لله، والإيمان به، والتَّعزِّي بقَدرِهِ، مع حُسنِ الظَّنِّ به، والرَّغبةِ في ثوابِهِ، فذلك عين الفلاحِ في الدُّنيا والآخرةِ[1].

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «وإنْ أصابك شيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا، لكان كذا وكذا، ولكنْ قُل: قَدرُ الله، وما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ (لَوْ) تفتحُ عَملَ الشَّيطان».

ومن الأخطاء في باب القدرِ ـ أيُّها الناسُ ـ قولُ كلمةِ (ليْتَ) وهي مِنْ جِنسِ كلمةِ (لو)، فهما لا يُجديانِ في حُصُولِ الأمرِ المَقْدورِ.

ومن الأخطاء في باب القدرِ أيُّها الناسُ ـ الحسدُ، فالحَسَدُ في حقيقتِهِ إنَّما هو اعتراضٌ علىٰ قَدَرِ الله؛ لأنَّ الحاسدَ لم يَرْضَ بقضاءِ الله، ولم يُسلِّمْ لقدرِهِ، فلسانُ حالِ الحاسدِ يقولُ: إنَّ فلانًا أُعطِيَ، وهو لا يَستحقُّ، وفُلانًا مُنعَ، وهو يستحقُّ العطاءَ.

فكأنَّه بحَسَدِهِ هذا يقْسمُ رحمةَ ربِّه بَيْنَ العبادِ، وكأنَّه يَقْترحُ علىٰ ربِّه ما يَراهُ مُلائمًا

(١) انظر المرجع السابق (ص٦٦٢).
(٢) سبق تخريجه.

في نَظرِه، فهو ـ بصنيعِه هذا ـ يَقْدحُ في حِكمةِ اللهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ووضْعِه الأشياءَ في مواضِعِها اللائقة بها؛ فمنْ تمامِ الإيمانِ بالقدرِ تركُ الحسدِ، والتسليمُ للهِ في جميعِ الأُمورِ، فالمؤمنُ الحقُّ لا يَحْسُدُ الناسَ علىٰ ما آتاهمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ لإيمانِه بأنَّ اللهَ هو الذي رَزَقَهُم، وقدَّر لهم معايشَهُم، فأعطىٰ مَنْ شاءَ لحكمةٍ، ومَنَعَ من شاء لحكمةٍ، وأنه ـ حِينَ يَحْسُدُ غيْرَهُ ـ إنَّما يَعترضُ علىٰ قدرِ اللهِ، ويَقْدَحُ في حِكْمتِهِ.

ولهذا قيل: «مَنْ رضيَ بقضاءِ اللهِ لم يُسْخِطْهُ أحدٌ، ومَنْ قَنعَ بعطائِهِ لم يدخلهُ حسَدٌ»(١).

ومن الأخطاءِ في بابِ القَدرِ التَّسَخطُ بالبنات، فبعضُ المسلمين ـ هَدَاهُ اللهُ ـ إذا رزقَهُ اللهُ بنْتًا تسخطَ بها، وهذا فيه تشبُّهٌ بأهلِ الجاهليَّةِ، الذين قصَّ اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علينا خَبَرهُمْ، وأنَّهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩].

ومن الأخطاءِ في بابِ القدرِ الإقدامُ على قتلِ النَّفسِ ـ الانتحارِ ـ،

فهذا الصَّنيعُ مُنافٍ للإيمانِ بالقدرِ، والتسليم لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في كُلِّ أمرٍ، وهو من الأمور التي حرَّمها اللهُ، وحذَّر من فعلِها، وتوعَّد مُرتكبَها بالوعيدِ الشديدِ،

قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ ـ ٣٠].

ومن الأخطاءِ في بابِ القدرِ تمنِّي الموت، وهذا ـ أيضًا ـ مُنافٍ للإيمانِ بالقدرِ، والتسليمِ للهِ، فإنْ كان المَرْءُ ـ لابُدَّ ـ مُتمنِّيًا، فليدعُ بهذا الدعاءِ المأثورِ، الذي في

---

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص٢٦٩).

«الصحيحين»[١] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكمُ الموتَ مِنْ ضُرٍّ أصابَهُ، فإن كان لابدَّ فاعلاً، فَليقُل: اللهمَّ أحيني ما كانت الحياةُ خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي».

ومن الأخطاء في باب القدر ـ أيُّها الناسُ ـ ترديد هذا السُّؤال: هل الإنسانُ مُسيَّرٌ أو مُخيَّرٌ؟، وكأنَّ بابَ القدرِ لا يُفهمُ إلا بالإجابةِ عن هذا السُّؤالِ.

والجواب: أنَّ الحقَّ وسطٌ بَينَ القولينِ، وهو أنَّ الإنسانَ مُخيرٌ باعتبارٍ، ومُسيَّرٌ باعتبارٍ، فهو مُخيَّرٌ باعتبارِ أنَّه لهُ مشيئةٌ يَختارُ بها، وقُدرةٌ يَفعلُ بها لقول الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولقوله ـ ﷺ ـ كما في «صحيح مسلم»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «احْرِص على ما يَنْفعُكَ، واستعنْ بالله،ولا تعجزَنْ».

وهو مُسيرٌ باعتبارِ أنَّه في جميع أفعالِه داخلٌ في القَدرِ، راجعٌ إليه لكونِه لا يَخرجُ عمَّا قدَّر اللهُ لقولِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

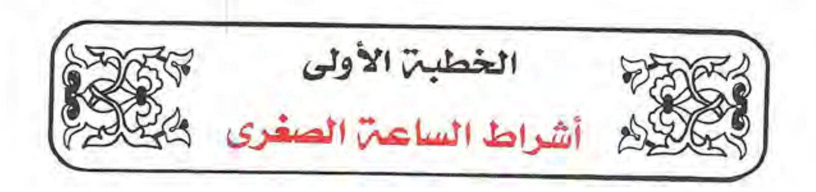
وقد جمعَ اللهُ بينَ هذين الأمرين ـ أي: كونِ الإنسانِ مُسيرًا باعتبارٍ، ومُخيرًا باعتبارٍ ـ في هذه الآية الكريمة: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]. فأثبتَ اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أنْ للعبدِ مشيئةً، وبيَّنَ أنَّ مَشيئةَ العبدِ تابعةٌ لمشيئةِ الله، واقعةٌ بها.

وأخيرًا نسألُ اللهَ أنْ يَرْزُقنا علمًا نافعًا، وعملاً مُتقبَّلاً، ويَجعلَنا هُداةً مُهْتدين، وصلىٰ اللهُ وسلم علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبِه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٢) سبق تخريجه.



الخطبة الأولى

أشراط الساعة الصغرى

إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس؛ حديثي معكم اليوم عن أشراط الساعة الصغرى، وسميت بالصغرى لأنها معتادة الوقوع وتتقدم الساعة بأزمان، خلافًا لأشراط الساعة الكبرى؛ فهي غير معتادة الوقوع؛ كظهور الدجال، ونزول عيسى -عليه السلام، وخروج يأجوجَ ومأجوجَ، وطلوع الشمس من مغربها.

أيها الناس؛ قد جاء في «صحيح مسلم»[1] من حديث عمر -رضي الله عنه- أن جبريل -عليه السلام- قال لرسول الله ﷺ: **«فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»**. فإذا كان أعلى الملائكة منزلة -وهو جبريل-، وأعلى البشر منزلة -وهو محمد ﷺ- لا يعلمان متى تكون الساعة فأحرى بأن لا يعرف أحد غيرهما وقت وقوعها.

إذن فعلم الساعة من خصائص علم الله لا يعلم وقت قوعها، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلاً قال الله سبحانه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

ففي هذه الآية الكريمة أخبر الله -سبحانه وتعالى- أنه لا أحد يعرف وقت الساعة غيره- سبحانه وتعالى- وأنها تأتي بغتة، وأن رسول الله ﷺ لا يدري متى

---

(١) رواه مسلم (٨).

هي، فهي إحدى مفاتح الغيب الخمسة التي هي من مكنونات علم الله، قال الله- سبحانه وتعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤].

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**» ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

أيها الناس؛ إن الله سبحانه وتعالى قد أخفى وقت وقوع الساعة عن عباده، لكنه -سبحانه وتعالى- أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها، وهذه الأمارات والعلامات هي أشراط الساعة.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[محمد:١٨].

والمراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[2]

وهذه العلامات منها ما قد وقعت، ومنها ما قد وقعت ولا تزال مستمرة، ومنها ما لم تقع:

فمن أشراط الساعة التي قد وقعت:

-بعثة الرسول ﷺ:

ففي «الصحيحين»[3] من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثتُ أنا والساعة كهاتين، كفضل إحداهما على الأخرى- وضم**

---

(١) رواه البخاري (٤٩٦٧).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٧٩).

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).

السبابة والوسطى».

فدل هذا الحديث على أن أول علامة الساعة أيها الناس بعثة رسول الله ﷺ، فهو النبي الأخير، فلا يليه نبي آخر، وإنما تليه القيامة كما يلي السبابةَ الوسطى ليس بينهما إصبع، أو كما يفضل إحداهما أخرى»[(١)].

ومن أشراط الساعة التي قد وقعت انشقاق القمر:

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾ [القمر:١، ٢].

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُرِيهُم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين».

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] أيضًا من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقين، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا» وفي رواية أخرى عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

ومن أشراط الساعة: موت رسول الله ﷺ:

ففي «صحيح البخاري»[(٤)] من حديث عوف بن مالك -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة أدم، فقال: «**اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مَوتان يأخذ فيكم كقُعَاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب**

---

(١) انظر فتح الباري (١١/ ٣٤٩)، وتحفة الأحوذي شرح الترمذي (٦/ ٤٦٠) والتذكرة (ص ٦٢٥- ٦٢٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٠٢).

(٣) رواه مسلم (٢٨٠٠).

(٤) رواه البخاري (٣١٧٦).

إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألف».

وهذه العلامات منها ما قد وقعت كفتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب، والمقصود بالموتان الذي يأخذ الناس كقعاص الغنم: هو طاعون عمواس كما قال العلماء، وقد وقع ذلك في عهد عمر بن الخطاب ومات فيه خيار الصحابة كأبي عبيدة بن الجراح.

وأما استفاضة المال: فمن العلامات التي لا تزال مستمرة، وقد فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فكان الرجل يعرض المال للصدقة، فلا يجد من يقبله وسيكثر المال في آخر الزمان: حتى يعرض الرجل ماله، فيقول الذي يعرضه عليه: «لا أرب لي به».

ففي «صحيح البخاري»[1] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى يهمَّ ربَّ المال من يقبله منه صدقة، ويدعى إليه الرجل، فيقول: لا أرب لي فيه».**

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي موسي -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ، قال: **«ليأتين على الناس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه».**

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: قال: قال رسول الله ﷺ: **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة»**، قال: **«فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعت يدي. ثم يَدَعُونَه فلا**

---

(١) رواه البخاري (١٤١٢).

(٢) رواه مسلم (١٠١٢).

(٣) رواه مسلم (١٠١٣).

يأخذون منه شيئًا».

ومن أشراط الساعة التي قد وقعت: ظهور نار الحجاز:

ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز؛ تضيءُ أعناقَ الإبل ببصرى**»، وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وست مائة، وكانت نارًا عظيمة، أفاض العلماء ممَّن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها.

ومن العلماء الكبار الذين كانوا أحياء عند خروج هذه النار الإمام النووي -رحمه الله- وقد ذكرها في شرحه «صحيحَ مسلم»[٢] فقال: (وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائه، وكانت نارًا عظيمة جدًا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة).

وذكر ابن كثير -رحمه الله- في كتابه «النهاية»[٣]: (أن غير واحدٍ من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز). وبصري ـ أيها الناس ـ مدينة معروفة بالشام ويقال لها (حوران) بينها وبين دمشق ثلاث مراحل.

أيها الناس تلك علامات للساعة قد مضت.

وهناك علامات قد وقعت، وهي مستمرة فمنها:

-ضياعُ الأمانة :

(١) رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٨).

(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١٤).

ففي «صحيح البخاري»[١] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضُيعت الأمانة، فانتظر الساعة**» قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «**إذا أُسْنِد الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة**».

ففي إسناد الأمر إلى غير أهله دليلٌ واضحٌ على عدم اكتراث الناس بدينهم، حتى إنهم يولون أمرهم من لا يهتم بدينه، فيكون ذلك سببًا في تضييع الأمانة، فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة -والناس تبعٌ لمن يتولى أمرهم- ؛ كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاحُ حال الولاة صلاحٌ لحال الرعية، وفساده فساد لهم.

ومن أشراط الساعة: قبض العلم وظهور الجهل والفتن، ويلقى الشحُّ:

ويكثر القتل ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويثبت الجهل**».

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتقارب الزمان، ويُقبض العلم، وتظهر الفتن، ويُلْقَى الشحُّ، ويكثر الهَرْج**» قال ابن بطال ـ رحمه الله ـ كما في «فتح الباري»[٤]: جميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عيانًا، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقي الشحُّ في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل» وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٦).

(٢) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٣) روا مسلم (١٥٧).

(٤) فتح الباري (١٣/ ١٦).



الخطبة الثانية
أشراط الساعة الصغرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها الناس؛ إن أشراط الساعة الصغرى الحديث عنها ذو شجون، فهي أكثر مِن أن تحصر: وقد تقدم الحديث عن بعضها، وفيما يأتي ذكر شيء منها:

فمن أشراط الساعة أيها الناس: انتشار الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساءُ:

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأةً القيم الواحد**».

ومن أشراط الساعة انتشار الربا:

حتى إن الرجل لا يبالي بما أخذ المال؛ أمن حلالٍ أم من حرامٍ؟ ففي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على الناس زمانٌ، لا يبالي المرء بما أخذ المال؛ أمنْ حلالٍ أمْ منْ حرام؟**».

ومن أشراط الساعة أيها الناس ظهور المعازف واستحلالها:

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح -صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3]-

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) رواه البخاري (٢٠٨٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٥٩).

من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان خَسفٌ، وقَذفٌ، ومَسخٌ**» قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقيناتُ**».

والمعازف أيها الناس هي: آلات الملاهي، كالعود، والطنبور، والدف، وكل لُعَبِ عزف، وقد وقع شيءٌ كبيرٌ في العصور السابقة، وهي الآن أكثر ظهورًا، فقد ظهرت المعازف في هذا الزمان، وانتشرت انتشارًا عظيمًا، وكثر المغنون والمغنيات، وهم المشار إليهم في هذا الحديث بـ (القينات)[1].

وأعظم من ذلك استحلالُ كثير من الناس للمعازف، وقد جاء الوعيد لمن فعل ذلك بالمسخ، والقذف، والخسف كما في الحديث السابق.

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه- أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلُّون الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازف**».

ومن أشراط الساعة: شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها:

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3]- من حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتستحِلَّنَّ طائفةٌ من أمتي الخمر باسمٍ يسمونها إياه**».

ومن أشراط الساعة: زخرفة المساجد والتباهي بها:

فقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الجامع»[4]- من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله

---

(١) أشراط الساعة ليوسف الوابل (ص١٤١).

(٢) رواه البخاري.

(٣) أخرجه أحمد(٥/ ٣١٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٤٥).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧١).

ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**».

قال البخاري: (قال أنسٌ: يتباهون بها، ثم لا يعمرونها إلا قليلاً، فالتباهي بها: العناية بزخرفتها. قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى) [(١)].

ومن أشراط الساعة: التطاول في البنيان، وأن تلد الأمة ربتها:

ففي «صحيح مسلم» [(٢)] من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال لجبريل عندما سأله عن وقت قيام الساعة: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأَمَة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان**».

ومن أشراط الساعة: أن يكون السَّلام للمعرفة:

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح [(٣)] من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يُسَلِّم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة**».

وفي رواية له: «**إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة**» [(٤)].

وهذا أمرٌ مشاهدٌ في هذا الزمن، فكثيرٌ من الناس لا يسلِّمون إلا على من يعرفون، وهذا خلاف السنة؛ فإن النبي ﷺ حثَّ على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وأن ذلك سبب في انتشار المحبَّة بين المسلمين التي هي سبب للإيمان الذي به يكون دخول الجنة؛ ففي «صحيح مسلم» [(٥)] من حديث أبي

---

(١) صحيح البخاري (١ / ٥٣٩).
(٢) رواه مسلم (٨).
(٣) مسند أحمد (٥ / ٣٢٦).
(٤) مسند أحمد (٥ / ٣٣٣)، وهو في «الصحيحة» (٦٤٧)، ومسلم (٢ / ٥).
(٥) رواه مسلم (٢٩٤٠).

هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



إن الحمد لله....

أما بعد:

أيها الناس حديثي معكم اليوم عن المهدي عليه السلام.

وهو رجل يخرج في آخر الزمان من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قطّ؛ تخرجُ الأرض نباتها، وتمطرُ السماء قطرها، ويعطي المال بغير عدد[1].

ففي زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدو راغم، والخير في أيامه دائم[2].

ولابد أن نعرف أيها الناس شيئًا من صفاته ونسبه.

فهو رجل اسمه كاسم رسول الله ﷺ واسم أبيه كاسم أبي النبي ﷺ ويكون اسمه محمد بن عبدالله، ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح الجامع»[3] من حديث عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لو لمْ يبق من الدنيا إلا يومٌ تطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني» أو «من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئتْ ظلمًا وجورًا لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل**

---

(١) انظر: «أشراط الساعة» للوابل (ص٢٤٩).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١ / ٣١).

(٣) حسن صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٠٤).

بيتي، يواطئ اسمه اسمي».

وروى أبو نعيم في «أخبار أصبهان» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»[(١)] من حديث معاوية بن قرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتملأن الأرض جورًا وظلمًا، فإذا ملئت جورًا وظلمًا بعث الله رجلاً اسمه اسمي، فيملؤها قسطًا وعدلاً، كما ملئت جورًا وظلمًا».**

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملأها عدلاً كما ملئت جورًا».**

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح[(٣)] من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: **«المَهْدِي من عترتي، من ولد فاطمة».**

قال صاحب عون المعبود:[(٤)] (واعلم أن المشهور بين كافة أهل الإسلام على مر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته).

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٥)] من

---

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصفهان» (٢ / ١٦٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٩).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٠٥).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٤)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٤٠٨٦).

(٤) عون المعبود (١١ / ٣٦١).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦١١).

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة**».

قال الحافظ ابن كثير: (أي: يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك)[1]، وفي «سنن أبي داود» بسندٍ حسن حسنه الألباني في المشكاة[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، يملك سبع سنين**».

وفي «الحاوي» للسيوطي بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**منا الذي يصلِّي عيسى بن مريم خلفه**».

ففي هذا الحديث أيها الناس لدليل على أن المهدي هو من يصلي بعيسى بن مريم وهو دليل على صلاح أمر المهدي رضي الله عنه.

ومما يدل أيضًا على أن المهدي هو من يصلي بعيسى ابن مريم عليه السلام ما جاء في «الصحيحين»[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟!**».

وفي «صحيح مسلم»[5] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**».

قال: «**فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا؛ إن**

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٩).
(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٨٥): وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٤٥٤).
(٣) صحيح: أخرجه السيوطي في «الحاوي» (٢/ ٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٩٦).
(٤) رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٧٥٥).
(٥) رواه مسلم (١٥٦).

بعضكم على بعضٍ إمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة».

أيها الناس: لقد نصَّ أهل العلم على صحة أحاديث المهدي وأنها متواترة تواترًا معنويًّا.

قال الإمام الحافظ أبو الحسن الآجري رحمه الله: (قد تواترت الأخبارُ واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤمُّ هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه) [(١)].

وقال العلامة محمد السفاريني: (وقد كثرت بخروجه أي: المهدي الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عدَّ من معتقداتهم).

ثم ذكر طائفة من الأحاديث والآثار في خروج المهدي، وأسماء بعض الصحابة من رواها، ثم قال: (وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعة العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة) [(٢)].

وفي عهد المهدي أيها الناس يكثر الخير وتعظم الأمة.

ففي «مستدرك» الحاكم بسندٍ صحيح صححه الألباني في «الصحيحة» [(٣)]، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرجُ الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا،**

(١) تهذيب الكمال للمزي (٣/ ١١٩٤).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤).
(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٤/ ٥٥٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧١١).

وتكثر الماشيةُ، وتعظم الأمةٌ، يعيش سبعًا أو ثمانيا، يعني حجةٌ»

وأستغفر الله



الخطبة الثانية

ماذا يجب علينا قبل خروج المهدي؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس تقدم الحديث عن خروج المهدي وبسطنا الأدلة على ذلك وسوف أتحدث معكم الآن عما يجب علينا قبل خروج المهدي.

أنه يجب علينا أيها الناس أن نجتهد في العمل الصالح والسعي لتوطيد دعائم هذا الدين ورفعة شأنه.

فإن وقت خروج المهدي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ولا يعلم الناس بذلك إلا بعد ظهوره ظهورًا مستحكمًا.

ولنعلم أن النبي ﷺ بشر أمته بالنصر لكن من غير تحديد ولا تقريب فلو علم الناس أنهم منتصرون على عدوهم في وقت ما لسمعتم بعجائب الأخبار في تاريخ الخاملين.

وما أمر الله به النبي ﷺ من الصبر وما بشَّرَ به من النصر قد جمعه في غير ما سورة، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر:٧٧].

فانظروا أيها الناس كيف كان التبشير بالنصر غير محدد الأجل حتى لا تركن إلى مجرد الأمل.

فنحن أيها الناس مأمورون بأن نشغل أنفسنا بالتمسك بالحق من غير أن نتعلق

بالنتائج قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:٤١: ٤٣].

وقد خرج رسول الله ﷺ من بلده مكة، ثم أراه الله سبحانه وتعالى أنه دخلها وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة من غير أن يحدِّد لهم وقتًا لفتح مكة، فلما ساروا عام الحديبة لم يشك جماعةٌ منهم أن الرؤيا تتفسر هذا العام وذلك هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧].

أيها الناس لقد أخبر الله سبحانه وتعالى: أن الرسول ﷺ وأصحابه سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت ووعده سبحانه وتعالى حق فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجع المسلمون من غير دخول مكة، كثر في ذلك الكلام منهم حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: «**أخبرتكم أنه العام؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ستأتون وتطوفون به**».

فقد روي في «صحيح البخاري»[(١)] في قصة صلح الحديبية، وكان من نتائجه أن المسلمين يرجعون ولا يدخلون مكة عامهم ذاك، وفيها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: ألست نبي الله حقًّا؟ قال: «**بلى!**» قلتُ: ألسنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟ قال: «**بلى!**» قلتُ: فلم نعطي الدَّنية في ديننا إذن؟ قال: «**إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري**»، قلتُ: أوليس كنت تحدِّثنا أنا سنأتي البيت فنطوفُ به؟

قال: «**بلى! فأخبرتك أنا نأتيه العام؟**» قال: قلت: لا! قال: «**فإنك آتيه ومطوِّفٌ**

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

به» قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلتُ: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى! قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدُّنا على الباطل؟ قال: بلى! قلتُ: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجلُ! إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحقِّ.

قلتُ: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوفُ به؟ قال: بلى! أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلتُ: لا! قال: فإنك آتيه ومطوِّفٌ به.

قال الزهري: قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً.

أيها الناس الذي أريد أخلص إليه هو أن نصر الله قريب لكن كل ذلك من غير تحديد سابق والمهدي سوف يخرج لا محالة لكن لا نعلم وقت خروجه.

قال الإمام الألباني رحمه الله:[1] (خروج المهدي لا يستلزم التوكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيا من نبينا محمد ﷺ الذي ظل ثلاثًا وعشرين عامًا وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا وعلماؤهم إلا القليل منهم اتخذهم الناس رءوسًا! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صفٍ واحدٍ، وتحت راية واحدةٍ، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلى أن يقودهم إلى النصر.

وإن لم يخرج فقد قاموا بواجبهم والله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

وفقنا الله جميعًا إلى ما فيه خير الدنيا ونعيم الآخرة.

---

(١) الصحيحة (٤ / ٤٢، ٤٣).



الخطبة الأولى

الدجـال



إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس حديثي معكم اليوم عن أعظم فتنة في حياة البشر إنها فتنة الدجال وما من نبي بعثه الله إلا حذر أمته من الدجال وهو خارج في هذه الأمة وخروجه من أشراط الساعة الكبرى.

ففي «سنن ابن ماجه» بسندٍ صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع» (1) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله عزَّ وجل لم يبعث نبيًّا إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة**».

وفي «صحيح مسلم» (2) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**» وفي رواية: «**أمر أكبر من الدجال**».

ولقد أشفق الصحابة رضي الله عنهم من أن يخرج الدجال عليهم.

ففي «صحيح مسلم» (3) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة

---

(1) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٥٢).

(2) رواه مسلم (٢٩٤٦).

(3) رواه مسلم (٢١٣٧).

النخل فلما رحنا عرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبدالعزي بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينًا وشمالاً يا عبادالله فاثبتوا».

قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم».

قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا» قلنا: يا رسول الله! وما أسرعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجدر ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر

أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب بنبي الله عيسي وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف أي يكون في أنوف الإبل والغنم في رقابهم فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة ثم يهبط بنبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (أي كالروضة) ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها (أي بقشرها) ويبارك في الرسل حتى إن اللقح من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبةً فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر (أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك) فعليهم تقوم الساعة.

وللدجال أيها الناس صفات أخبرنا بها نبينا ﷺ لنحذره ونبتعد عنه.

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح صححه الألباني في «المشكاة» [١] من حديث عبادة بن الصامت أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «**إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيتُ أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا حجراء فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٨٥).

وفي «مسند أحمد بسندٍ» صحيح[1] من حديث أبي أمية أنه قال: أتيتُ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقلتُ له: حدثني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ في الدجال ولا تحدثني عن غيرك وإن كان عندك مصدقًا فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**أنذرتكم فتنة الدجال فليس من نبي إلا أنذر قومه أوأمته، وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى وأنه يمطر ولا ينبت الشجر وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز، وإن جنته نار وناره جنة وإنه يلبث فيكم أربعين صباحًا يرد فيها كل منهل إلا أربع مساجد: مسجد الحرام ومسجد المدينة والطور ومسجد الأقصى، وإن شُكِلَ عليكم أو شبه فإن الله عز وجل ليس بأعور**».

وفي «صحيح مسلم» [2] من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال أعور العين اليسرى جفاف الشعر معه جنَّة ونار فناره جنة، وجنته نار**».

ومن صفات الدجال أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم.

ففي الصحيحين[3] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، إلا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر**».

وفي رواية «**يقرؤه كل مسلم**».

وفي «صحيح مسلم» [4] من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما: رأي العين، ماءٌ**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥ / ٤٣٤).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٤).

(٣) رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٤).

أبيض، والآخر: رأي العين نارٌ تأجج، فإما أدركن أحدًا فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منها فإنه ماءٌ باردٌ وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرةٌ غليظةٌ، مكتوب بين عينيه كافرٌ يقرؤه كل مؤمنٍ كاتب وغير كاتب».

وأما أتباع الدجال _ أيها الناس _ فهم كثير لشدة ما يبعث فيهم من الشبه وما يجريه الله على يديه من الخوارق.

وأكثر أتباع الدجال من النساء.

لما في «مسند أحمد» بسندٍ صحيح لغيره[1] من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطًا مخافة أن تخرج إليه ثم يسلط الله المسلمين عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته حتى أن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم هذا يهودي تحتي فاقتله**».

واليهود _ أيضًا _ من أتباع الدجال ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة**».

وأما مكان خروج الدجال _ أيها الناس _ فهو يخرج من المشرق حيث مصدر الفتن ومقرها.

ففي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) صحيح لغيره: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٦٧).
(٢) رواه مسلم (٢٩٤٤).
(٣) رواه البخاري (٣٣٠١)، ومسلم (٥٢).

ﷺ: «رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والعدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم».

وفي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «الصحيحة»[1] من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «إن الدجال يخرج من أرض بالشرق، يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة».

ويكون ظهوره عندما يكون بين الشام والعراق، لما في «صحيح مسلم»[2] من حديث النواس بن سمعان يرفعه: «أنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا».

وأستغفر الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٢٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

الخطبة الثانية



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس، تقدم الحديث معكم عن الدجال وفيها يأتي ذكر الوقاية من فتنة الدجال.

أيها الناس، لقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع ﷺ خيرًا إلا دلَّ أمته عليه، ولا شرًّا إلا حذرها إلى قيام الساعة، وكان كل نبي ينذر أمته الأعور الدجال، واختص نبينا محمد ﷺ بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيرًا من صفات الدجال؛ ليحذر أمته؛ فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ومحمدٌ ﷺ خاتم النبيين.

وهذه بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى ﷺ أمته لتنجو من هذه الفتنة العظيمة بإذن الله.

ومن هذه الإرشادات:

التمسك بالإسلام والتسلُّح بالعلم النافع والعمل الصالح، ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحدٌ فنعلم أن الدجال بشرٌ يأكل ويشرب، وأن الله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم

وكافرهم[1].

ومن هذه الإرشادات :

التعوذ بالله من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، ففي «الصحيحين»[2] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال:«**إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف**».

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال**» وكان الإمام طاوس يأمر ابنه بإعادة الصلاة إذا لم يقرأ بهذا الدعاء في صلاته وهذا دليل على حرص السلف على تعليم أولادهم هذا الدعاء العظيم.

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح[4] من حديث أبي قلابة رضي الله عنه قال: رأيت رجلاً بالمدينة وقد طاف الناس به وهو يقول: قال رسول الله ﷺ: فإذا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: فسمعته وهو يقول: «**إن من بعدكم الكذاب المضل وإن رأسه من بعده حبك حبك حبك (أي شعر رأسه متكسر من الجعوده) ثلاث مرات، وإنه سيقول: أنا ربكم، فمن قال: لست ربنا لكن ربنا الله عليه توكلنا**

---

(١) انظر أشراط الساعة للوابل (ص٢٣٥) وقد استفدت منه كثيرًا.

(٢) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٨).

(٣) رواه مسلم (٥٩٠).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٥ / ٣٧٢).

وإليه أنبنا نعوذ بالله من شرك لم يكن عليه سلطان». وفي رواية[١]: «ونعوذ بالله منك» قال: «فلا سبيل له عليه».

ومن الإرشادات التي أرشد إليها النبي ﷺ أُمته: حفظ عشر آيات من أول «سورة الكهف» وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو أخرها.

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما جاء في «صحيح مسلم»[٢] من حديث النَّواس بن سمعان الطويل وفيه قوله ﷺ: «**من أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**».

وفي «صحيح مسلم» أيضًا[٣] من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**».

قال مسلم: قال شعبة: من آخر الكهف، وقال همام من أول الكهف كما قال هشام[٤]، وأرشد النبي ﷺ أمته إلى الابتعاد عن الدجال غاية البعد وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فيأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح صححه، الألباني في «صحيح الجامع»[٥] من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع بالدجال؛ فلينأ عنه (أي فليبتعد عنه) فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث من الشبهات- أو لما يبعث به من الشبهات**».

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٠).
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).
(٣) رواه مسلم (٨٠٩).
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٩٢).
(٥) الفتح الرباني (٢٤/ ٧٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٧٧).

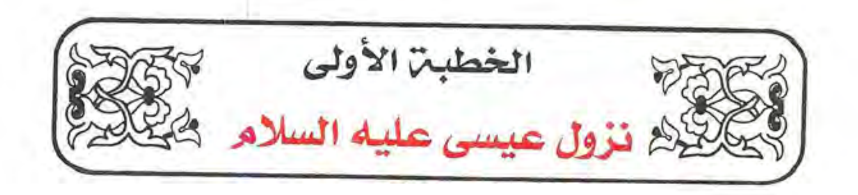
ومن الإرشادات التي أرشد إليها النبي ﷺ:

الترغيب في سكنى مكة والمدينة فإن الدجال لا يدخل مكة والمدينة حتى يدخل الجمل في سم الخياط وهيهات.

ففي «الصحيحين» [1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيُخرِجُ الله كلَّ كافر ومنافق**».

ولعل في هذا القدر كفاية، فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعافينا ويعيذنا من فتنة الدجال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) رواه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).



إن الحمد لله....

أما بعد:

حديثي معكم _ أيها الناس _ عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ونزوله إحدى أشراط الساعة الكبرى.

ونزوله ثابتٌ في الكتاب والسنة فمنها:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلاً لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف:٥٧ - ٦١] ففي هذه الآيات دليل أن عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة.

لما في «مسند أحمد» بسندٍ صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ قال: «هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»[1].

(١) مسند أحمد (٤ / ٣٢٩) وسنده صحيح.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الصحيح: أنه _أي: الضمير _ عائد على عيسى؛ فإن السياق في ذكره[1].

ومما يدل على نزول عيسى بن مريم عليه السلام قول الله سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٧-١٥٩].

فهذه الآيات؛ كما أنها تدلُ على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء؛ كما في قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

فإنها تدلُ على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته وهذا الذي عليه أهل العلم.

فقد أخرج ابن جرير بسنده[2] إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم.

قال ابن كثير: وهذا إسنادٌ صحيحٌ[3].

وروى ابن جرير بسنده[4] إلى الحسن البصري رحمه الله أنه قال: قبل موت

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٢).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٨).
(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١٣١).
(٤) تفسير الطبري (١/ ١٨).

عيسى، والله إنه الآن حيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عدلاً وحكمًا مقسطًا فمنها:

ما جاء في «الصحيحين» [1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدُّنيا وما فيها»**.

ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩].

وفي «الصحيحين» [2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف أنتمُ إذا أنزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»**.

ففي هذا الحديث دليل على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في هذه الأمة وإمامهم منهم وهو المهدي عليه السلام.

وفي «صحيح مسلم» [3] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة»**؛ قال: **«فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعا لى لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»**.

وفي «صحيح مسلم» [4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء (هو بين مكة**

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).
(٢) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).
(٣) رواه مسلم (١٥٦).
(٤) رواه مسلم (١٢٥٢).

والمدينة) حاجًّا أو معتمرًا أو ليثنينهما» (أي ليقرن بينهما).

أيها الناس، إن الأدلة على نزول عيسى عليه السلام أشهر من نار على علم وهي صحيحة وهو نازل في هذه الأمة ونزوله علامة من علامات الساعة فهو صحابي ونبي ولم يأت بدين جديد وإنما يجدد الله به دين الإسلام فهو واحد من هذه الأمة، وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه: «تجريد أسماء الصحابة»[1] فقال: (عيسى ابن مريم عليه السلام صحابي، ونبي؛ فإنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء، وسلم عليه، فهو آخر الصحابة موتًا).

أيها الناس، بعد أن استوفيت الحديث عن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام أذكركم بصفته كما دلت عليه الأدلة الصحيحة.

أيها الناس، إن الأدلة تدل على أنه رجلٌ مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعدٌ، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديماس (أي حمام) له لمة (واللمة هو شعر الرأس متى جاوز شحمة الأذنين فهو لمة ومتى زاد عن ذلك فهو: جمة) قد رجلها تملأ ما بين منكبيه[2].

ومن الأدلة على صفة عيسى عليه السلام:

ما جاء في «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي لقيت موسى (فنعته، إلى أن قال): ولقيت عيسى (فنعته فقال): ربعةٌ، أحمر، كأنما خرج من ديماس» (يعني: الحمام).

وفي «صحيح البخاري»[4] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم؛ فأما عيسى؛ فأحمر جعدٌ عريضُ

---

(١) تجريد أسماء الصحابة للذهبي (١/ ٤٣٢).
(٢) أشراط الساعة للوابل (ص٣٣٧).
(٣) رواه البخاري (٣٤٣٧)، ومسلم (١٦٨).
(٤) رواه البخاري (٣٤٣٨).

الصدر».

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني» (فذكر الحديث، وفيه) «**وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي**».

وفي «الصحيحين» [2] من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم (أي أسمر شديد السمرة) كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، له لِمَّةٌ كأحسن ما أنت راءٍ من اللِّمم، قد رجلها، فهي تقطر ماء، متكئًا على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألتُ: من هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم**».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ حسن وصححه الألباني في «الصحيحة» [3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا أريتموه فاعرفوه رجلاً مربوعًا إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران (أي فيه صفرة خفيفة) كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعوا الناس إلى الإسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة (أي الأمن) على الأرض حتى ترتع الأُسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون**».

وأستغفر الله

---

(١) رواه مسلم (١٧٢).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤١)، ومسلم (١٦٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٤٠٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٨٢).



الخطبة الثانية
بعض أعمال عيسى عليه السلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس تقدم الحديث عن نزول عيسى عليه السلام وشيء من صفاته فحديثي معكم الآن عن بعض أعماله.

أيها الناس إن عيسى عليه السلام سوف ينزل في هذه الأمة ولن ينزل بشرع جديد إنما يحكم بالشريعة الإسلامية؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباقٍ إلى قيام الساعة لا ينسخ فيكون عيسى عليه السلام حاكمًا من حكام هذه الأمة، ومجدِّدًا لأمر الإسلام، إذ لا نبي بعد محمدٍ ﷺ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

خلاصة القول: أن عيسى عليه السلام من أتباع محمد ﷺ ومعدود من الصحابة لأنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء.

ويكون نزوله في وقت اصطف فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر، وتقدم إمامهم للصلاة، فيرجع ذلك الإمام طالبًا من عيسى عليه السلام أن يتقدم فيؤمهم فيأبى.

كما جاء في «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما

---

(١) رواه مسلم (١٥٦).

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة.

وبعد فراغ عيسى عليه السلام من الصلاة يتوجه إلى بيت المقدس حيث يكون الدجال محاصرًا عصابة المسلمين، فيقول لهم عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربًا، ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللدِّ الشرقي فيقتله».

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته».

أما كيف يذوب الدجال؟ فيجب أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى أعطى لنفس عيسى رائحة خاصة إذا وجدها الكافر مات منها ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث النواس بن سمعان الطويل وفيه: «فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة شرقي دمشق، بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذ طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيثُ ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة». وأيضًا تكون

---

(١) رواه مسلم (٢٨٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢١٣٧).

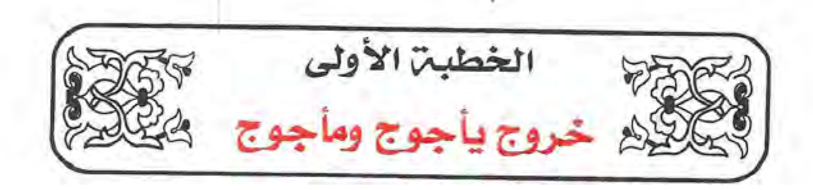
نهاية يأجوج ومأجوج ، وهلاكهم على يد عيسى عليه السلام وببركة دعائه.

أيها الناس قبل أن أدع مقامي هذا أذكركم بوصية من رسول الله ﷺ لمن لقي عيسى عليه السلام.،

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:: «**إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام**» وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٢٩٨) وسنده صحيح.



إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس، حديثي معكم اليوم عن يأجوج ومأجوج وخروجهم في آخر الزمان وذلك بعد نزول عيسى بن مريم عليه السلام وهزيمة الدجال، وخروجهم إحدى أشراط الساعة الكبرى.

والأدلة على خروجهم آخر الزمان كثيرة معلومة فمنها:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٩٦، ٩٧].

قال الإمام السعدي رحمه الله: في تفسير هذه الآيات: (هذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر زمان يفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله، من كل مكان مرتفع، وهو الحدب، ينسلون: أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليه الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا

يدان لأحد بقتالهم.

وقال الله سبحانه وتعالى في سياقه لقصة قال ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف:٩٢-٩٩].

فهذه الآيات تدلُّ على أن الله سبحانه وتعالى سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السدِّ العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة، اندك هذا السدُّ، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، لا يقف أمامه أحدٌ من البشر، فماجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فسادًا، وهذا علامة على قرب النفخ في الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة)[1].

قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآيات[2]: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قال المفسرون: ذهب متوجهًا من المشرق، قاصدًا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في

(١) تفسير ابن سعدي (ص٥٣١).
(٢) انظر تفسير ابن سعدي (ص٤٨٦)، (٤٨٧)

ذلك الزمان سدًّا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس: وجد من دون السدين قومًا لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم وقد أعطى الله ذ ا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج وهما: أمتان عظيمتان من بني آدم فقالواك ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي: جعلاً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه فبذلوا له أجره ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الراعية، بل كان قصده الإصلاح فلذلك أجاب طلبهم ما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينة واقتداره، فقال لهم: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي: مانعًا من عبورهم عليكم».

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي الجبلين اللذين بني بينهما السد.

﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ النار أي: أوقدوها إيقادًا عظيمًا، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: نحاسًا كذلك مذابًا، فأفرغ عليه القطر،: فاستحكم السد استحكامًا هائلاً، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ أي: فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ أي من فضله وإحسانه علي، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله، كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش ألكة سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم أشرًا وبطرًا كما قال قارون لما آتاه الله –ن الكنوز ما –ن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ أي لخروج يأجوج ومأجوج ﴿ جَعَلَهُۥ﴾ أي ذلك السد المحكم المتقن ﴿دَكَّآءَ﴾ أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض».

أيها الناس، تقدم ذكر بعض الآيات التي تدل على خروج يأجوج ومأجوج وسأذكر بعضَ الأحادث الدالة على ظهورهم وهي كثيرة فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[1] من حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردْم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها)**»، قالت زينب بنت جحش: فقلتُ: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(١) رواه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).
(٢) رواه البخاري (٧١٣٦)، ومسلم (٢٨٨١).

«يفتح الردم ـ ردم يأجوج ومأجوج ـ مثل هذه، وعقد وهيب تسعين».

ومما دل على أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله: ﷺ:**«يقول الله: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟** قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل **ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»**.

فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أيّنا ذلك الرجل؟

قال: «**أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل**» ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنّة**» قال: فحمدنا الله وكبرنا، قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار**».

وأستغفر الله



الخطبة الثانية

كيف يكون خروج يأجوج ومأجوج؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة على أشرف المرسلين.

أما بعد:

أيها الناس، تقدم الحديث عن الأدلة الدالة على خروج يأجوج ومأجوج وسوف أتحدث معكم الآن عن طريقة خروجهم.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «الصحيحة»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارْجِعُوا مستحِفرُهُ غدًا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا. حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، إن شاء الله تعالى، واستثنوا فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم الذي أحفظ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفًا في أقفائهم فيقتلهم بها».

قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده إن دواب الأرض تتسمن وتشكر شكرًا من لحومهم».**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٥١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٥).

وفي «صحيح مسلم» [(١)] من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه: «إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجدر ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه(أي الدجال) فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان (أي لا قدرة) لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم.

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه (أي يدعون الله) فيرسل الله عليهم النغف (هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم) في رقابهم فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث يشاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (أي كالروضة) ثم يقال للأرض. أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويتظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتَّى إن اللقح من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم

---

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

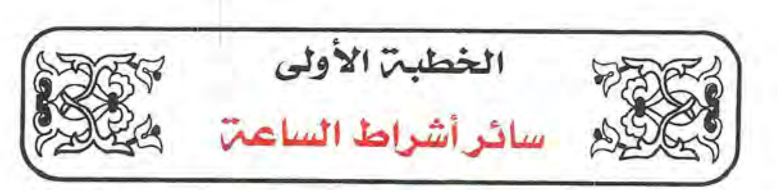
تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر (أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير) **فعليهم تقوم الساعة**».

ويأجوج ومأجوج أيها الناس لا قدرة لأحد بقتالهم كما دل ؛ ليه الحديث والسبب في أنه لا يستطيع أحد الوقوف في وجوههم لكثرتهم يدل على ذلك أن المسلمين يوقدون من أسلحتهم بعد هلاكهم سبع سنين.

ففي «سنن ابن ماجه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة» [1] من حديث النواس بن سمعان يقول: قال رسول الله ﷺ: «**سيوقدُ المسلمون، من قيسِّ يأجوج ومأجوج ونشابهمْ وأترستهم، سبع سنينْ**».

وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٧٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٤٠).



إن الحمد لله...

أما بعد:

حديثي معكم أيها الناس عن سائر أشراط الساعة الكبرى.

أيها الناس؛ اعلموا -علمني الله وإياكم- أنه بعد موت عيسى بن مريم -عليه السلام- تعود البشرية إلى جاهليتها الأولى أو أشد.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- في حديثه الطويل وفيه: «ثم يرسل الله ريحًا باردة من قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو كان أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه»، قال: سمعتها من رسول الله ﷺ، قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارة أرزاقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور».

ومن الأوثان التي تعبد أيها الناس: (ذو الخلصة) طاغية دوس، واللات والعزى، ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم»[2] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على

---

(1) رواه مسلم (٢٩٤٠).

(2) رواه البخاري، ومسلم (٢٩٠٦).

ذي الخلصة» وذو الخلصة: الصنم الذي كانت تعبده دوس في الجاهلية.

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»، فقالت عائشة: يا رسول الله؛ إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

أن ذلك تامًّا، قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبةً، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم**».

ومن أشراط الساعة الكبرى: تخرب الكعبة:

ثم لا تعمر بعد ذلك أبدًا، ثم لا يحج البيت بعد ذلك، ويكون خرابها على يد رجل من الحبشة؛ ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم»[2] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ -صححه الألباني في «الصحيحة»[3]- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبايع الرجل ما بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا، أوهم الذين يستخرجون كنزه**».

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٦).

(٢) رواه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٢٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٧٩).

وفي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**».

تابعه أبان وعمران عن قتادة، وقال عبدالرحمن، عن شعبة: قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجَّ البيت**».

ومن أشراط الساعة الكبرى أيها الناس: الخسوفات الثلاث التي ذكرها النبي ﷺ:

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات (فذكر منها:) وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**».

ومن أشراط الساعة الكبرى أيها الناس: ظهور الدخان في آخر الزمان:

ومن أدلة ظهوره:

-قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠، ١١]، وهذا الدخان أيها الناس لا محالة واقع قبل قيام الساعة؛ فقد روى الطبري وابن أبي حاتم عن عبدالله بن أبي ملكية، قال: غدوت على ابن عباس -رضي الله عنهما- ذات يوم، فقال: ما نمتُ الليلة حتى أصبحتُ. قلتُ: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيتُ أن يكون الدخان قد طرق، فما نمتُ حتى أصبحتُ»[(٣)].

قال ابن كثير:[(٤)] (وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيره، مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن

(١) رواه البخاري (١٥٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٥ / ١١٣)، وتفسير ابن كثير (٧ / ٢٣٥).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٥).

الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي بين واضح يراه كل أحد) .

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًّا: الدجال، والدخان**».

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- قال: كان النبي ﷺ ونحن أسفل منه، فاطلع فقال: «**ماتذكرون؟**»، قلنا: الساعة، قال: «**إن الساعة لا تكونُ حتى تكون عشر آياتٍ: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابةُ الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس**».

ومن أشراط الساعة الكبرى أيها الناس: طلوع الشمس من مغربها:

وذلك ثابت بالكتاب والسنة قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس؛ آمنوا أجمعين، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**».

وفي «صحيح مسلم»[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها».

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٧).
(٢) رواه مسلم (٢٩٠١).
(٣) رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).
(٤) رواه مسلم (٢٩٤٧).

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما-: قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها».

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي ذر -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال يومًا: «أتدرون أين تذهب الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرِّها تحت العرش، فتخرُّ ساجدةً، فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئتِ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها». فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا تنفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا».

وأما عن استقرار الشمس تحت العرش وكيفية سجودها فقد أجاب على ذلك الإمام الخطابي -رحمه الله- فقال: (مستقرها تحت العرش؛ لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش؛ من حيث لا ندركه، ولا نشاهده، وإنما أُخْبِرْنا عن غيب، فلا نكذب به، ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به).

ثم قال عن سجودها تحت العرش: (وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، والتعرف لما سُخِّرت له. وأما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف:٨٦]؛ فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤١).

(٢) رواه مسلم (١٥٩).

الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب)[١].

وقال النووي -رحمه الله-: (وأما سجود الشمس؛ فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها)[٢].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (يسجد لعظمته كل شيءٍ طوعًا وكرهًا، وسجود كل شيءٍ مما يختصُّ به)[٣].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (وظاهر الحديث: أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبَّر عنه بالجري. والله أعلم)[٤].

أيها الناس؛ علينا أن نبادر بالتوبة إلى الله قبل أن تطلع الشمس من مغربها، وقبل تغرب شمس حياتنا، ولا يدري أحد منا متى تغرب شمسه ويأفل نجمه.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسن[٥] من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: **«إن الهجرة خصلتان: إحداهما: أن يهجر السيئات، والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبِع على كل قلبٍ بما فيه وكفى الناس العمل»**. وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه». وأستغفر الله**

(١) شرح السنة للبغوي (١٥/ ٩٥، ٩٦) تحقيق: شعيب الأناؤوط.
(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٩٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٨).
(٤) فتح الباري (٨/ ٥٤٢).
(٥) (حسن) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩٢)، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٩٥).



الخطبة الثانية

سائر أشراط الساعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

أيها الناس؛ تقدم الحديث عن سائر أشراط الساعة، وحديثي معكم الآن إنما هو تكملة لما سبق بيانه.

أيها الناس؛ بعد أن تطلع الشمس من مغربها يكون ظهور الدابّة، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها.

ومما يدل على ظهور الدابة: قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢].

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- أنه قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر الدخان والدجال والدابة إلى آخر الحديث وقد سبق ذكره.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤١).

أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحًى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ -صححه الألباني في «الصحيحة»[1]- من حديث أبي أمامة -رضي الله عنه- يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين».

ومن أشراط الساعة الكبرى أيها الناس: خروج نار عظيمة من قعر عدن، تحشر الناس إلى محشرهم:

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- في ذكر أشراط الساعة وفيه: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسَوْا».

وعند قيام الساعة أيها الناس يبعث الله -سبحانه وتعالى- ريحًا لينة فتقبض روح كل مؤمن:

ففي «صحيح مسلم»[4] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث ريحًا من اليمن أَلْيَنَ من الحرير فلا تدع أحدًا في

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٦٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٢).
(٢) رواه مسلم (٢٩٠١).
(٣) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).
(٤) رواه مسلم (١١٧).

قلبه» قال أبو علقمة: (مثقال حبة)، وقال عبدالعزيز: (مثقال ذرة) من إيمان إلا قبضته».

والساعة أيها الناس لا تقوم إلا على شرار الناس، حتى لا يقال في الأرض: الله الله. ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث عبدالله عن النبي ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»**.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»**.

وتكون قيام الساعة أيها الناس بغتة كما أخبر بذلك نبينا ﷺ:

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- يبلغ به النبي ﷺ قال: **«تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم»**.

أيها الناس قبل أن أودع مقامي هذا أذكركم بالحث على العمل وإن قربت الساعة فإلى هذا أرشدنا نبينا ﷺ.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»**.

وفقنا الله جميعًا للعلم النافع والعمل الصالح وجعلنا هداة مهتدين.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٩).

(٢) رواه مسلم (١٤٨).

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٤).



فهرست الموضوعات



فهرست موضوعات الجزء الأول

من إصداراتنا
لأبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

* فن الحوار.
* التاج المفقود.
* طريقنا للقلوب.
* نعمة الأخوة.
* ملك القلوب.
* منتقى الأشعار.
* تسهيل البلاغة.
* منتقى الفوائد١/٢
* كيف تنال محبة الله.
* صيد الخواطر
* الخطاب البليغ في جماعة التبليغ.
* الصحيح من الأثر في خطب المنبر.
* حادي الصديق إلى بيت الله العتيق.
* المنتقى من الأحاديث القدسية.
* نزهة الأحباب شرح منظومة الاداب.
* تحفة الخطيب (أصول الخطابة - آدابها - صفات الخطيب).

التوزيع في القاهرة: العربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر
شارع الإمام محمد عبده - أول درب الأتراك - ت: ٥١٢٠٦٢١ / ٠٠٢٠٢



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠-٠٢-٥٢٢٢٠٠
E-mail: dar_aleman@hotmail.com
دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي